الجامعة الأردنية

دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م-٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م

إعداد

حسام محمد إسماعيل الناطور

إشراف

مصطفى الحياري

أطروحة دكتوراه - الجامعة الأردنية

١٩٩٨

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

مكتبة الجامعة الأردنية
٦ مزيات ١٩٩٨
رقم التسلسل ٤٩٣٩١٤
رقم التصنيف

ايداع من الجامعة الاردنية

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز المصورات الاعلامية والمعلومات

٩٥٦/٩٥٤٦
هـ

٩٨٠٢
٢٢٦

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٨/٢/١٩٩٨ وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
١- الأستاذ الدكتور مصطفى الحياري / رئيساً	
٢- الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري / عضواً	
٣- الأستاذ الدكتور محمد خريسات / عضواً	
٤- الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية / عضواً	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى والديّ الحبيبين محاولة للوفاء لبعض ما قدّماه

إلى زوجتي الحبيبة التي تحملت معي أعباء الدراسة

إلى ابنتي رشا

أهدي هذا الجهد المتواضع رمز محبة وتقدير وعرفان

حسام محمد الناطور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

يسعدني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذي الدكتور مصطفى الحياري الأب والأستاذ الذي أولاني جُلّ اهتمامه ووقته واحترامه، حتى خرج هذا العمل على ما هو عليه الآن.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بحمل أعباء قراءة الرسالة ومناقشتها.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى زوجتي نهى أبو فريج التي تكبدت عناء الترجمة، وكذلك الدكتور سعيد صالح، وإلى الزملاء المهندس نادر الغزاوي ورضوان الشلول، والعاملين في مكتبة الجامعة الأردنية واليرموك، وإلى الذين ساهموا في طباعة وإخراج هذه الرسالة على هذا النحو.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ

خطة البحث

دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق

الموضوع	الصفحة
- أسماء أعضاء لجنة المناقشة.	ب
- الإهداء.	ج
- شكر وتقدير.	د
- خطة البحث.	هـ
- قائمة الملاحق	ل
- ملخص الرسالة.	م
- عرض وتحليل للمصادر.	أ ج
- الفصل الأول.	١
الحياة السياسية في عهد السلطان برقوق	
- تمهيد: أوضاع السلطنة قبل تولي برقوق.	١
١- برقوق ودوره في الصراع على السلطنة.	١٦
٢- ولاية برقوق الأولى للسلطنة.	٢٦
٣- الفتن والثورات:	٣١
أ- ثورة الطنبغا الأشرفي.	٣١
ب- محاولة الخليفة المتوكل على الله الوصول إلى السلطة.	٣٢
جـ- حركة أحمد بن البرهان.	٣٣
د- ثورة منطاش ويلبغا الناصري.	٣٤
٤- خلع السلطان برقوق من السلطنة وعودة الأمير حاجي.	٤٢
٥- اختلاف منطاش والناصري على السلطة.	٤٥
٦- عودة السلطان برقوق إلى السلطة (سلطنته الثانية).	٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
٧- حركات داخلية أخرى.	٥٥
٨- العلاقات الخارجية لدولة المماليك في عهد السلطان برقوق.	٦٣
- الفصل الثاني:	٧٥
تطور النظام الإداري في عهد السلطان برقوق	
أ- وظائف أرباب السيوف (الوظائف العسكرية).	٧٧
١- نيابة السلطنة.	٧٧
٢- الأتابكية.	٨١
٣- رأس نوبة.	٨٣
٤- إمرة سلاح.	٨٤
٥- إمرة مجلس.	٨٤
٦- إمرة آخورية.	٨٥
٧- الدوادارية.	٨٥
٨- الحجوبية.	٨٦
٩- أمير جاندار.	٨٦
١٠- الاستادارية.	٨٧
١١- الجاشنكيرية.	٨٧
١٢- الخازندارية.	٨٧
- وظائف أخرى.	٨٨
ب- الوظائف الديوانية (أرباب الأقلام):	٩١
١- الوزارة.	٩١
٢- ديوان الإنشاء.	٩٥
٣- نظر الخاص.	١٠٢
٤- نظر الجيش.	١٠٣
٥- نظر الدواوين.	١٠٤
- وظائف أخرى.	١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
٦- الإدارة المحلية في نيابات السلطنة في مصر.	١٠٨
١- والي القاهرة.	١٠٨
٢- والي القرافة.	١٠٩
٣- والي القلعة.	١١٠
٧- إدارة نيابات السلطنة في مصر.	١١٠
١- نيابة الاسكندرية.	١١٠
٢- نيابة الوجه البحري ونيابة الوجه القبلي.	١١١
أ- نيابة الوجه البحري.	١١٢
ب- نيابة الوجه القبلي.	١١٢
ج- الوظائف الدينية:	١١٣
١- قضاء القضاة.	١١٤
٢- الإفتاء.	١١٧
٣- وكالة بيت المال.	١١٨
٤- الحسبة.	١١٨
- وظائف أخرى.	١٢٠
٨- الإدارة المحلية لنيابات السلطنة في بلاد الشام.	١٢٢
د- بيع الوظائف في عهد السلطان برقوق.	١٣١
هـ- الخلاصة.	١٣٦
- الفصل الثالث:	١٤٠
الجيش في عهد السلطان برقوق	
١- البنية البشرية.	١٤٢
٢- مصادر الحصول على المماليك:	١٤٥
أ- التجارة.	١٤٥
ب- الهدايا.	١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
٣- عناصر الجيش:	١٥٠
أ- الجراكسة.	١٥٠
ب- الأتراك.	١٥٣
جـ- الروم.	١٥٣
د- الأكراد والتركمان والعربان (عناصر محلية).	١٥٤
٤- فِرق الجيش:	١٥٦
أ- المماليك السلطانية.	١٥٦
ب- مماليك الأمراء.	١٦٢
جـ- أجناد الحلقة.	١٦٣
٥- الرتب العسكرية:	١٦٤
أ- إمرة مائة وتقدمة ألف.	١٦٥
ب- إمرة طبلخاناة.	١٦٧
جـ- إمرة عشرة.	١٦٨
د- إمرة خمسة.	١٦٩
٦- نظام الترقية والتقاعد.	١٧٠
٧- مخصصات الجيش:	١٨٠
أ- مخصصات نقدية:	١٨٣
١- نفقة البيعة (السلطنة).	١٨٣
٢- نفقة السفر.	١٨٥
٣- الجامكية.	١٨٧
ب- مخصصات عينية:	١٨٧
١- الخيول والجمال.	١٨٧
٢- الكسوة.	١٨٩
٣- مخصصات عينية أخرى.	١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
٨- الإدارة العسكرية:	١٩١
أ- ديوان الجيش (الإقطاع).	١٩١
ب- ديوان المفرد.	١٩٥
جـ- عرض الجيش.	١٩٧
د- قضاء العسكر.	١٩٩
٩- أسلحة الجيش.	١٩٩
- الخلاصة.	٢٠١
- الفصل الرابع:	٢٠٥
الحياة الاقتصادية في عهد السلطان برقوق	
١- الزراعة:	٢٠٧
أ- الأراضي الزراعية.	٢٠٨
ب- الري.	٢٠٩
جـ- الانتاج الزراعي.	٢١٤
د- الثروة الحيوانية.	٢١٧
٢- الصناعة.	٢١٧
٣- التجارة.	٢١٩
٤- الأسواق التجارية.	٢٢٢
٥- الأسعار والعوامل المؤثرة فيها.	٢٢٧
٦- واردات الدولة (الضرائب):	٢٤١
أ- الخراج (ضريبة الأرض).	٢٤١
ب- الجوالي.	٢٤٥
جـ- ضريبة المراعي.	٢٤٦
د- المبادلات التجارية.	٢٤٦
هـ- ما يستخرج من المعادن.	٢٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
و- المواريث الحشرية.	٢٤٧
ز- ما يتحصل من النقود من دار الضرب.	٢٤٨
حـ- المكوس.	٢٤٨
٧- السياسة النقدية.	٢٥١
٨- الأوزان والمكاييل والمقاييس.	٢٥٨
- الفصل الخامس:	٢٦٤
الحياة الاجتماعية في عهد السلطان برقوق	
أ- فئات السكان:	٢٦٥
١- المماليك.	٢٦٦
٢- المتعممين.	٢٦٨
٣- عامة الشعب.	٢٧٤
٤- الأقليات الدينية:	٢٨٥
أ- النصارى.	٢٨٥
ب- اليهود.	٢٩١
ب- وسائل التسلية.	٢٩٤
جـ- المرأة في دولة المماليك.	٢٩٦
د- حفلات الزواج.	٣٠٠
هـ- الأعياد:	٣٠٣
١- وفاء النيل.	٣٠٣
٢- دوران المحمل.	٣٠٥
٣- المولد النبوي.	٣٠٦
٤- النيروز.	٣٠٨
- الخلاصة.	٣١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
- الفصل السادس:	٣١٥
الحياة الثقافية والعمران في عهد السلطان برقوق	
أ- الحياة الثقافية:	٣١٦
١- العلوم اللغوية والدينية:	٣١٦
أ- في مجال الحديث.	٣١٩
ب- في مجال علم القراءات.	٣٢٢
جـ- في مجال الفقه.	٣٢٣
د- في مجال التصوف.	٣٢٥
هـ- القضاء.	٣٢٦
٢- الحركة الأدبية.	٣٣٠
٣- العلوم العقلية:	٣٣٨
أ- الطب.	٣٣٩
ب- الحساب والميقات والهندسة.	٣٤١
٤- العمران:	٣٥٠
١- العمائر الدينية:	٣٥٠
أ- المدارس.	٣٥٠
ب- المساجد.	٣٥٣
جـ- الخوانق.	٣٥٥
٢- العمائر العامة:	٣٥٧
أ- الجسور وأحواض المياه.	٣٥٧
ب- مراكز البريد.	٣٥٨
- قائمة المصادر والمراجع.	٣٦٠
- ملخص باللغة الإنجليزية.	٣٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة الملاحق

الملحق	الصفحة
- ملحق رقم (١)	
مكاتبة بمنع العربان من الدخول إلى البلاد الشامية قبل فراغ الزرع.	٣٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص

دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق

٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٨م

إعداد

حسام محمد إسماعيل الناطور

إشراف

الأستاذ الدكتور مصطفى الخياري

يمثل موضوع دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق خلال الفترة الممتدة من سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م- ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م جانباً هاماً من تاريخ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام، فدولة المماليك الجراكسة قامت على أسس تختلف عن الأسس التي قامت عليها دولة المماليك الأتراك، إذ استند السلطان برقوق على المماليك الجراكسة في سياسته الداخلية. فضلاً عن تركيز الدراسة على التغيرات التي حدثت بانتقال السلطة من المماليك الأتراك إلى المماليك الجراكسة، وأثر هذه التغيرات على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمران.

وتكمن أهمية دراسة الموضوع في السياسة الخارجية للسلطان برقوق التي نتج عنها احتلال دولة المماليك مركز الصدارة في فترة الدراسة وتبوئها زعامة العالم الإسلامي، فضلاً عن التركيز على النظم الإدارية والعسكرية وما طرأ عليها من تغيرات وتطورات باعتبار فترة الدراسة فترة تحولات وتغيرات جذرية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمران في مصر وبلاد الشام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك كان الهدف من اختيار موضوع دولة المماليك في عهد السلطان برقوق هو توضيح مدى استمرارية الحياة السياسية من فتن وثورات في فترة حكم دولة المماليك الأولى، والتغيرات التي طرأت عليها أثناء فترة حكم السلطان برقوق، وإبراز دور السلطان برقوق في التغيرات والتحولات الجذرية في المؤسسة العسكرية، وتوضيح أثر هذه التغيرات العسكرية على الأوضاع الداخلية والخارجية، وإبراز الحياة الاقتصادية والاجتماعية من تطورات وتغيرات واضطرابات، وتوضيح التغيرات الاجتماعية، ودراسة الحياة الثقافية، وإبراز دور السلطان برقوق فيها، وإبراز الحياة العمرانية مثل المدارس، والمساجد، والجسور، ومدى اهتمام السلطان برقوق في إنشائها.

تقسم الدراسة إلى ستة فصول مع خلاصة لكل فصل، وتحليل للمصادر والمراجع وملحق، وقائمة بالمصادر والمراجع.

ففي الفصل الأول: تناولت أوضاع السلطنة قبل تولي برقوق السلطة، ودور برقوق في الصراع على السلطة، وولاية برقوق الأولى للسلطنة، والفتن والثورات مثل ثورة الطنبغا الأشرفي، ومحاولة الخليفة المتوكل على الله الوصول إلى السلطنة، وحركة أحمد بن البرهان، وثورة منطاش ويلبغا الناصري، وخلع السلطان برقوق من السلطنة وسلطنة الأمير حاجي، واختلاف منطاش والناصري على السلطة، وعودة السلطان برقوق ثانية إلى السلطة، والثورات الداخلية كثورات العربان، والعلاقات الخارجية لدولة المماليك في عهد السلطان برقوق، مثل علاقة دولة المماليك مع تونس، والمغرب والجزائر وجنوه والبندقية وتبريز وغيرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الثاني: فقد عالجت فيه تطور النظام الإداري في الدولة، وبينت فيه التغيرات والتطورات التي طرأت على مختلف مؤسسات الدولة العسكرية (أرباب السيوف) مثل نيابة السلطنة والأتابكية، ورأس نوبة وغيرها. والديوانية (أرباب الأقلام) مثل الوزارة، وديوان الإنشاء، ونظر الخاص، ونظر الجيوش والإدارة المحلية في نيابات السلطنة في مصر مثل: ولاية القاهرة، وولاية القرافة، وولاية القلعة. وإدارة نيابات السلطنة في مصر مثل: نيابة الاسكندرية، ونيابة الوجه البحري، ونيابة الوجه القبلي. وكذلك الإدارة الدينية مثل قضاء القضاة، والإفتاء ووكالة بيت المال والحسبة، والإدارة المحلية لنيابات السلطنة في بلاد الشام. ثم عالجت قضية بيع الوظائف (البذل والبرطلة). وألحقت الفصل بخلاصة عامة بينت فيها التطورات والتغيرات التي طرأت على مختلف مؤسسات الدولة.

أما الفصل الثالث: فقد عالجت فيه المؤسسة العسكرية (الجيش) من حيث البنية البشرية، ومصادر الحصول على المماليك، وعناصر الجيش، وفرق الجيش، والرتب العسكرية، ونظام الترقية والتقاعد، ومخصصات الجيش النقدية والعينية، والإدارة العسكرية. وجعلت في نهاية الفصل خلاصة أجملت فيها التطورات والتغيرات التي طرأت على المؤسسة العسكرية.

أما الفصل الرابع: فقد تناولت فيه الحياة الاقتصادية من حيث الزراعة، والصناعة، والتجارة، والأسواق التجارية، والأسعار والعوامل المؤثرة فيها، والضرائب، والنقود، والأوزان والمكاييل والمقاييس.

وعالجت في الفصل الخامس الحياة الاجتماعية من حيث فئات السكان، ووسائل التسلية، والمرأة في دولة المماليك، وحفلات الزواج، والأعياد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتناولت في الفصل السادس الحياة الثقافية والعمران من حيث العلوم اللغوية والدينية مثل: الحديث، وعلم القراءات، والفقه، والتصوف، والقضاء، ثم عالجت الحركة الأدبية، والعلوم العقلية كالطب والحساب والميقات والهندسة، والتاريخ، وبينت مدى اهتمام السلطان برقوق في مختلف العلوم.

أما العمائر، فقد قسمتها إلى عمائر دينية مثل: المدارس والمساجد والخوانق. وعمائر عامة كالجسور والقنوات وأحواض المياه ومراكز البريد، وبينت مدى اهتمام السلطان برقوق فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرض وتحليل للمصادر

إن دراسة تاريخ دولة المماليك من مختلف جوانبها السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمران يتطلب الرجوع إلى العديد من المصادر الأولية المتنوعة التي تحاول أن تبرز مختلف هذه الجوانب، وتبين أهم التغيرات والتطورات التي طرأت عليها. وهذا يتطلب من الباحث التدقيق في مؤلفيها ومصادرهم التي اعتمدوا عليها في تدوين الأحداث التاريخية، وثقافتهم، ومراكزهم الاجتماعية لبيان قيمة هذه المصادر وأهميتها.

ولما كان موضوع دراستنا هو عن دولة المماليك في عهد السلطان برقوق من سنة (٧٨٤-٨٠١هـ) من الناحية السياسية والإدارية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعمران، فكان لا بدّ من تنوع المصادر الأولية التي اعتمدت عليه الدراسة لتشمل المصنفات الحولية (الحوليات)، والموسوعات التاريخية والإدارية، وكتب التراجم.

١- الحوليات:

تميزت فترة حكم سلاطين المماليك بظهور العديد من المؤرخين الذين اهتموا بتدوين الأحداث التاريخية حسب نظام الحوليات (السنين) اعتماداً على ترتيب السنوات والشهور والأيام مختتمين ذلك بقائمة وفيات أشهر أعيان الدولة؛ كابن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرات[1]، والمقريزي[2]، وابن حجر العسقلاني[3]، وابن تغري بردي[4]، وابن الصيرفي[5]، وابن إياس[6].

ويعدّ ابن الفرات في تاريخه من أبرز المؤرخين الذين عاصروا فترة حكم السلطان برقوق وجزءاً من فترة حكم ابنه السلطان الناصر فرج. حيث دون أغلب الأحداث التاريخية التي عاصرها في فترتهما. إذ انتهت أحداث كتابه التاريخ إلى سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م[7].

وبالرغم من أن السمة العامة لألفاظ الكتاب تتصف بالعامية[8]، إلا أنه أغنى الدراسة بمعلومات هامة في الفصل الأول عن الأوضاع السياسية في الدولة كثورات العربان في مصر وبلاد الشام[9]. أما في الفصل الثالث فقد زودنا بإحصائية دقيقة لأعداد المماليك الذين اشتراهم السلطان برقوق أثناء فترة حكمه،

---

(١) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م- ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م). المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٦٤. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص٥١. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٧٨-٣٧٩.

(٢) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م- ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٤١٥-٣٢٠.

(٣) أحمد بن عبد الله بن محمد بن الكناني العسقلاني (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م-٨٥٢هـ/١٤٤٨م). السخاوي، ذيل رفع الأصر، ص٧٥-٨٨. والشوكاني، البدر الطالع، ص٨٧.

(٤) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي اليشبغاوي (٨٧٤هـ/ ١٤٦٠م). السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٣٠٥. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٨١٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥-٤٦.

(٥) نور الدين علي بن داود (٨١٩هـ/ ١٤١٦م- ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م). السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٢١٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٠٩-٣١٠.

(٦) محمد بن أحمد بن إياس الفخري (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م- ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م). ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٤-١٤٥.

(٧) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٤١-٣٤٢.

(٨) السخاوي، أبناء الغمر، ج٥، ص٢٦٧. والضوء اللامع، ج٨، ص٥١. ووجيز الكلام، ج١، ص٣٧٨.

(٩) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٤٨، ٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو عن طريق الإهداء من السلاطين والأمراء. ومصادر الحصول على المماليك وعناصرهم[1]. كما وضح أسباب بعض الأحداث التاريخية كتقاعد الأمراء والمماليك من الخدمة العسكرية[2]. كما قدم معلومات اقتصادية هامة كالصناعة والتجارة والأسواق التجارية، والنقود[3].

ويعد كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» لتقي الدين المقريزي من المصادر الأساسية التي لا غنى للباحث عنها في دراسة تاريخ دولة المماليك. فالمقريزي من المؤرخين البارزين الذين اهتموا بتدوين أدق التفاصيل عن دولة المماليك، والمعاصرين لفترة حكم السلطان برقوق، والمقربين إليه، وأحد موظفي الدولة، فقد تولى عدة وظائف هامة في الدولة كالقضاء، والحسبة[4].

وأفاد المقريزي في تسجيل الأحداث التاريخية التي لم يعاصرها من كتابات غيره من المؤرخين كابن الفرات[5]، أما الأحداث التي عاصرها فقد اعتمد فيها على السماع مباشرة حيث يذكر «ذكر العتائقي عن نفسه أنه أنفق من توريز (تبريز) إلى مصر مائتين وخمسين ألف درهم»[6]. أو المشاهدة بنفسه إذ يذكر «وفي هذه الأيام شرع الأمير جركس الخليلي في عمل جسر بين الروضة وجزيرة أروى... حتى تم الجسر فلم يفد شيئاً»[7]. كما تولى المقريزي منصب الحسبة في القاهرة مما ساعده في نقل قوائم متكاملة عن حركة الأسعار في الدولة.

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٣، ٥٥، ٨٩، ٤٥٦، ٤٥٩.

(٢) المصدر ذاته، م٩، ج٢، ص٣٩٩، ٤٠٠.

(٣) المصدر ذاته، م٩، ج٢، ص١٤٣، ٢٦٣، ٣٦٩، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٦٤، ٤٧٠.

(٤) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٤١٥-٤٢٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص١٧٠. والسخاوي، التبر المسبوك، ص٢١.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ٥١.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٤٤، ٥١٧.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٦٩، ٤٧٠، ٥١٥، ٥٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك قدم المقريزي في كتابه السلوك معلومات ذات قيمة عالية عن دولة المماليك الأتراك التي سبقت فترة حكم السلطان برقوق والظروف التي ساعد برقوق في الوصول إلى السلطنة[1]. كما قدم في الفصل الثاني معلومات غاية في الأهمية حول تطور النظام الإداري في الدولة[2]. وأفاد بمعلومات عامة هامة ألقت الضوء على المؤسسة العسكرية والتغيرات والتطورات التي طرأت عليها مثل الحصول على المماليك، وعناصر الجيش والرتب العسكرية[3].

أما في الفصل الرابع فقد زُوّدنا بمعلومات اقتصادية في مجال الصناعة، والتجارة، والأسواق التجارية، والأسعار والعوامل المؤثرة فيها، والضرائب[4]. وتحدث في الفصل الخامس عن الحياة الاجتماعية كطبقات المجتمع، ووسائل التسلية[5].

وصنف ابن حجر العسقلاني كتاب أنباء الغمر بأنباء العمر، تميز فيه عن غيره من المؤرخين في أنه نهج في تأليفه أسلوب الحوليات وكتب التراجم معاً. ابتدأ فيه بذكر الأحداث التاريخية حسب السنوات بشكل مختصر، ثم أعطى الاهتمام لتراجم الوفيات في نهاية كل سنة وذكر خلالها أهم الأحداث التاريخية التي مرت بها.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠٤، ٤٣٤، ٤٤٨، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٨٢، ٧٥٧، ٧٨٨، ٨٠٣، ٨٠٥، ٨٠٦.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٤٩٣، ٥١٣، ٥٢٤، ٧٥١، ٨٣٣، ٩١٦، ٥١٦، ٤٧٨.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق١، ص٤٠٣، ج٣، ق٢، ص٨٩، ١٤٣، ٤٥٦، ٥٨٩، ٦٤٩، ٦٥١، ٩٠٧.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٢٢، ٥٤٧، ٨٩٩، ٥٠٨، ٥٠٩.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٤٢١، ٤٨٠، ٥٦٣، ٧٠٥، ٩٤٤، ٨٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء تصنيف ابن حجر العسقلاني في كتابه أنباء الغمر بأنباء العمر ليكون ذيلاً على كتاب البداية والنهاية لابن كثير[1]. تناول فيه تاريخ مصر وبلاد الشام في الفترة ما بين سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م وسنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م. وتبدو أهمية هذا الكتاب كمصدر أساسي لتاريخ دولة المماليك؛ لاعتماده على العديد من مؤلفات مشايخه ومعاصريه من المؤرخين كتاريخ ابن الفرات[2]، وصارم الدين ابن دقمان[3]، والمقريزي[4]. حيث أفاد هذا الكتاب في دراسة دور برقوق في الصراع على السلطة في فترة حكم السلطان حاجي بن شعبان[5]. ودراسة الأوضاع السياسية الداخلية لدولة المماليك في عهد السلطان برقوق كالفتن والثورات[6]. كما عرض معلومات اقتصادية هامة كالأسعار والعوامل المؤثرة فيها[7]، والضرائب[8]، ودراسة الحياة الاجتماعية مثل طبقات المجتمع، ودور المرأة[9]، كما أفاد بدراسة الحياة العلمية حيث قدم تراجم عديدة لأبرز العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء الذين عاصروا حكم السلطان برقوق[10].

---

(١) ابن كثير إسماعيل بن عمر (٧٠١هـ/ ١٣٠١م- ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، ج١٤، ص١٣٢-١٣٤. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٤٥-٤٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ص٢-٣.

(٤) المصدر ذاته، ج١، ص٣.

(٥) المصدر ذاته، ج١، ص٧٤٥، ٢٥٣.

(٦) المصدر ذاته، ج٢، ص٩٤، ٢٢١، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٨٥، ٣٨٦. ج٥، ص٣٢٥، ٢٩٢، ٢٩٣.

(٧) المصدر ذاته، ج٢، ص٩٣، ١٣٧، ١٩١، ٢٢١، ٢٥٢. ج٣، ص٢١٦، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٢٩.

(٨) المصدر ذاته، ج٢، ص٦٤. ج٣، ص٣٢٢.

(٩) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٣٧٥، ٥٢٦. ج٢، ص١٧٩، ١٨٠، ١٨١. ج٣، ص٢٩٠، ٢٩١، ٣٢٥.

(١٠) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٦، ٣٠٠، ٣٠١. ج٣، ص١٣٥، ١٣٦، ٢٥٧، ٣٩٨، ٤٠١. ج٤، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعدّ كتاب ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٠م) «النجوم الزاهرة» من المصادر الأساسية بالغة الأهمية لفترة الدراسة، كونه من المعاصرين لفترة حكم السلطان الظاهر برقوق، واشتراك والده في الأحداث التاريخية كواحد من الأمراء المماليك.

بدأ ابن تغري بردي كتابهُ بالتأريخ لمصر من الفتح الإسلامي زمن عمرو بن العاص سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م. وانتهى به حتى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م. ثم قسم الكتاب على أساس حكم السلاطين لمصر بالترتيب، ثم أورد وفيات أهم الأعيان في سنوات حكم كل سلطان. واستفاد ابن تغري بردي من مؤلفات غيره من المؤرخين المعاصرين وغير المعاصرين كبيبرس الدواداري حيث يذكر «قال الأمير بيبرس الدواداري في تاريخه...»[١] وابن دقماق «وقال ابن دقماق في تاريخه»[٢] وصلاح الدين الصفدي[٣]. وبدر الدين العيني فيذكر «قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني في تاريخه»[٤]، كما نقل بعض الأحداث عن المقريزي[٥].

واعتمد في تدوين الأحداث التاريخية التي عاصرها على السماع مباشرة من بعض ثقات عصره كعلاء الدين علي القلقشندي فيذكر «حدثني العلامة علاء الدين القلقشندي»[٦]. كما نقل بعض الأحداث عن والده مباشرة فيذكر «وفي سابع عشرة قدّم الوالد تقدمة إلى السلطان وكانت نيفاً وعشرين مملوكاً»[٧].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٤.

(٢) المصدر ذاته، ج٩، ص٢٠.

(٣) المصدر ذاته، ج٩، ص١٥٢.

(٤) المصدر ذاته، ج١١، ص٨١.

(٥) المصدر ذاته، ج١١، ص٢٥٥.

(٦) المصدر ذاته، ج١١، ص٨١.

(٧) المصدر ذاته، ج١٢، ص٧٥، ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك تميز ابن تغري بردي بالدقة في نقل الأحداث وأغنى الدراسة في الفصل الأول بمعلومات هامة حول الظروف التي ساعدت السلطان برقوق في الوصول إلى السلطنة[1]. والعلاقات الخارجية لدولة المماليك مع الدول الأخرى[2].

كما أفاد الكتاب بشكل واضح في الأجزاء (١١-١٢) في توضيح تطور النظام الإداري[3]، وتكوين البنية البشرية للجيش، وفرق الجيش، وعناصره، ورتبه[4]. كما قدّم معلومات اقتصادية هامة كالضرائب والمكوس، والأسواق، والأسعار[5]. وكذلك أفاد في دراسة الحياة الاجتماعية[6].

ويعدّ كتاب نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان لابن الصيرفي من المصادر الأساسية الحولية الهامة رغم عدم معاصرته لفترة الدراسة. فقد ابتدأ ابن الصيرفي كتابه هذا من بداية تأسيس السلطان الظاهر برقوق دولة المماليك الجراكسة سنة ٧٨٤هـ/ ١٢٨٢م وانتهى به إلى أحداث سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م.

تميز ابن الصيرفي بالدقة في تدوين الأحداث التاريخية فقد تتلمذ على أيدي كبار المؤرخين في عصره واستفاد منهم كالمقريزي، وابن حجر العسقلاني والعيني وابن تغري بردي، والسخاوي والسيوطي. أما ثقافته فكانت هي ثقافة عصره المألوفة من حيث النظر في كتب الفقه واللغة والنحو والأدب وأصول الدين[7].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦٦، ٧٩، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٠، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٧، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٠.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٦١.

(٣) المصدر ذاته، ج١٢، ص٨، ٣٠، ٣٧، ٧٩، ١٥١، ٢٢٧، ٢٣٩.

(٤) المصدر ذاته، ج١١، ص٩٤، ١٢٨، ١٥٦. ج١٢، ص٧٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٦٨، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٣٧.

(٥) المصدر ذاته، ج١١، ص١١٠، ١١٢، ٢٦٩، ٢٧٠.

(٦) المصدرذاته، ج١١، ص٢٧٠، ٢٧٦، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٣٤. ج١٢، ص٢، ٣، ٥٥، ١٣١.

(٧) حسن حبشي، مقدمة نزهة النفوس، ج١، ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفاد كتاب نزهة النفوس في دراسة مواضيع مختلفة من الدراسة مثل دور برقوق في الصراع على السلطة، وخلعه من السلطنة والعودة إليها مرة أخرى[1]. والثورات الداخلية في الدولة كثورات العربان وتعدياتهم على مصر وبلاد الشام[2]. ودراسة تطور النظام الإداري بشكل عام[3]، ودراسة المؤسسة العسكرية مثل عناصر الجيش ونظام الترقية والتقاعد[4]. كما أفاد الدراسة بمعلومات اقتصادية هامة تتعلق بحركة الأسعار والعوامل المؤثرة فيها والضرائب[5]. ودراسة الحياة الاجتماعية ولا سيما فيما يتعلق بطبقات المجتمع[6].

وبالرغم من أن كتاب ابن إياس بدائع الزهور في وقائع الدهور من المصادر المتأخرة لفترة الدراسة؛ إلا أنه يعدّ من المصادر الأساسية التي عالجت تاريخ دولة المماليك منذ نشأتها وحتى سقوطها وانتقال السلطنة للدولة العثمانية. وقد أغنى هذا الكتاب الدراسة في مختلف الجوانب السياسية مثل دور برقوق في الصراع على السلطة، وتولي برقوق السلطنة، والفتن والثورات مثل ثورة الطنبغا الأشرفي، ومحاولة الخليفة المتوكل على الله الوصول إلى السلطنة، وحركة أحمد ابن البرهان، وثورة منطاش ويلبغا الناصري[7]. كما أفاد في دراسة تطور النظام

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٧، ٣٨، ١٩٧، ٢١٤، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٦٠، ٢٦٦، ٣٣٨.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص٧٢، ٧٣، ٧٦، ١٣١، ٢٧٨، ٣١٢، ٣٦٣، ٣٧٥، ٣٧٣.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ص٤٨، ٤٩، ٩٧، ١٠٦، ١٦٨، ٢٨٧، ٣١٢، ٤٠٥، ٤٠٦. ج٢، ص٢٢٦، ٢٤٩، ٣١٠.

(٤) المصدر ذاته، ٤٩-٥٠، ١٧٦، ٢١٠، ٣١١، ٤٩٩. ج٣، ص١٦٣.

(٥) المصدر ذاته، ج١، ص١٢٣، ١٣٠، ١٦٧، ٣٣٣، ٤١٤، ٤٣٠، ١٧٠.

(٦) المصدر ذاته، ج١، ص١٦١، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٣٦، ٣١٧، ٣٣٥، ٤٢٦.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٧٥، ٤١٧. ج١، ق٢، ص٢٢٢، ٢٨٠، ٣٣٥، ٤٣١، ٤٨٧، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧. ج٢، ص٨١، ٨٢، ١٢٥، ١٩٩، ٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإداري[1]، والمؤسسة العسكرية[2]، ودراسة الأوضاع الاقتصادية كالأسعار والعوامل المؤثرة فيها، والأسواق، والضرائب[3]. كما أفاد في دراسة الحياة الاجتماعية والعلمية[4]. وقد انحصرت هذه الفائدة كلها في الجزء الأول بقسميه الأول والثاني والجزء الثاني لاقتصار هذه الأجزاء على فترة حكم السلطان الظاهر برقوق.

وهناك العديد من المصادر الحولية المعاصرة لفترة الدراسة التي ساهمت في بعض جوانب الدراسة كالدرّة المضيئة في الدولة الظاهرية (برقوق) لمؤلفه محمد ابن محمد بن صصري (ت ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م). الذي أفاد في دراسة الأوضاع السياسية في عهد السلطان برقوق كثورة منطاش ويلبغا الناصري، والاختلاف على السلطنة سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٠م[5].

وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (المعروف بالتاريخ الكبير) لمؤلفه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) الذي ساعد في دراسة جوانب متعددة من تاريخ دولة المماليك في عهد السلطان برقوق باعتباره معاصراً لفترة الدراسة، وأحد المقربين من السلطان برقوق ومشاركاً في الحياة السياسية. ويعد ابن خلدون من المؤرخين الذين ساهموا في حصول دولة المماليك على عدد كبير من الخيول العربية الأصيلة من دول المغرب مثل تونس والجزائر والمغرب بعد قدومه إلى مصر سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وطلبه إلى السلطان برقوق في التوسط إليه عند سلطان

---

(١) المصدر ذاته، ج١، ق٢، ص٢٤٩، ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٥٦، ٤٥١، ٤٥٣، ٦٠٦، ٨٠٧.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٠٤، ٢٠٩، ٣٢٣، ٣٢٤، ٤٨٤، ٧٣٣.

(٣) ابن إياس، بدائع السلوك؛ ج١، ق٢، ص١٦٧، ٣٤٢، ٣٦٣، ٣٧٠، ٤٠٧، ٤٨٣، ٥٣٢.

(٤) المصدر ذاته، ج١، ق١، ص٢٩، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٤٩، ٣٦٧، ٥٠١. ج٢، ص٢٣١، ٢٣٢.

(٥) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٣، ٤، ٥، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٨، ٦٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تونس للسماح له باستقدام أولاده إلى مصر [1]. وكتاب الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين لصارم الدين بن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)[2].

٢- الموسوعات التاريخية والمصنفات الإدارية:

تميزت الموسوعات التاريخية والمصنفات الإدارية بشمولها مواضيع مختلفة كالجغرافية والتاريخ والأدب. لذلك تعدّ هذه المصنفات ذات أهمية كبيرة في دراسة تكوين دولة المماليك ورسومهم في مصر وبلاد الشام لمعالجتها جوانب متعددة في الدراسة.

وتعدّ موسوعة النويري[3] نهاية الأرب في فنون الأدب من الموسوعات الهامة والمصادر الأولية التي عالجت إدارة الجيش في دولة المماليك الأتراك، كما قدمت الموسوعة معلومات وضحت بنية ديوان الجيش (الإقطاع) والهيئة الإدارية التي تقوم بالإشراف عليه[4].

كما أفادت الموسوعة في دراسة بعض جوانب الحياة الاقتصادية مثل تقسيم الأراضي الزراعية في مصر وبلاد الشام، والضرائب[5].

وتعدّ موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري[6] من المصادر الهامة في دراسة وتطور النظم الإدارية في دولة المماليك. فقد

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٤٦٧، ٥٧٠، ٥٧١، ١٠٠٦، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١٦، ١٠٤٠، ١٠٤٢.

(٢) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٣٣٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨.

(٥) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢.

(٦) أحمد بن محيي الدين بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ م

ساهمت هذه الموسوعة في رسم الهيكل العام للنظام الإداري من دولة المماليك الأولى من حيث تقسيم وظائف الدولة الإدارية إلى وظائف عسكرية، وديوانية. كما ساهمت في دراسة الإدارة المحلية لنيابات السلطنة في مصر ونيابات بلاد الشام[1].

أما كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لمؤلفه أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) فيعدّ من المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها الدراسة في إبراز بعض التطورات والتغيرات في النظم الإدارية فالقلقشندي من المعاصرين لفترة حكم السلطان برقوق وأحد موظفي الدولة في عهده، فقد عمل كاتباً للسرّ في ديوان الإنشاء من سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م إلى سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م[2]. ومما يدلل على ذلك رسالة التهنئة التي كتبها القلقشندي بخطه للمقر البدري محمود الكلستاني المعروف بالسري (ت٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) يهنئه فيها باستقراره في كتابه السر الشريف بالديار المصرية[3].

وقد أغنت موسوعة صبح الأعشى جوانب متعددة من الدراسة مثل مراسم التعيين: كتعيين السلطان بيبرس المستنصر بالله الخلافة في مصر[4]. ومحاولة برقوق الوصول إلى السلطة، وثورات العربان، ونصوص تقليد بعض أمراء العربان، والعلاقات الخارجية لدولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق[5].

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص٢٧، ٤٧، ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٨-٩.

(٣) المصدر ذاته، ج٩، ص٢٢-٢٤.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ص٢٧٨.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٧، ٦٨، ٦٩، ٢١٠، ٤٢٢، ٤٥٨. ج٧، ص١٧٠، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ٢٢٣. ج١٢، ص٣٧٣، ٤٣١، ٤٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ساهمت الموسوعة في معالجة تطور النظام الإداري والتغيرات التي طرأت عليه مثل الوظائف العسكرية والديوانية والدينية[1].

أما موسوعة المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء لبهاء الدين محمد ابن لطف الله العمري (ألفه نحو سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م فتعد من المصادر الهامة التي ساهمت في دراسة البنية العسكرية والنظام الإداري في دولة المماليك وما طرأ عليها من تطورات وتغيرات[2].

أما المصنفات الإدارية فقد أبدى المؤلفون المسلمون منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي اهتماماً واضحاً بدراسة نظم الحكم والإدارة ومن أهم أولئك المؤلفين كتاب المقريزي "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" لتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) الذي اهتم بدراسة مصر تاريخياً وإدارياً وجغرافياً. وقد أفاد المقريزي في كتابه هذا من مؤلفات سابقة مثل «الخراج» لقدامة بن جعفر فيذكر «وقال قدامة بن جعفر في كتابه الخراج انبعاث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء...»[3]. وكتاب «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة»[4] وابن المتوج[5].

---

(١) المصـــــــدر ذاته، ج٤، ص١٨-١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٢، ٣٣، ١٩٥، ١٩٦، ٤١٥، ٢٤٠، ج١١، ٣٣، ٧٦، ١١٣، ج١٤، ص٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢.

(٢) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٤أ، ١٢٤ب، ١٢٥أ، ١٣٥ب، ١٣٦ب، ١٣٧أ، ١٤٧أ، ١٠٩ب، ١٠٢ب.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٣.

(٤) المصدر ذاته، ج١، ص٣٦٠.

(٥) المصدر ذاته، ج٢، ص٣٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أغنى المقريزي في مصنفه هذا دراسة النظم الإدارية وتطورها في عهد السلطان برقوق [1]. كما أفاد في دراسة البنية البشرية للجيش، ومخصصات الجيش[2]، وأفاد الدراسة بمعلومات اقتصادية كالأراضي الزراعية، والمحاصيل الزراعية، والأسواق التجارية والضرائب[3].

ويعدّ كتاب «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك» لمؤلفه ابن شاهين (ت ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨م) من المصنفات الإدارية التي ساهمت في دراسة التنظيمات الإدارية وتطورها في مصر وبلاد الشام مثل الوظائف العسكرية، والديوانية، والإدارة المحلية لنيابات السلطنة في مصر وبلاد الشام[4]. إذ يعدّ ابن شاهين من المؤرخين الذين امتازوا بالثقة والأمانة في نقل المعلومات. فقد اعتمد في تدوين الأحداث التاريخية على مشاهدات ثقات بعض الناس، والأعيان فضلاً عن مؤلفات من سبقه من المؤرخين[5].

٣- كتب التراجم:

تعدّ كتب التراجم من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ دولة المماليك لأنها نقلت الأخبار المتناثرة المتعلقة بأخبار الشخصيات الهامة التي كان لها أثر واضح في دولة المماليك. فقد أشارت كتب التراجم من خلال كتابه سير هذه الشخصيات إلى بعض التطورات السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية الهامة. وأهم هذه الكتب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني

---

(١) المصدر ذاته، ج١، ص١١١، ٣٥٧. ج٢، ص٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٤٠٦.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص٩٥، ٣٧٤. ج٢، ص٩٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ص٢٨، ٤٤، ٨٨. ج٢، ص٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٩٨، ١٠٠، ١١٢، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤.

(٥) المصدر ذاته، ص٢٤، ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ت٨٥٢هـ/ ١٤٨٤م) من المصادر الرئيسية التي أغنت الدراسة في عرض سير عدد من الأمراء والمماليك والشخصيات الهامة في دولة المماليك[١].

أما كتاب «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» لابن تغري بردي؛ فهو من أهم كتب التراجم التي أشارت بالتفصيل إلى دور برقوق في الصراع على السلطة، وحركة يلبغا الناصري ومنطاش، وعزل السلطان برقوق من السلطة والعودة إليها ثانية. كما أشار إلى بعض المعلومات الاقتصادية المتعلقة بارتفاع الأسعار والعوامل المؤثرة فيها، فضلاً عن عرض سير أشهر الفقهاء والعلماء والأدباء في دولة المماليك[٢].

وثمة العديد من الدراسات الحديثة التي تناولت دولة المماليك من جوانب مختلفة وإن تركز أغلبها على دراسة دولة المماليك في مصر دون بلاد الشام. ومن أهم هذه الدراسات "قيام دولة المماليك الثانية" لحكيم أمين السيد الذي ساهم في دراسة الأوضاع السياسية لدولة المماليك قبل وبعد تولي برقوق السلطة ودوره في الصراع على السلطة[٣]. وكتاب عبد المنعم ماجد «نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم» الذي أفاد في معالجة تطور النظم الإدارية والعسكرية[٤].

ويعدّ كتاب «مصر وسوريا تحت حكم سلاطين الجراكسة» لـ (Popper)، من المراجع الهامة التي أغنت الدراسة في معالجة التطورات التي طرأت على النظم الإدارية والعسكرية في دولة المماليك من خلال كتاب ابن تغري بردي النجوم الزاهرة[٥].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٣٥، ٢١٧، ١٣٥. ج٢، ص١١٤، ١١٥. ج١، ص٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) ابن تغري بردي،، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٩، ٢٠٢، ٢٨٦. ج٤، ص٩٤، ٩٧. ج٣، ص٣٣٩، ٣٤٠.

(٣) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٦٢، ٦٣، ٦٩، ١١٣، ٧.

(٤) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص٥٠، ٩٩، ١١، ١٢، ١٣.

(٥) Popper, Egypt and Syria, p. 96, 90, 95, 99.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة بعض الدراسات الحديثة التي عالجت مواضيع اقتصادية مثل «التجارة الداخلية لدولة المماليك الثانية» لسعيد صالح. حيث ساهمت في دراسة الأسواق التجارية، والأسعار والعوامل المؤثرة فيها، والنقود[1]. وبعض الدراسات الحديثة عالجت المؤسسة العسكرية مثل «الجيش في العصر المملوكي الثاني، البنية، التنظيم، الإدارة» لمحمد عمايرة. حيث عالجت هذه الدراسة تطور مؤسسة الجيش من حيث البُنية البشرية، وفرق الجيش، والرتب والمرتبات، وإدارة الجيش[2].

(١) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٣٨، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٠.

(٢) محمد عمايرة، الجيش في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الحياة السياسية في عهد السلطان برقوق

- تمهيد: أوضاع السلطنة قبل تولي برقوق.
١- برقوق ودوره في الصراع على السلطنة.
٢- ولاية برقوق الأولى للسلطنة.
٣- الفتن والثورات:
أ- ثورة الطنبغا الأشرفي.
ب- محاولة الخليفة المتوكل على الله الوصول إلى السلطة.
ج- حركة أحمد بن البرهان.
د- ثورة منطاش ويلبغا الناصري.
٤- خلع السلطان برقوق من السلطنة وعودة الأمير حاجي.
٥- اختلاف منطاش والناصري على السلطة.
٦- عودة السلطان برقوق إلى السلطة (سلطنته الثانية).
٧- ثورات أخرى.
٨- العلاقات الخارجية لدولة المماليك في عهد السلطان برقوق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة السياسية في عهد السلطان برقوق

- تمهيد: أوضاع السلطنة قبل تولي برقوق.

بعد زوال حكم الدولة الأيوبية بمقتل السلطان تورانشاه وتولي شجر الدّر السلطنة مكانه انتقل حكم مصر وبلاد الشام سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٦٩م إلى المماليك الأتراك بانتخاب الأمير عز الدين أيبك سلطاناً[١].

وبعد خمسة أيام من تسلم السلطان المعز أيبك منصب السلطنة وجد نفسه في موقف حرج حيث لم تلق سلطنته قبولاً في نفوس الناس. إذ أن اختياره لمنصب السلطنة لم يكن مبنياً على أساس قوته بين الأمراء المماليك، فقد كان من أواسط الأمراء مكانة، وليس من أعيانهم، حتى إذا بدا لهم أن المصلحة تقتضي عزله تمكنوا من ذلك دون عناء لضعفه وقله أنصاره[٢]. وقد دفعه ذلك إلى الاتفاق مع بعض الأمراء سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٦٩م على إقامة سلطان آخر من بني أيوب يكون شريكاً له في الحكم، فاتفق رأي الأمراء على تعيين مظفر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف بن المسعود، فبايعوه بالسلطنة وعمره آنذاك ست سنوات، ولقبوه بالملك الأشرف[٣].

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص١٩٨-٢٠٢.

(٢) اليونيني، مرآة الزمان، ص٥٤-٥٥. وبيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٢٧.

(٣) المصدر ذاته، ص٢٨. وابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبتنصيب السلطان الأشرف موسى سلطاناً أصبح في دولة المماليك سلطانان في آن واحد تقام باسمهما الخطبة يوم الجمعة على المنابر[١]. وعندما حاول عدد من الأمراء والمماليك في ٤ جمادى الآخرة سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٦٩م/ ٢١ كانون الأول تنصيب الملك المغيث عمر بن العادل في السلطنة نكاية بالسلطان المعز أيبك لسيطرته على الحكم دون الأشرف موسى، أعلن السلطان المعز أيبك أن البلاد للخليفة العباسي المستعصم بالله، وأنه نائب عنه في الحكم، لكي يضفي الشرعية على حكمه، ويتخلص من معارضيه[٢]. وعندما قوي مركز السلطان المعز أيبك في السلطة بانضمام عدد كبير من المماليك إليه، انتهز فرصة ازدياد خطر التتار على بلاد الشام، وتهديديهم مصر سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، وخلع السلطان الأشرف موسى من السلطنة،وقطع اسمه من الخطبة يوم الجمعة، وسجنه بقلعة الجبل، وانفرد بالسلطنة[٣]. وما أن صفا له الجو، حتى ساءت العلاقة بينه وبين زوجته شجر الدر، بسبب إرساله إلى الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل خاطباً ابنته[٤]، محاولاً بذلك التخلص من شجر الدر، إلا أنها فطنت إلى ما دبّر لها[٥]، ودبرت وسيلة لقتله عندما دخل إلى الحمام، إذْ أعدّت له خمسة من غلمانها وقتلوه[٦]. وقد اضطربت أحوال مصر على أثر مقتل السلطان المعز أيبك سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م وطمع الأمراء في السلطنة، واتفقوا مع من بقلعة الجبل من الأمراء على إقامة أتابك العساكر[٧] سنجر الحلبي في السلطنة، غير أن الأمور لم تتم لهم وقبض عليه. واختير لمنصب

---

(١) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٣٣.

(٢) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٣٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٧٠.

(٤) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٢٩، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠٩.

(٥) علي إبراهيم حسن، المماليك البحرية، ص٣٦.

(٦) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٣٩. وأبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٩٣.

(٧) وهو أكبر الأمراء المقدمين في دولة المماليك بعد نائب السلطنة. راجع الفصل الثاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلطنة علي بن المعز أيبك[١]، وعمره آنذاك حوالي إحدى عشرة سنة، ولقب بالملك المنصور، وعين الأمير سيف الدين قطز أتابكاً له[٢]. غير أن إقامة الأمراء المماليك ابن السلطان أيبك في منصب السلطنة لم يكن إيماناً بمبدأ الوراثة أو احتراماً لأستاذهم، وإنما لتهدئة الأمور، وليتسنى للأقوى من الأمراء خلع الوريث والحلول مكانه ولا سيما أن الوريث كان صغير السن. فقد حاول عدد كبير من المماليك البحرية الهاربين من مصر إلى بلاد الشام بقيادة بيبرس البندقداري التحالف مع الملك المغيث عمر في الكرك والثورة على السلطان علي بن أيبك والاستيلاء على السلطة في ٢١ ربيع الآخرة سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م لكن الأمير قطز أتابك العساكر تمكن من هزيمة الملك المغيث عمر والقبض على عدد من المماليك البحرية وقتلهم[٣]. وازداد الأمر سوءاً بتقدم التتار بعد اجتياح بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م نحو مصر، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله. فاستغل الأمير قطز الفرصة، وأعلن أن السلطان علي صغير السن لا يحسن تدبير الأمور في مثل هذه الظروف الصعبة، لأن الوقت يحتاج إلى سلطان ذي جرأة وسداد رأي ليتمكن من الوقوف في وجه الاجتياح التتري الزاحف نحو مصر[٤]. وانتهز الأمير قطز فرصة خروج كبار الأمراء المماليك إلى الصيد سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م وقبض على السلطان علي وأخويه وأمهما، وسجنهم بقلعة الجبل، وأعلن نفسه سلطاناً على مصر، وتلقب بالملك المظفر[٥]. وبعد عودة الأمراء من الصيد أنكروا على الأمير قطز اغتصاب السلطنة، فاعتذر لهم بقوله:« إني ما قصدت إلاّ أن نجتمع على قتال المغول، ولا يتأتى ذلك بغير ملك، فإذا ما خرجنا وكسرنا العدو، فالأمر لكم. تقيمون في السلطنة من

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٢٧.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٩٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠٩.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤٥-٤٦.

(٤) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٥٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤١٨. وسعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شئتم»[١]. ثم أخذ السلطان قطز بتثبيت سلطنته بالإكثار من مماليكه، وزيادة أعطياتهم، للوقوف معه في مواجهة التتار.

وبعد انتصار السلطان قطز على التتار سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م في معركة عين جالوت[٢]، اتفق عدد من الأمراء المماليك بزعامة الأمير بيبرس البندقداري على قتل السلطان قطز بسبب خلاف حول ولاية بيبرس نيابة حلب[٣]، التي وعده بأن يكون نائباً عليها ثم أعطاها لصاحب الموصل[٤]. فقتلوه، وذلك في ١٧ ذي الحجة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م[٥].

وبمقتل السلطان قطز، انتقلت السلطنة إلى الأمير بيبرس، بعد أن امتنع عن قبولها أكثر أمراء المماليك[٦]، إذ بعد مقتل السلطان قطز صار كل واحد من الأمراء يخشى القتل[٧].

وبعد اعتلاء السلطان بيبرس السلطنة اقتضت الظروف إلى التفكير في إحياء الخلافة العباسية بعد مقتل الخليفة المستعصم بالله على يد التتار في بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[٨]، لاضفاء الشرعية على حكمه[٩]. ولكي يحقق ذلك، استقدم

---

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٩٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٩٩.

(٢) أكرم حسن العلبي، معارك المغول، ص٧٧.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٨. أكرم العلبي، معارك المغول، ص٧٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٤.

(٥) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٤٥.

(٦) المصدر ذاته، ص٤٥.

(٧) العيني، عقد الجمان، ج١، ص٢٦٢.

(٨) محمد مصطفى زيادة، ملاحظات جديدة، ص٧٥-٧٦.

(٩) عبد المنعم ماجد، ١٩٧٩م، نظم سلاطين المماليك، ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمير أحمد ابن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بالله العباسي[١]. وعندما وصل الأمير العباسي من دمشق سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م خرج السلطان بيبرس للقائه، وسار به إلى باب النصر من أبواب القاهرة، ثم سار به حتى قلعة الجبل[٢]. وعقد السلطان بيبرس للأمير أحمد مجلساً في رجب سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م، بحضور قاضي القضاة ونواب الحكم والفقهاء، وأثبت صحة نسبه فهو الأمير أحمد ابن الخليفة الظاهر[٣]. وعندما بدأت مراسم البيعة للخليفة كان أول من بايعه قاضي القضاة، ومن بعده قام السلطان بيبرس وبايع الخليفة الجديد الذي تلقب بالمستنصر بالله على العمل بكتاب الله[٤].

ولما أكمل السلطان بيبرس مراسم البيعة للخليفة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م فوّض الخليفة المستنصر بالله إلى السلطان بيبرس حكم البلاد الإسلامية، ولقبه قسيم أمير المؤمنين. وقام الناس، وبايعوا الخليفة، وكتب السلطان بيبرس إلى سائر الملوك والنواب والممالك بأخذ البيعة للخليفة، والدعوة له على المنابر يوم الجمعة قبل السلطان بيبرس، وأن تنقش السكة باسمها[٥].

وحين عزم السلطان بيبرس على إعادة الخليفة العباسي إلى بغداد -بناءاً على طلب الأخير-، وشرع في إعداده للسفر، وجهز العسكر الذي سيرافقه، وجميع ما يلزمه[٦]. سار الخليفة المستنصر بالله نحو العراق، وفي الطريق إلى بغداد

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٤٨، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص٢٢٧.

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٩٥.

(٣) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٤٧.

(٤) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج١، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٥) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٤٧.

(٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٩٦. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج١، ص٢٢٩-٢٣٠. والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصدى له التتار، وحاربوه، وشتتوا عساكره، وانتهى أمره بالقتل[١]. ولما بلغ السلطان خبر مقتله حزن عليه[٢].

غير أن السلطان بيبرس شعر بوجوب إكمال ما بدأ به من عمل إحياء الخلافة واستمرارها في مصر، فقرر سنة ٦٦١هـ/ ١٢٢١م تنصيب خليفة آخر وهو الأمير أبي العباس أحمد بن محمد بن الحسن ابن الخليفة الراشد بالله، واحتفل السلطان بيبرس بمقدمه، وأنزله في البرج الكبير داخل قلعة الجبل، ورتب له كل مايحتاج إليه[٣].

وتمّت مراسم استقبال الأمير أحمد بن علي ومبايعته وتحقق السلطان بيبرس من نسبه على النحو الذي جرى للخليفة المستنصر بالله، وتلقب الحاكم بأمر الله[٤]، ولم يسمح للخليفة بالخروج، أو التصرف بشيء، وضيق عليه[٥]. مع إبقاء مهام الخليفة في حدها الضيق كمنح التفويض للسلطان، والصعود إلى قلعة الجبل مع القضاة الأربعة لتهنئة السلطان في بداية كل شهر[٦].

وبعد أن ثبت السلطان بيبرس نظام السلطنة أصدر سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م مرسوماً يقتضي تولية ابنه بركة خان سلطاناً من بعده، واتخذ الإجراءات والمراسيم المتممة لذلك، وكتب له بذلك تفويضاً[٧]. وبقي الأمير بركة في ولاية

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٦٣.

(٢) علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٢١٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٦٨. وابن إياس، جوهر السلوك، ورقة ٤٠٢أ.

(٤) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٠. وابن إياس، جوهر السلوك، ورقة ٤٠٢ب.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٧٨.

(٦) إبراهيم بك جلال، ١٩٣٠، الخلافة العباسية، ص٨١٨.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العهد إلى أن توفي السلطان بيبرس في دمشق سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م[١]، فجدّد كبار الأمراء المماليك، والأعيان، والقضاة، وسائر العسكر الإيمان في السلطنة لبركة خان[٢]، ولقب بالملك السعيد، وعمره تسع عشرة سنة. وقد بدأ حكمه باللهو والملذات والمجون وتقريب أمرائه بإجزال العطاء لهم وإبعاد أمراء والده الكبار، مما أثار هؤلاء عليه واتهموه بسوء الرأي والتدبير[٣]، وخرجوا عن طاعته وحاصروه بقلعة الجبل وأجبروه على خلع نفسه من السلطنة ومنحه قلعة الكرك للإقامة بها[٤].

وقد فشل السلطان بيبرس من إقامة نظام ولاية العهد، وجعل السلطنة وراثية في أبنائه لصغر سن السلطان بركة خان[٥].

وبخلع السلطان بركة خان من السلطنة عرض كبار الأمراء المماليك، والأعيان منصب السلطنة على الاتابك الأمير سيف الدين قلاوون[٦]، غير أنه امتنع عن قبول السلطنة لعدة عوامل أهمها: أن أغلب العساكر في الدولة من مماليك السلطان بيبرس، وغالبية نيابات السلطنة بيد أمراء السلطان بركة خان، فقصد من ذلك السيطرة على زمام الأمور، والتخلص من أمراء السلطان بركة في نيابات مصر وبلاد الشام للوصول لمنصب السلطنة[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٦٤٣.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ق٢، ص٦٤٣.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١١، والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٦٥١-٦٥٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٠٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٧٦٩.

(٥) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص٤٣.

(٦) أحد أمراء المماليك جُلب من بلاد القبجان، اشتراه الأمير علاء الدين آقسنقر الساقي بألف دينار. الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندئذٍ تحالف كبار أمراء المماليك وأعيان الدولة على عدم تمكين الأمير قلاوون من تولي منصب السلطنة لما عرف عنه من القوة، واتفقوا على تنصيب الأمير سلامش ابن السلطان بيبرس في السلطنة، وعمره سبع سنين، ولقب بالملك العادل، وعين الأمير قلاوون أتابك العساكر ومدبراً للسلطنة[١]. وعندما تمكن الأمير قلاوون من التخلص من المماليك الظاهرية، ونواب السلطان بركة خان بالنفي والقتل، واستأثر بالحكم ولم يبقَ للسلطان سلامش سوى الاسم ولقب السلطنة[٢]. جمع كبار الأمراء المماليك، وأعيان الدولة، والقضاة، واستشارهم في أمر صغر سن السلطان سلامش، وتمّ الاتفاق على عزل السلطان سلامش، ونفيه إلى الكرك[٣]، وتنصيب الأمير قلاوون في منصب السلطنة، فتم ذلك ولقب بالمنصور، وذلك سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٧م[٤].

وحين تولى السلطان قلاوون السلطنة سلك طريق السلطان بيبرس في تعيين ولي العهد من بعده غير معتبر لما حدث لأبناء السلطان بيبرس على يده من العزل والنفي[٥]. وعهد بولاية العهد والسلطنة لولده علاء الدين في حياته سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٧٦م، ولقبه بالملك الصالح، وكتب له تقليداً بذلك، وخطب له يوم الجمعة على المنابر في مصر وبلاد الشام[٦].

٤٩٣٩١٤

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٠٥. وأبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٦٥٨.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ق٢، ص٦٥٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٦٥٨.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٢-١٣.

(٥) المقريزي، السلوك ج١، ق٢، ص٦٨٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٣.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون تولى منصب السلطنة بعهد منه ولده أبو بكر، ولقب بالملك المنصور كلقب جده، وعمره نحو عشرين عاماً[١].

وقد أخذ السلطان الجديد يقرب أمراءه ومماليكه، وعكف على اللهو وشرب الخمر، والملذات تاركاً أمور الدولة لأمرائه، فأنكر كبار الأمراء والمماليك أفعاله، لكنه تمادى في لهوه ومجونه، وجاهر فيه، مما دفع الأمير قوصون[٢] القائم بتدبير الدولة توبيخ ندماء السلطان أبي بكر، وأخبرهم أن الأمراء أنكروا أفعالهم، فأخذ ندماء السلطان في إيقاع الفتنة بين السلطان المنصور أبي بكر والأمير قوصون، وحرضوا السلطان على القبض على الأمير قوصون.

لكن الأمير قوصون بدأ بالاستعداد لمواجهة السلطان وندمائه، وهم في غمرة لهوهم، وتمكن من إلقاء القبض على السلطان وندمائه الذين أفسدوه، وأرسله إلى سجن قوص[٣] ثم قتله[٤]. وأصبح الأمير قوصون بعد ذلك صاحب الكلمة النافذة في الدولة، إذ بايع الأمير كجك[٥] بالسلطنة سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م وعمره آنذاك نحو خمس سنين. واستبدّ الأمير قوصون بالسلطنة، وتصرف بأمور الدولة، حتى أصبح السلطان المنصور معه «كالعصفور في يد النسور»[٦]. فناصابه الأمراء العداء

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٥١. وانب تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣.

(٢) أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون، رقاه حتى صار أكبر أمرائه. قتل بسجن الاسكندرية. المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦١٥.

(٣) قوص، مدينة كبيرة في صعيد مصر. المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٣٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٦٧-٥٧٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٢-١٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٨٨-٤٨٩.

(٥) محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص٥٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٧١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٩٠-٤٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصة الأمير صَرَغْتُمَش[١] الذي أمر العامة بنهب بيته، وأثار العساكر عليه وعلى جنده، حتى تمكن من القبض عليه. وخلع السلطان المنصور في أول شعبان وبعث يستدعي الناصر أحمد من الكرك لتعيينه سلطاناً[٢]، فبويع بالسلطنة بقلعة الكرك قبل خلع أخيه السلطان كجك[٣]، ودعي له على المنابر يوم الجمعة في القاهرة[٤].

ورغم تسلم السلطان أحمد صلاحيات السلطنة إلا أنه ترك القاهرة مركز السلطنة وتوجه إلى الكرك، وبعث كتاباً إلى الأمراء يعرفهم فيه أن مصر والشام والكرك له، وأنه يقيم حيث يشاء[٥]، فاضطر الأمراءإلى خلعه من السلطنة في ٢١ شعبان سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م وعينوا أخاه إسماعيل الذي لم يخص بسلطنة هادئة، فقد ثار في وجهه أخوه السلطان الناصر أحمد الذي اعتصم بقلعة الكرك وقاتل جند أخيه السلطان الصالح إسماعيل، حتى تمكّن السلطان الصالح إسماعيل من القبض عليه، وقتله سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م[٦].

توفي السلطان الصالح إسماعيل في ٤ ربيع الأول سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥ فآلت السلطنة إلى أخيه شعبان، ولقب بالملك الكامل، وحلف أولاً للأمراء على عدم التعرض لهم بالسجن أو النفي لتخوّفهم منه على ما يبدو ثم حلفوا له[٧]، لكنه لم يكن بأحسن من سابقيه من السلاطين، فقد تنكّر للأمراء، وقبض على بعضهم. مما

---

(١) الأمير الكبير سيف الدين صَرَغْتُمَش الناصري، دبر أمور الدولة، له معرفة بالفقه على مذهب أبي حنيفة، يعرف العربية، قتل بسجن الاسكندرية سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م). المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٤٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٩٣-٥٩٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٥٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٥٠.

(٤) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٩. والمقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٩٥.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٤، ص٩٥٣. والمقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦١٨.

(٦) محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص٥٥.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٨١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدى إلى خروجهم عن طاعته، وإجباره على خلع نفسه من السلطنة، وقام أمير حاجي بالسلطنة سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م مكانه[١].

سار السلطان أمير حاجي على طريق سابقيه من السلاطين، وأظهر من الخلاعة والمجون الشيء الكثير، فقد انكبّ على الملذات، وشغف بجارية سوداء تسمى (إتفاق العوّادة). وأنكر الأمراء والمماليك تصرفاته[٢]. غير أنه ازداد في مجونه ولهوه، وأخذ يلهو بالحمام، ونطاح الكباش، ومناقرة الديون، وصار يجتمع بالأوباش ويلعب مع العوام بالعصي[٣].

وحين علم السلطان حاجي ما ينكر الأمراء عليه من الأمور المذكورة، قال: « والله لأذبحنّكم كما ذبحت الحمام »[٤]. فاتفق الأمراء على التخلص منه، فذبحوه في ١٢ رمضان سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م[٥]. وحاول المماليك إقامة الأمير حسن بن الناصر محمد في السلطنة، غير أن الأمراء رفضوا ذلك لقوته، ورباطة جأشه، وكادت أن تقوم الفتنة بسبب ذلك. وخاف الأمراء تعيين سلطان، فاختاروا أخاه حسناً بالرغم من صغر سنّه، إذ كان يبلغ من العمر نحو إحدى عشرة سنة فسلطنوه، ولقب بالملك الناصر أبي المعالي[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧١٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٥٤. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٣٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٦٨-١٦٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥١٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٤١-٧٤٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٧٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥١٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٤٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٧٣. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٨٣، ٨٥.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٤٤-٧٤٥. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استأثر الأمراء بالحكم وصاروا أصحاب الكلمة المسموعة في الدولة عن طريق تدخلهم في تولية السلاطين وعزلهم، وجعلهم ألعوبة بين أيديهم. وبقي السلطان الناصر حسن أسير هذه السيطرة حتى تمكن في نهاية الأمر من التخلص من بعض الأمراء بالسجن. لكن سرعان ما أخذ الباقي منهم في التدبير للتخلص منه، فركبوا بسلاحهم خارج القاهرة في ٢٧ جمادى الآخرة عند قبة النصر معلنين الخروج عن طاعته، فخرج إليهم وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا:« أنت اتفقت مع مماليكك على القبض علينا، ولا بدّ من إرسالهم إلينا، فلم يستطع رفض طلبهم لقوتهم، وتمكنهم من السلطنة فسلمهم إليهم وقيدوا وبعثوا إلى خزانة شمائل »[١].

عظم الأمر على السلطان أمير حاجي وسير النمنجاة إلى الأمراء[٢]، وخرج إلى دور الحريم فبعثوا إليه أحد الأمراء وجماعة من المماليك، فأخذوه وحبسوه[٣] في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م، وعينوا مكانه أخاه الصالح ولقبوه بالملك الصالح[٤]. وكعادة الأمراء في كل مرة بدأوا في إثارة الفتن، لأن السلطان الصالح صالح اختص بالأمير طاز -أحد خواصه-[٥] فخلعوه من السلطنة، وحبسوه بقلعة الجبل، وأشهدوا عليه بأنه خلع نفسه، وطلبوا السلطان الناصر حسن وتولى منصب السلطنة وذلك في ٣ شوال سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م[٦].

---

(١) خزانة شمائل، سجن يحبس فيه من وجب عليه القتل أو القطع وعرفت بذلك باسم علم الدين شمائل والي القاهرة. المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٨٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٣١.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٨٤١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٣٠-٢٣١. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٣٧.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٥١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٩٢٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٣٦٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدأ السلطان الناصر حسن حكمه بالقضاء على معارضيه من الأمراء والمماليك بالنفي والقتل حتى أصبح سلطان مصر بدون منافسة، وأخذ في تقريب مماليكه بالترقية، كالأمير يلبغا العمري[١] وطيبغا الطويل[٢]. حتى عظم أمرهم إلى الدرجة التي ثقلوا فيها على السلطان الناصر حسن، وأنكروا عليه إعطاء الإقطاعات الكبيرة للنساء والخدم، مما دفع السلطان إلى التفكير بالقبض على الأمير يلبغا العمري[٣].

وفي ٨ جمادى الأولى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م بدت الفرصة سانحة للسلطان الناصر حسن للقبض على الأمير يلبغا العمري عندما خرج مع أغلب أمرائه للصيد وعلم أن الأمير يلبغا العمري يريد قتله، فصبر السلطان الناصر حسن حتى يدخل الليل من غير استعداد ولا اكتراث، استخفافاً بالأمير يلبغا، فعلم الأمير يلبغا من بعض خواصه بما أضمره السلطان الناصر حسن، واستعد لملاقاته وطلب المساعدة من أتباعه، ووعدهم بالإقطاعات، وحذّرهم من السلطان الناصر.

ولمّا دخل الليل قرب السلطان الناصر حسن من خيمة الأمير يلبغا الذي خرج إليه بمن معه وقاتله حتى كسره، فتوجّه السلطان إلى قلعة الجبل، وتزيّا بزيّ الأعراب ليتوجه إلى بلاد الشام، غير أن الأمراء تداركوه، وقبضوا عليه وحملوه إلى الأمير يلبغا العمري، فقتله في ٩ جمادى الأولى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م[٤].

---

(١) يلبغا العمري الخاصكي قتل سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م. ابن قاضي شهبة، تاريخ، (حوادث ٧٥١-٧٨٠هـ)، ج٢، ص٣٩٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٠٩.

(٣) المصدر ذاته، ج١٠، ص٣١٣.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣١٣-٣١٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد مقتل السلطان الناصر، أصبح الأمير يلبغا العمري صاحب الكلمة النافذة في الدولة، حيث عين الأمير محمد بن حاجي سلطاناً، ولقبه بالملك المنصور وكان عمره نحو أربع عشرة سنة[١]، وصار الأمير يلبغا العمري مدبراً لأمور السلطنة[٢]، يعزل من يريد ويولي من يريد، والسلطان المنصور منشغل في الملذات، حتى أشيع عنه الدخول بين نساء الأمراء، واللهو معهنّ، ويخل بالصلاة وغير ذلك، مما نفر قلوب الأمراء منه، واتفقوا على خلعه، فخلع في ١٥ شعبان سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م[٣].

وأقام الأشرف شعبان في منصب السلطنة بإشارة الأمير يلبغا العمري في اليوم الذي خلع فيه السلطان المنصور حاجي. واستمر الأمير يلبغا العمري مدبراً لأمور السلطنة[٤].

وبدت سيطرة الأمير يلبغا العمري واضحة، عندما رأى أن قوة السلطان تتزايد بتقريب مماليكه، فأقام سلطاناً آخر، نكاية في السلطان الأشرف شعبان، واستخفافاً بأمره، وهو آنوك ابن الأمجد حسين أخي الأشرف شعبان، ولقبه بالملك المنصور مما يدل على اختلال نظام حكم مصر في العصر المملوكي الأول، وسيطرة الأمراء على مقاليد الحكم، حتى صارت العامة تتندر بالسلطان آنوك:« سلطان الجزيرة ما يساوي شعيرة »[٥]، وتخلّص الأمراء من الأمير يلبغا بسبب سياسته التي اتّبعها في السيطرة على السلطنة، بتعين الأمير آنوك في الحكم[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٦٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٨٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٦٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦-٧. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٨٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٩٢-٥٩٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٦٤-٦٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٦-٤٧.

(٦) المصدر ذاته، ج١١، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- برقوق ودوره في الصراع على السلطنة.

استمرت فكرة السيطرة على السلاطين من قبل كبار الأمراء واتابكة العساكر حتى فترة حكم السلطان علي بن الأشرف شعبان بن قلاوون. وقد نتج عن استمرار فكرة السيطرة على السلطنة بسبب الصراعات المستمرة بين كبار أمراء المماليك تطلع مملوك من المماليك البرجية[١] لمنصب السلطنة. وهو برقوق بن أنس ابن عبد الله الجركسي العثماني[٢]، - وكان اسمه الطنبغا، فسماه أستاذه يلبغا الكبير برقوق لجحوظ في عينيه-، ولد سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠[٣]. وأصله من بلاد الجركس، الواقعة شمال القفقاس، ضمن منطقتين، تعرف إحداهما ببلاد الجركس الشمالية، وتقع ضمن حوض نهر ترك، وبلاد الجركس الجنوبية الواقعة على نهر قوبان، وقسم من الشاطئ الشرقي للبحر الأسود حتى بلاد الأبخاز جنوباً[٤]. من قبيلة «كسا» إحدى أشهر القبائل الجركسية[٥].

ونشأة برقوق في بلاد الجركس غير معروفة كغيره من سلاطين دولة المماليك. فالمصادر العربية لم تُشر إلى طبيعة الحياة التي عاشها برقوق في بلاد الجركس. أما المصادر الأجنبية المعاصرة، فقد أشارت إلى أن برقوق كان يعيش في بلدة (Zicha) إحدى المقاطعات الروسية[٦] لوالدين مسيحيين، وكان برقوق مسؤولاً

---

(١) البرجية: كانت بداية ظهورهم في مصر سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨١م في سلطنة المنصور قلاوون حيث أكثر من شرائهم، ليكونوا حرسه الخاص. وقد سموا بذلك لأنه أسكنهم أبراج القلعة. أنظر المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٣، ٢٤٦. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص١٠٣. وسوبرنهيم، برجية، ج٣، ص٥٢٧.

(٢) الغياثي، تاريخ، ص٣٤٨. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٤، ص٥٠، وسوبرنهيم، برقوق، م٣، ص٥٥٨-٥٥٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٦. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣١٩.

(٤) أدر، الجراكسة، ج٦، ص٣٣٧. وشارل جورج، أطلس العالم، ص١٩١-١٩٢. ويوسف عزت، تاريخ القوقاز. ص٨.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٣. والعيني، السيف المهند، ص٤٧. والقبائل الجركسية هي: الجركس، والأركس، والآص، والكسا.

(٦) Walter, Ascensus Barcoach, p. 46.
وبعد الاطلاع على أطالس الجغرافيا الحديثة لم أعثر على بلدة (Zicha).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن إطعام الخنازير في إحدى المزارع، وأنه اختطف، وبيع لأحد تجار الرقيق الذي بدوره قام بجلبه إلى مدينة «كفا» الواقعة على البحر الأسود بالقرب من القفقاس[١]. وعندما بلغ العشرين من عمره، بيع في إحدى أسواق الرقيق ببلاد القرم (وتعرف بسوداق)، واشتراه الخواجا عثمان بن مسافر الخوارزمي[٢]، وجلبه إلى مصر، ثم اشتراه الأمير يلبغا العمري الناصري الأتابك[٣]. وأعتقه وجعله من مماليكه الأجلاب[٤]. وبقي برقوق في خدمة الأمير يلبغا الناصري، إلى أن ثار عليه مماليكه اليلبغاوية سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، وتمكنوا من قتله. فلما قتل الأمير يلبغا العمري وتفرقت مماليكه اليلبغاوية وحبس أكثرهم؛ حبس برقوق مع من حبس مدة طويلة مع رفيقه بركة الجوباني اليلبغاوي في قلعة الكرك[٥]. وعندما أفرج عن برقوق، توجه إلى بلاد الشام وخدم عند الأمير منجك اليوسفي[٦] نائب دمشق. ثم انتقل إلى خدمة الأمير علي وحاجي أولاد السلطان الأشرف شعبان في مصر[٧].

وعندما توجه السلطان الأشرف شعبان إلى الحجاز سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، اشترك برقوق مع الأمير أينبك البدري الأشرفي[٨]، واسندمر الصرغتمشي[٩]،

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥٨. وراجع بدران، أطلس، خريطة الاتحاد السوفياتي، ص١٩١.

(٢) وهو أحد تجار الرقيق المماليك المشهورين، حلب برقوق وأقاربه إلى مصر سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م. العيني، عقد الجمان (حوادث ٨٢٤-٨٥٠هـ)ص١٠٠-١٠١.

(٣) من كبار أمراء المماليك الأتراك، قتل سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٢، م٣، ص٢٩٣.

(٤) الأجلاب: وهم المماليك الذين يشتريهم السلطان القائم في الحكم. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٦.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٣. والفياشي، تاريخ، ص٣٤٨.

(٦) توفي سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص١٤٨.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٣٠٨. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٨٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٠٤.

(٨) سجن بالإسكندرية، وتوفي فيه سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م؛ بسبب إثارته للفتن في الدولة. السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٤٢.

(٩) لم أعثر له على سنة وفاة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطشتمر اللفاف[١] في الثورة على السلطان الأشرف شعبان في القاهرة، وقرروا تعيين الأمير علي بن شعبان في السلطة[٢]. على أن يقوم الأمراء الذين توجهوا مع السلطان شعبان إلى الحجاز بالثورة في الطريق[٣].

وبالفعل حين غادر السلطان شعبان القاهرة إلى الحجاز، في ٣ ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، قام الأمير أينبك البدري، واسندمر الصرغتمشي، وطشتمر اللفاف، وعدد من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء؛ بالثورة في القاهرة، وهاجموا قلعة الجبل، وأعلنوا موت السلطان شعبان، وأنزلوا الأمير علي من القلعة إلى الإسطبل السلطاني، وتولى السلطنة، ولقب بالملك المنصور[٤].

أما الأمراء والمماليك الذين سافروا مع السلطان شعبان إلى الحجاز؛ فقد أثاروا الفتنة حين وصلوا إلى العقبة في ٧ ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م[٥]، وطالبوا الأمير طشتمر الدوادار بمخصصاتهم من علف دوابهم، في وقت لم يكن يملك في يده شيئاً، فوعده السلطان شعبان بصرفها في منطقة الأزلم[٦]. لكنهم

---

(١) طشتمر بن عبد الله العلائي، تولى نيابة الشام ثم أتابك العساكر في مصر (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٠٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٧٥-٢٧٦. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٨٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٥.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٧٩.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق١، ص٢٧٦-٢٧٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٧٢-٧٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٧٩.

(٦) الأزلم: أحد محطات طريق الحج الشامي بين العقبة ومكة المكرمة، يباع عندها الحشيش لغذاء الدواب، والسمن والأغنام. علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج٩، ص٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفضوا وطالبوا السلطان باستبدالها بالمال لإنفاقه على مماليكهم. غير أن السلطان شعبان رفض ذلك. ففضبت المماليك اليلبغاوية والأشرفية، واتفقوا على قتل السلطان شعبان، ولبسوا السلاح، وتوجهوا إلى الأمير طشتمر، وتوعدوه بالقتل، إن لم يوافقهم على قتل السلطان. فألبس الأمير طشتمر مماليكه السلاح؛ خوفاً على نفسه. ولما بلغ السلطان شعبان الأمر، هرب إلى القاهرة[١]. واختفى عند استادار الأمير يلبغا الناصري، لكنه خشي على نفسه، وتوجه إلى بيت امرأة تسمى آمنة، واختفى عندها. فخشي الأمراء الذين قاموا بالفتنة في القاهرة، من ظهور السلطان. إلا أن امرأة كشفت للأمراء عن مكانه، فأحضروه إلى قلعة الجبل، بعد أن أُلبس سلاحاً، وتسلمه الأمير أينبك البدري، وعذبه حتى دله على ذخائره ثم قتله[٢].

وعندما لم يتمكن الأمراء الذين أثاروا الفتنة في العقبة من اللحاق بالسلطان شعبان وقتله، اتجهوا إلى الخليفة المتوكل على الله- وكان مع السلطان في العقبة- وعرضوا عليه السلطة، لكن الخليفة رفض ذلك، فعاد الأمراء والمماليك إلى القاهرة، وعلموا بمقتل السلطان شعبان، وسلطنة ابنه الأمير علي[٣]. اجتمع كبار الأمراء بالقلعة في ٨ ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، واستدعوا الخليفة، والقضاة، وجدّدوا البيعة للسلطان علي بالسلطنة[٤]، ووزع السلطان علي الوظائف

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٧٩-٢٨٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٧٤-٧٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٨٠-٢٨٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٧٥-٧٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٨٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٨٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهمة في الدولة، فعين الأمير طشتمر اللفاف في منصب أتابك[١] العساكر في مصر، وتولى الأمير أينبك البدري منصب أمير آخور كبير[٢]، وتخلص من الأمير طشتمر الدوادار بتعيينه نائباً لدمشق، وأمره فوراً بالسفر إلى مقر نيابته[٣]. ثم أفرج عن عدد من السجناء بقلعة الجبل لتهدئة الأمور في الدولة، ثم أمر بالقبض عليهم وسجنوا بالاسكندرية[٤]. وفي ١٨ ذي القعدة، أجرى السلطان علي حملة تطهير أخرى، واعتقل عدد كبير من مباشري الدولة، وألزمهم بدفع مبالغ كبيرة، والنفقة على عدد من المماليك[٥].

وبسبب سيطرة المماليك اليلبغاوية على المماليك الأشرفية، بدأ الانقسام بين المماليك اليلبغاوية أنفسهم في ٩ صفر سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، بسبب التنافس على السلطة، واختلاف الأمير قرطاي الطازي[٦]، وصهره الأمير أينبك البدري أمير آخور، حين تولى الأمير قرطاي منصب أتابك العساكر، ونظر البيمارستان المنصوري بعد وفاة الأمير طشتمر اللفاف الأتابك[٧]. واستغل الأمير أينبك البدري مناسبة حفل زواج ابنته من قرطاي، واستمال عدد من المماليك اليلبغاوية، من

---

(١) أحد المناصب العسكرية في الدولة وتعني الأب أو أب الأمراء وهي وظيفة فخرية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨. وانظر فيما بعد تطور منصب أتابك العساكر.

(٢) من الوظائف العسكرية يشرف صاحبها على الخيول السلطانية يتولاها أمير مائة مقدم ألف. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٨٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص١٤٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٩٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٩٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥١.

(٦) من كبار أمراء السلطان شعبان، تولى منصب أتابك العساكر، قتل في طرابلس سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٢٦ وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢٥٦. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٣٧.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٠٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينهم برقوق العثماني، وبركة الجوباني، ووعدهم بالترقية إلى إمرة طبلخاناة؛ لقتل الأمير قرطاي[١]. وأنزل السلطان علي من قصره إلى الإسطبل السلطاني[٢]. حتى تجتمع الأمراء والمماليك عند السلطان، ويتمكن من القبض على الأمير قرطاي، غير أن عدداً من أمراء ومماليك الأمير قرطاي، تنبهوا لخطة أينبك، وأبلغوا الأمير قرطاي بذلك، وتمكن الأمير قرطاي من الفرار إلى سرياقوس، بعد أن أجيب إلى طلبه؛ بتعيينه نائباً على حلب[٣].

وبعد فرار الأمير قرطاي، تمكن الأمير أينبك من تولي منصب أتابك العساكر، في ٢٤ صفر سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م. ورقى كل من برقوق العثماني، وبركة الجوباني، إلى إمرة طبلخاناة دفعة واحدة، دون أن يكونا من أمراء العشرات[٤]. وسكن الأمير أينبك بالإسطبل السلطاني[٥]، وأسكن عدداً من مماليكه في مدرسة السلطان حسن، ومدرسة السلطان الأشرف شعبان، ورقى ولديه الأمير أحمد وأبو بكر، إلى رتبة إمرة مائة تقدمة ألف[٦]. وأخذ الأمير أينبك بالاستعداد إلى نقل السلطة إلى الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمري الكبير؛ لصغر سن ابن زوجته تمهيداً لعزله، وتولي السلطة، واستدعى الخليفة المتوكل على الله، وطلب إليه تنصيب الأمير أحمد السلطنة، لكن الخليفة رفض الموافقة على هذه الخطوة؛ كون

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٠٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٣.

(٢) مكان خاص لربط الخيول السلطانية ولها ناظر يسمى ناظر الاسطبلات السلطانية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٠٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٤.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٠٨.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمير أحمد من غير «بيت المُلك»، فعزل الأمير أينبك الخليفة من منصبه، وعين زكريا بن الواثق في الخلافة مكانه، في ٤ ربيع الأول سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م[١].

وعندما تخلص الأمير برقوق من كبار الأمراء اليلبغاوية المنافسين له في مصر، سعى إلى إحداث انقسام آخر بين الأمراء والمماليك اليلبغاوية في مصر وبلاد الشام. ففي ١٧ ربيع الأول، سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م تمكن برقوق من تحريض الأمراء اليلبغاوية في بلاد الشام، بزعامة الأمير طشتمر نائب دمشق، والأمير اشتقتمر نائب حلب، على الثورة، لتحكم الأمير أينبك في أمور الدولة[٢].

وأشار على الأمير أينبك، بتجهيز حملة للتوجه إلى بلاد الشام؛ لقمع الثائرين فيها[٣]. وبدأ الأمير أينبك، الاستعداد إلى الخروج من القاهرة إلى بلاد الشام في ١٩ ربيع الأول سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، بإعادة الخليفة المتوكل على الله، إلى الخلافة[٤]. واصطحب معه السلطان علي، وعدداً من كبار الأمراء اليلبغاوية، مثل: قُطلوخَجا أمير آخور كبير، والأمير يلبغا الناصري، والأمير برقوق، والأمير بركة الجوباني[٥]. وقاد كل من الأمير يلبغا الناصري، وبركة الجوباني الحملة، المتجهة إلى بلاد الشام، واضطر الأمير أينبك إلى الفرار، وعاد الأمراء بالعساكر

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٠٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢٣١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣١٠ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٦.

(٣) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٤٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣١٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢٣٢.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣١١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٧. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسلطان إلى القاهرة في ٣ ربيع الآخر سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م[١]. وألقي القبض على الأمير أينبك، وسجن بالإسكندرية، بعد أن طلب الأمان من الأمير يلبغا الناصري[٢].

وبعد أن تخلص الأمير برقوق من الأمير أينبك البدري، أخذ في تدبير مؤامرة للتخلص من الأمير يلبغا الناصري، الذي أصبح يتحكم في أمور الدولة[٣]، حيث نجح الأمير برقوق بإقناع الأمير بركة الجوباني، باختبار الأمير يلبغا الناصري في منصب أتابك العساكر. رغبة في التخلص منه هو الآخر؛ لأن الأمير يلبغا لم يكن مع الفريق الثائر على سلطنة بيت قلاوون، ولذلك لم يكن محل طاعة الأمراء اليلبغاوية[٤].

وفي ٢٣ ربيع الآخر سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م تمكن الأمير برقوق من طرد الأمير يلبغا الناصري من الإسطبل السلطاني، وعزله من منصبه، واستقر مكانه بالإسطبل[٥]، لتلافي محاولة المماليك اليلبغاوية تولية سلطان كبير من بيت قلاوون. ثم حضر الأمير طشتمر الدوادار نائب الشام إلى مصر في ٢ جمادى الأولى سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، بطلب من الأمير يلبغا الناصري، الذي كان يتولى أمور الدولة، فخرج السلطان علي، وعدد كبير من الأمراء؛ لاستقباله، فاستقبلوه،

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣١٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٨. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢٣٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢١٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣١٤. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٣٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢١١.

(٤) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٤٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحسن استقبال[١]. وحين وزعت الوظائف، عين الأمير طشتمر أتابك العساكر، وعين الأمير برقوق أمير آخور، والأمير بركة الجوباني أمير مجلس[٢].

ولما صار أمر تنفيذ شؤون الدولة بيد الأمير طشتمر الدوادار، اتفق الأمير برقوق، مع بركة الجوباني، على التخلص منه، والعمل على إضعاف قوته في الدولة، وذلك بمطالبها المتكررة في نفي أنصار الأمير طشتمر، ثم طالباه في نهاية الأمر بالقبض على رأس نوبته، فلم يجد سبيلاً إلى ذلك، وأمر بالقبض عليه[٣]. وحين تخلى الأمير طشتمر عن مماليكه في قتال برقوق وبركة؛ واجهت المماليك قوات برقوق وبركة، وانتهى الأمر إلى إجبار الأمير طشتمر على الاستسلام إلى برقوق، فقبض عليه وأرسله إلى سجن الإسكندرية[٤].

وحين تمكن الأمير برقوق من القضاء على منافسه الأمير طشتمر، ومماليكه، ترقى الأمير برقوق إلى منصب أتابك العساكر، وتولى ايتمش البجاسي منصب أمير آخور، وأصبحت أمور الدولة بيد الأمير برقوق، وبركة، فإذا أراد أحد الأمراء ولاية منصب في الدولة، يسعى في ذلك عند الأمير بركة، ثم يبعث بذلك إلى الأمير برقوق، ثم يستقر فيما يقرره فيه من المناصب[٥].

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٦٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢٣٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣١٦-٣١٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٦١.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٢٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٦٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢١٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٢٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٦٣. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٣٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢١٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٢٣-٣٢٤. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٢، م٣، ص٢٢٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٢٣٦.

Frescobald, visit to Egypt, p. 45.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم أصبح الأمير برقوق بعد ذلك صاحب السلطة الفعلية في الدولة يعزل ويولي من يريد، أما السلطان علي فكان ضعيفاً ليس له من السلطنة سوى الاسم[١]. وحين تسلم الأمير برقوق منصب الأتابكية، بدأ الأمراء الأتراك يحيكون المؤامرات والدسائس ضده، واتفق عدد منهم على قتله. ولم يتم لهم ذلك، فانكشف أمرهم، وألقى القبض عليهم، ونفى بعضهم، وسجن عدد آخر في سجن الإسكندرية[٢]. وأظهر الأمير برقوق العداء للأمراء الأتراك لأول مرة[٣]. وأخذ يسعى إلى التخلص من كبار الأمراء الأتراك عن طريق الدسائس[٤]، فاستدعى الأمير يلبغا الناصري سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م إلى القلعة وأوهمه أنه يريد مشاورته في أمور الدولة، وعندما وصل إلى القلعة أمر بالقبض عليه وأرسله إلى سجن الإسكندرية[٥].

٢- ولاية برقوق الأولى للسلطنة

بدأت محاولات الأمير برقوق للوصول إلى السلطنة سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨١م نتيجة التنافس بينه وبين الأمير بركة الجوباني، حين أعلم الأمير بركة الجوباني برقوق بأن الأمير أيتمش[٦] يريد قتله، لكن برقوق تحقق من الأمر وعرف كذب بركة. ويبدو أن الأمير بركة أراد إيقاع الفتنة والخلاف بين الأمير برقوق وأيتمش

---

(١) إبراهيم طرخان، الجراكسة، ص٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٢٤- ٣٢٥. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٢، م٣، ص٥٧١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦٦. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٢٤.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٢، م٣، ص٥٧١. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٢٥.

(٤) محمد العمايرة، الجيش، ص٢٦.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٣٢٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٦٣. والمنهل الصافي، ج٣، ص٥٦.

(٦) أيتمش البجاسي الجركسي كان أتابكاً للعساكر في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق، الذي قربه وأدناه منه، قتل بقلعة دمشق. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للوصول إلى السلطة. وتوسط الأمراء بينهما حتى وقع الصلح[١]. ثم وقع الخلاف بين الأميرين بعد مضي نحو اثني عشر يوماً على الصلح، بسبب قبض الأمير بركة على عدد من الأمراء الجراكسة أتباع الأمير برقوق، ولبس كل منهما السلاح، وفي هذا الموقف ظهر برقوق أكثر ذكاء من الأمير بركة، إذ طلب من القضاة الأربعة الحكم ببلوغ السلطان علي بن شعبان السنّ المناسب وإعلان قدرته على تولي الحكم بنفسه، والتصرف في أمور الدولة دون وصي، وقال:« نرشد السلطان فيتكلم في أمور الدولة، وأنْكَفّ أنا وغيري عن التكلم»[٢]، فأذعن الأمير بركة لذلك، وخلع الأمير برقوق على القضاة الأربعة الخلع لسيرهم في الصلح[٣]. واستمر الأمر على ذلك حتى ربيع الأول من السنة نفسها، حين عاد الأمير بركة، وبعض أصدقائه من المماليك الأتراك إلى تدبير قتل الأمير برقوق ساعة الدخول إلى المسجد لصلاة الجمعة، غير أن برقوق كشف خطتهم، وبدأ يفكر بالتخلص من الأمير بركة. واستغل برقوق فرصة الاحتفال الذي أقامه بمناسبة المولود الذكر الذي رُزق به، وصعود أعيان أمراء الأمير بركة للمشاركة في هذا الاحتفال، وقبض عليهم، وأمر الأمير بزلار الناصري[٤] -أحد كبار أمرائه- الرمي بالنشاب على الأمير بركة، فنهب بيته، ولم يتمكن من منعهم لكثرة الرمي عليه[٥].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٧٩. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٧٤-١٧٥.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٠٦. وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٣١.

(٤) بزلار بن عبد الله العمري، نائب الشام، (ت ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٦١-٣٦٣. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٩.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٠٦. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٨٠-٣٨١.
Walter, Ascensus Barcoach, part. 1, p. 70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقع القتال بين برقوق وبركة، وتمكن الأمير بركة في بدايتها التغلب على خصمه مؤقتاً[١]، ثم وقعت بينهم وقعات أخرى متتالية استمال فيها الأمير برقوق السلطان المنصور علي إلى جانبه؛ لكن هذه الوقعات لم تؤدِ إلى نتيجة حاسمة. ولما رأى الأمير بركة ضعف موقفه، بعث إلى الأمير برقوق يقول له:« ما هذا العمل؟ أهكذا وقع الاتفاق؟ فقال برقوق: هكذا وقع »[٢].

وبدأت محاولات الأمير برقوق في إنهاء الفتنة، واقترح على الأمير بركة أن يعطيه نيابة أي بلد يشاء، لكن بركة رفض الاقتراح[٣]. فلما فشل الأمير برقوق في محاولة إنهاء الفتنة استأنف القتال، وتمكن هذه المرة من هزيمة الأمير بركة ومماليكه، وفرّ بركة إلى جامع المقس خارج القاهرة[٤]، وظلّ مختفياً فيه حتى تمكّن الأمير برقوق من القبض عليه وسجنه في سجن الإسكندرية[٥]. ثم بعث إلى الأمير صلاح الدين بن عرّام نائب الإسكندرية سراً في سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م بقتل بركة، فقتله دون إذن منه، ثم تنكّر برقوق للأمير صلاح الدين بن عرّام وألقى القبض عليه خوفاً من إثارة مماليك بركة ضده، وسجنه في القاهرة بخزانة شمايل، وضربه بالمقارع، وسُمر على جمل فأنزله جماعة من مماليك بركة وضربوه بالسيوف وقطعوه قطعاً عديدة[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٧٦.

(٢) المصدر ذاته، ج١١، ص١٧٧.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٤. وابن حجر العسقلاني، أبناء الغمر، ج٢، ص٣.

(٤) جامع المقس، أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل. راجع المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٨٣.

(٥) القلقشندي، مآثر الانافة، ج٢، ص٨٣. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٦.

(٦) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٠٩-١٠١٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٩٦-٣٩٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٨٣، ١٨٤. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمرّ الأمير برقوق في منصبه أتابكاً ومدبراً للدولة، حتى توفي السلطان المنصور علي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م[١]، فتكلم الناس بسلطنة الأمير برقوق، وأشيع ذلك وعظُمت الإشاعة على أكابر الأمراء وعبروا عن ذلك:« لا نرضَ أن يتسلطن علينا مملوك يلبغا »[٢]. وعندما علم برقوق بموقف الأمراء خاف ألاّ تتمّ له السلطنة، فجمع الأمراء والقضاة والخليفة بقلعة الجبل، وتحدّث معهم في اختيار أحد أولاد السلطان الأشرف شعبان لمنصب السلطنة، فوافقوه على ذلك، ووقع الاختيار على أمير حاجي أكبر أولاد السلطان وبايعه الخليفة وحلف له الأمراء على الطاعة[٣]، واستقر برقوق أتابكاً له لصغر سنّه، وكان عمره آنذاك نحو تسع سنوات[٤]، وصار برقوق مستبداً بأمور الدولة يولي ويعزل من يشاء[٥].

وبدأ برقوق في التمهيد لنفسه للوصول إلى السلطة؛ بالتقرّب من العامة، فألغى الفلوس الجدد التي صكّها الأمير جركس الخليلي[٦] التي أدّت إلى ارتفاع الأسعار[٧]. بالرغم من ذلك كله تعرّض برقوق لمحاولة اغتيال في العشر الأوسط من

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٤٢١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص١٨٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٠٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٤٣٩. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٥٨. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٨٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٠٧.

(٥) المصدر ذاته، ج١١، ص٢٠٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٥٤.
Walter, Ascensus, Barcoach, part. 1, p. 70.

(٦) جركس الخليلي من مماليك السلطان برقوق قتل سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م في دمشق. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٧٠. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٩٣.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٥٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعبان سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م من بعض الأمراء الأتراك بقيادة أيتمش الخاصكي وهو بسكنه في الإسطبل السلطاني، إلاّ أنه تمكّن من القبض عليهم، وحبس عدداً منهم في أبراج القلعة وآخرين في خزانة شمايل[١].

وأخذ برقوق في زيادة أعداد الجراكسة، للتأثير على مكانة المماليك الأتراك في الدولة، فجلب نحو ألفي مملوك سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨١م من بينهم والده وأقاربه، ووزع عليهم الوظائف، ومنحهم الإقطاعات، وبذلك أصبح أغلب عناصر الجيش من المماليك الجراكسة[٢]. ومع ذلك ظلّ الأمير برقوق متخوفاً من المماليك الأتراك، وأشار عليه بعض أصحابه، وأعيان أمرائه الجراكسة أن يتولى السلطنة ويحتجب عن الناس «ويستريح من هذا الذي فيه من الاحتراز من قيامه وقعوده»، لكنه خشي أن يرفض من قبل الأمراء الأقدم منه رتبة في بلاد الشام. ومر الأمير سودون الشيخوني[٣] نائب السلطنة على الأمراء بمصر سراً واسترضاهم، «وهونوا عليه الأمر وضمنوا له أصحابهم من أعيان النواب والأمراء بالبلاد الشامية»[٤]، وتعهدوا له بإقناع أعيان النواب، والأمراء في بلاد الشام. وساعده في ذلك موت أميرين من كبار الأمراء الأتراك اليلبغاوية وهما: أقتمر عبد الغني، وأيدمر الشمسي في سنة واحدة، وهما أقدم منه استقداماً إلى مصر، وأكبر منه رتبة.

---

(١) المصدر ذاته، ج٢، ق٢، ص٤٧٣. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٨٤-٨٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٢.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٠٩. ومحمد العمايرة، الجيش، ص٦٠-٦١.

(٣) سودون الشيخوني بن عبد الله الفخري، ولي نيابة السلطنة للسلطان برقوق سنة (ت٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م). ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٥٩٧. وابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٤٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك تمكّن الأمير برقوق من الوصول إلى السلطة سنة ١٩ رمضان ٧٨٤هـ/ ١٤٨١م وصعد الأمير قُطْلوبُغا أمير سلاح إلى السلطان أمير حاجي، وأخذه من قاعة الدهيشة[١] وأدخله الدور السلطانية، وأخذ منه النمنجاه[٢] التي تمثل شعار السلطنة، وأحضرها إلى الأمير برقوق؛ واستدعى بعض الأمراء الخليفة، وبايع الأمير برقوق بالسلطنة[٣]، وفوّض إليه أمر تسيير شؤون الدولة وألبسه خلعة السلطنة[٤].

وقد تمّت مراسم التعيين بحضور الخليفة المتوكل على الله، والقضاة. وأشار شيخ الإسلام عمر البلقيني أن يكون لقبه الملك الظاهر[٥]. وعندما انتهت مراسم التعيين، بدأ السلطان برقوق بتوزيع الوظائف على المماليك الجراكسة[٦]، وجرّد المماليك الأتراك من إقطاعاتهم، ورواتبهم، وطردهم من الخدمة، مبرراً عمله بأنهم خانوا أستاذهم السلطان الأشرف شعبان وأعانوا على قتله[٧]. وبذلك انتقلت السلطة من المماليك الأتراك إلى المماليك الجراكسة.

---

(١) قاعة الدهيشة، أنشأها السلطان عماد الدين إسماعيل بن قلاوون بالقصر بقلعة الجبل سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٢. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٦٠.

(٢) من شعار المُلك وهي سكين منحني الشكل تستخدم في الحرب. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٠٧. حاشية رقم ٦.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٧-٣٨. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٣٩ب. وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٣٢.

Walter, Ascensus Barcoach, part. 1, p. 74.

(٤) وهي فرجية أو دراعة سوداء بتركيبة مزركشة يلبسها السلطان عند تولي السطلنة. راجع حسام الناطور، السلطنة، ص١٠٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٥.

(٦) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠١٦. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٨.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٩. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٩٢. والغياثي، تاريخ، ص٣٤٨.

Holt, The structure of government, p.45.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الفتن والثورات:

تعرضت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق إلى العديد من الفتن والثورات التي كانت في معظمها موجهة ضد السلطان برقوق نفسه لاقتناعهم بعدم أحقيته بالسلطة، ولسياسته التي اتبعها حين جعل أغلب عناصر الجيش من المماليك الجراكسة، والاضطهاد المستمر للمماليك الأتراك[١]. فالسلطان الظاهر برقوق حين تمكن من الوصول إلى السلطة وجد نفسه يواجه أكبر فرقتين من المماليك الأتراك: فرقة المماليك اليلبغاوية، وفرقة المماليك الأشرفية. ولتحقيق سياسته في جعل أغلب عناصر الجيش من الجراكسة كان لا بدّ له من التخلص من هذه الفرق، واتبع في ذلك تشتيت هذه الفرق بالنفي والقتل والسجن، فشتت فرقة المماليك الأشرفية وقطع رواتبهم وإقطاعاتهم وطردهم من الخدمة، لأنه لم يعد يأمن لهم بسبب خيانتهم لأستاذهم السلطان الأشرف شعبان[٢]. وأدت هذه السياسة إلى العديد من الفتن والثورات الداخلية التي قام بها المماليك والعربان ومنها:

أ- ثورة الطنبغا الأشرفي:

تعدّ ثورة الأمير الطنبغا الأشرفي -أحد كبار المماليك الأتراك- نائب الأبلستين[٣]، أولى الثورات التي قامت ضد الجراكسة، حيث هاجم الأمير الطنبغا الأشرفي قلعة دارندة[٤]، المضافة إلى نيابته في ذي القعدة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨١م، والقبض على بعض الأمراء الجراكسة الذين عينهم السلطان برقوق فيها. غير أن

---

(١) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٦٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩-٥٠.

(٣) الأبلستين من البلاد الرومية المتاخمة لبلاد الشام، نيابتها تقدمة ألف بمرسوم من السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٤. وحسين مؤنس، أطلس العالم الإسلامي، ص٢١٢.

(٤) من بلاد النيابات الصغيرة في نيابة حلب المملوكية ونائبها أمير عشرة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مماليك هؤلاء الأمراء تمكنوا من محاصرة الأمير الطبنغا الأشرفي، وأجبروه على طلب الأمان منهم، وألقوا القبض عليه، غير أنه تمكّن من الفرار من القلعة والتوجه إلى مقر نيابته، والهرب منها إلى بلاد التتار في ذي القعدة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨١م مصرحاً:« لا أكون في دولة حاكمها جركسي»[١]. ويعدّ تصريح الأمير الطُنبغا الأشرفي بمثابة رفض قاطع لحكم المماليك الجراكسة بوجه عام، وحكم السلطان برقوق بوجه خاص.

ب- محاولة الخليفة المتوكل على الله الوصول إلى السلطة

لم تنته محاولات المماليك الأشرفية ضد السلطان الظاهر برقوق، فقد قامت ثورة أخرى في أوائل رجب سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م، بالاتفاق مع الخليفة المتوكل على الله، وكان الاتفاق يتضمن قيام الأمير قُرْط التركماني[٢] والأمير إبراهيم بن قَطْلُقْتَمُر العلائي[٣] مع جماعة من الأكراد والتركمان باغتيال السلطان برقوق عند نزوله إلى الميدان للعب الكرة، وتعيين الخليفة المتوكل في السلطنة. وحين علم السلطان برقوق بما تمّ الاتفاق عليه من أحد مماليكه، أدرك أن المماليك الأتراك وراء هذه المحاولة، وطلب الخليفة، والأمير قُرْط، والأمير إبراهيم بن قَطْلُقْتَمر، وهددهم بالقتل من أجل الكشف عن محاولة الاغتيال، فأنكروا باستثناء الأمير قُرْط الذي اعترف مصرحاً:« أن الخليفة طلبني، وقال لي: هؤلاء ظلمة وقد استولوا على هذا الملك بغير رضائي، وإني لم أقلد برقوقاً السلطنة إلا غصباً، وقد أخذ أموال الناس بالباطل، وطلب مني أن أقوم معه وأنصر الحق فأجبته إلى ذلك، ووعدته بالمساعدة»[٤]. وهذا دلالة واضحة على أن تقليد الخليفة للسلطان برقوق كان نتيجة عدم قدرة الخليفة المتوكل رفض الموافقة على تنصيب السلطان برقوق في السلطنة ومنحه تفويضاً بالتصرف في أمور الدولة.

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٩. وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٣٢.

(٢) قُرْط التركماني عمل كاشفاً للصعيد قتل سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٢٨.

(٣) وهو الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير قُطْلُقْتُمُر الخازندار. حبسه السلطان برقوق وعندما ثار الناصري على السلطان برقوق ثار مع من ثار عليه. فالقى القبض عليه وقتله بحلب سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٨٢، ٣٨٣. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٢٨.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٢-٤٩٣. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص١٠٩، ١١٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغضب السلطان برقوق من موقف الخليفة المتوكل، وأراد قتله، لكن الأمراء حالت دون ذلك، واستدعى السلطان برقوق القضاة الأربعة ليفتوا بقتل الخليفة، غير أنهم امتنعوا عن ذلك، فسجنه بموضع من قلعة الجبل وأمر بقتل الأمير قُرط، وسجن الأمير إبراهيم بن قُطْلُقْتُمر[١]، وطلب السلطان برقوق زكريا وعمر ابني إبراهيم عم الخليفة المتوكل، لاختيار خليفة مكان الخليفة المتوكل، فوقع الاختيار على عمر فولاه الخلافة وتلقب بالواثق بالله[٢].

وعلى أثر الحركة التي قام بها الخليفة المتوكل بالاشتراك مع الأمراء الأتراك، بدأ السلطان برقوق حكمه بالانتقام من المماليك الأتراك، بنفي عدد منهم إلى بلاد الشام وطردهم من الخدمة[٣]، كالأمير كُمشْبُغا الأشرفي الخاصكي[٤]، وأحد أمراء الطبلخاناة، ورأس نوبة طرابلس آنذاك[٥].

ج- حركة أحمد بن البرهان:

ولم تكد محاولة الخليفة المتوكل على الله التي استهدفت القضاء على السلطان برقوق من الانتهاء حتى واجه حركة أخرى في ذي الحجة سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م اشترك فيها أربعة من فقهاء بلاد الشام، بزعامة أحمد بن البرهان، بهدف التخلص من السلطان برقوق وإقامة إمام قرشي في السلطنة، لمخالفة السلطان

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٣-٢٣٥. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص١٠٩، ١١٠.

Walter, Ascensus Barcoach, part. 1, p. 74.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٥. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص١١٠. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٣٣ب.

(٣) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٦٣.

(٤) الأمير كمشبغا الأشرفي الخاصكي من كبار المماليك الأتراك توفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م وكان له في نيابتها أربعة أشهر. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٥٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٤٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣١٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برقوق أحكام الشرع وأخذ المكوس وعدم أهليته للقيام بأمر المسلمين، فأمر السلطان برقوق بتعذيبهم حتى يعترفوا عمن وافقهم من الأمراء المماليك، فلم يعترفوا، فأمر بسجنهم في خزانة شمايل[١].

د- ثورة منطاش ويلبغا الناصري:

وحين ازداد السلطان برقوق في اضطهاد المماليك الأشرفية سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م بدأ الأمير تَمربُغا الأفضلي الأشرفي المعروف بمنطاش[٢] نائب ملطية[٣]، الاستعداد لإعلان العصيان على السلطان برقوق بالاشتراك مع المماليك الأشرفية الذين نفاهم السلطان برقوق إلى بلاد الشام[٤]. وأثناء استعداده للعصيان بعث أستاداره إلى السلطان يعلمه أنه ما زال على طاعته حتى يدخل فصل الربيع وتذوب الثلوج ويُصبح الطريق إلى مصر مفتوحاً. لكن السلطان برقوق شك في نوايا الأمير منطاش وأرسل دواداره الأمير سيف الدين تُلكتَمر[٥] بعشرة آلاف دينار لينفقها على الأمراء الموجودين في حلب مقابل قيامهم بمراقبة تحركات الأمير منطاش[٦]. وحين أثبتت المعلومات التي جمعها الأمير تُلكتَمر عدم صدق نيّة منطاش[٧]، سارع السلطان برقوق بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصري وأعاده إلى

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥٤. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٢١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٤٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٩.

(٢) تمربُغا بن عبد الله المعروف بمنطاش من المماليك الأشرفية ولي نيابة ملطية في عهد برقوق وأقام بها حتى سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٩٤.

(٣) من البلاد الرومية المتخامة لبلاد الشام شمال حلب. وهي بلدة ذات أشجار وفواكه يحيط بها سور. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٦. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٧.

(٥) الأمير تلكتمر: تولى عدة وظائف في دولة المماليك كان آخرها صاحب الحجاب (ت٧٩٤هـ/ ١٣٩١م). المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٦. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٥٢.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧٣.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ق٢ ص٥٨. وحكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقر نيابته في حلب بدلاً من الأمير سودون المظفري[١]، وذلك سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[٢]، بقصد أيقاع الفتنة بين الأمراء الأتراك خاصة بين الأمير يلبغا الناصري، والأمير سودون المظفري[٣]، ليكون الأمير سودون عيناً للسلطان برقوق على يلبغا الناصري.

وبالفعل ما كاد أن يمضي ثلاثة أيام على مغادرة الأمير يلبغا الناصري القاهرة إلى مقر نيابته في حلب حتى وصل إلى السلطان برقوق نبأ عصيان الأمير منطاش في ٣ ذي القعدة سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٨١م بعد أن وافقه عدد كبير من المماليك الأشرفية[٤].

ونجح السلطان برقوق في خطته التي استهدفت إيقاع الخلاف بين الأمير يلبغا الناصري وسودون المظفري، إذ أرسل الأمير سودون المظفري كتاباً إلى السلطان برقوق يعلمه فيه بخروج الأمير يلبغا الناصري عن طاعته[٥]. عندئذٍ تحقق السلطان برقوق من نوايا الأمير يلبغا الناصري، وبعث يستدعيه للحضور إلى مصر للتشاور في أمر عصيان منطاش، من أجل القبض عليه. ولكن الأمير يلبغا الناصري -لما أتاه رسول السلطان برقوق يعلمه بالحضور، خشي أن يفعل به كما فعل بالأمير الطُنبغا الجوباني التركي[٦] نائب الشام من مسكه وحبسه

---

(١) سودون المظفري، من مماليك الأمير قطلوبُغا المظفري. تولى عدة وظائف أهمها نيابة حلب، وحماة، وأتابك حلب، مات مقتولاً سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٨٦.

(٢) ابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج١، ص٣٤٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥١.

(٥) ابن الخطيب الناصرية، الدّر المنتخب، ج٢، ص٤٢٨. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص١٤٨أ.

(٦) الطنبغا الجوباني التركي أحد كبار الأمراء الأتراك، تنقل في عدة ولايات، قتل سنة ٧٣هـ/ ١٣٨٩م. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإسكندرية، من أجل استكثاره في استخدام المماليك، فاعتذر الأمير يلبغا عن الحضور متعللاً بحركة التركمان، وعصيان منطاش، وتخوفه على البلاد الحلبية منهم[١]. عندها تيقن السلطان برقوق من خروج يلبغا الناصري عن الطاعة، وبدأ يدبر أمر القبض عليه، والتخلص منه[٢]. غير أنه لم يتمكن من ذلك[٣]. وسبب خروج الأمير يلبغا على طاعة السلطان برقوق هو رفض المماليك الأتراك الاعتراف بسلطة الجراكسة المتمثلة بالسلطان برقوق والأمراء والمماليك[٤]. وعزله عن نيابة حلب قبل ذلك، وتعين الأمير سودون المظفري مكانه[٥]، وتمكين سولي بن دلغادر أمير التركمان في الشام من الفرار حينما كان معتقلاً في قلعة حلب[٦]. ولأن يلبغا الناصري من كبار الأمراء اليلبغاوية والسلطان برقوق من صغار المماليك اليلبغاوية، فضلاً عن رغبة السلطان برقوق الحقيقية في إنهاء نفوذ الأمراء الأتراك ولا سيما يلبغا الناصري[٧].

ونتيجة السياسة التي اتبعها السلطان برقوق تجاه المماليك الأتراك عامة، ويلبغا الناصري خاصة، أعلن الأمير يلبغا الناصري خروجه عن طاعة السلطان في صفر سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. مصرحاً عدم قبول حكم السلطان برقوق، وتخلص من بعض الأمراء الجراكسة، واتجه إلى قلعة حلب، واستولى عليها بمساعدة العربان

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٦. وابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج٢، ص٤٢٨. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١١٤أ.

Walter, Ascensus Barcoach, part. 2, p. 152.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣١٢.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٨. وابن حجر العسقلاني، أبناء الغمر، ج٢، ص٣١٢.

(٤) مصطفى الحياري، ١٩٧٧، الإمارة الطائية، ص١١٣-١١٤.

(٥) ابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج٢، ص٤٢٨.

(٦) ابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج٢، ص٤٢٨.

(٧) زياد مدني، ١٩٨٣م، مملكة حلب، ص٢٦. وإبراهيم طرخان، الجراكسة، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتركمان، وكتب إلى الأمير منطاش يدعوه إلى الإنضمام إليه، فَسُرّ منطاش لذلك، ووافقه، «وتحالفا على الموت والحياة»[١].

وعندما علم السلطان برقوق بتحالف الأمير منطاش مع الناصري، كتب للأمير أينال اليوسفي الجركسي في ٨ صفر سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م يقلده نيابة حلب، وأمره بالقبض على الناصري[٢]. ولكن الأمير أينال اليوسفي تذكر ما حدث له على يد السلطان برقوق قبل ذلك من الاعتقال والعزل عن نيابة دمشق[٣]، فلم ينفذ أوامر السلطان[٤].

وحين ساء موقف السلطان برقوق في ١٨ صفر سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، طلب الأمراء وشاورهم في أمر عصيان الناصري، فتم الإتفاق على إخراج قوة لقتاله[٥]، فلما رأى الأمراء الأتراك ضعف موقف السلطان برقوق في بلاد الشام، تكتلوا ضده، وقرروا الإنضمام إلى الأمير يلبغا الناصري، وانضم إليهم الأمير سولي بن دلغادر أمير التركمان، ونُعير بن حيار أمير العربان. وتمكن الناصري بمن انضم إليه من المماليك الأتراك والتركمان والعربات من الاستيلاء على جميع القلاع الشامية باستثناء قلعتي بعلبك والكرك، مما زاد في قوته[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٨. وابن صصري، الدرة المضيئة، ص٣-٤.

(٢) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٥. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٤٨أ.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٨.

(٤) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص٦٩.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٩.

(٦) المصدر ذاته، ج١١، ص٢٦٢. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٤٩أ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما ازدادت قوة المماليك الأتراك في الشام أخرج السلطان برقوق حملة أخرى في ١٤ ربيع الأول سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م إلى الريدانية[١] لملاقاة قوات الناصري هناك، كما حاول السلطان برقوق بعد خروجه من القاهرة استمالة العامة بإلغاء ضريبة البرسيم والشعير والقصب[٢]، لتدعيم موقفه[٣]. لكن عساكر السلطان برقوق التي اتجهت نحو دمشق أخذت فور وصولها إلى دمشق بالاعتداء على أهلها «حتى ضاق بهم أهل الشام كلها». وأثناء ذلك نزل الأمير يلبغا الناصري بقواته من المماليك الأتراك على خان لاجين بالقرب من دمشق، واشتبك مع عساكر السلطان برقوق الجراكسة، وتوالت الوقعات بين الطرفين، حتى تمكن الأمير يلبغا من هزيمة جيش السلطان برقوق، وقتل الأمير الكبير جركس الخليلي نتيجة تخلي عدد من الأمراء الجراكسة عن السلطان برقوق، كالأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس، والأمير فارس الصَرغْتُمشي، والأمير شاهين بن حسين والإنضمام إلى الأمير يلبغا الناصري[٤].

لكن السلطان برقوق لم ييأس وأرسل قوة أخرى[٥]، واستدعى الخليفة المتوكل على الله- وكان قد عزله عن الخلافة قبل ذلك- وأكرمه، وحلف كل منهما للآخر على الموالاة والمناصحة، وأمر بإلغاء سائر المكوس من مصر[٦]، لاسترضاء العامة والوقوف إلى جانبه، وأمر السلطان برقوق الخليفة المتوكل على الله والأمير سودون الشيخوني نائب السلطنة، وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام عمر البلقيني

---

(١) الريدانية، تقع في الجهة الشمالية لمدينة القاهرة خارج الأسوار.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٣. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣١٦.

(٣) ايرا لابيدوس، مدن إسلامية، ص٢٧٨.

(٤) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٥. وابن تغري بردي، مورد اللطافة، ص١٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٦.

(٦) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ٦ جمادى الأولى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م بالنزول إلى شوارع القاهرة، وأمامهم شخص يقرأ ورقة تتضمن إلغاء السلطان برقوق المظالم، ويأمر الناس بتقوى الله، ولزوم الطاعة، وإغلاق أبواب الدور، وإقامة الحواجز على الحارات، والاشتراك في قتال الناصري دفاعاً عن النفس[١].

وحين سمع العامة ما تضمنه بلاغ السلطان برقوق، تحققوا من ضعف موقفه، وقوة مركز المماليك الأتراك. وتزايد خوف العامة وقلقها نتيجة عدم قدرة السلطان على مواجهة الأمير يلبغا الناصري، ورفض يلبغا الناصري الصلح مع السلطان برقوق، ومما زاد في سوء موقف السلطان برقوق إنضمام الأمير حسام الدين بن باكيش نائب غزة والأمير مأمور القلمطاوي نائب الكرك إلى جانب الناصري، وتسليمه قلعة الكرك بما فيها من المال والسلاح[٢].

أما السلطان برقوق، فقد بدأ الاستعداد لملاقاة الناصري، وأمر بحفر خندق، وإغلاق أبواب القاهرة[٣]، وتحصين قلعة الجبل، وتخزين المؤن كما أمر بتزويد القلعة بالماء[٤].

أما الأميران الناصري ومنطاش، فقد خرجا بعساكرهما والمتحالفين معهم من الأكراد والتركمان والعربان من دمشق إلى غزة في ١١ جمادى الأولى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، بعد تعيين الأمير جَنْتَمر المعروف بأخي طاز في نيابة دمشق[٥]، وفي غزة

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٣، ٦٠٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٩، ٢٧٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣١٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٠. وابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٨.

(٣) المصدر ذاته، ج١١، ص٢٧١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣١٩.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقى بنائبها الأمير حسام الدين بن باكيش وأعلمه بأنّ السلطان برقوق في موقف ضعف وقد استعدّ للحصار فنزل الناصري على قطيا[١]. حتى تستريح عساكره من عناء المسافة التي قطعتها في الرمال[٢].

وتخلى الأمراء الجراكسة عن السلطان برقوق حين أدركوا تفوق عساكر الناصري ومنطاش، ودخل عدد كبير منهم في طاعتهما، واستولوا على الأموال التي كانت بحوزة الأمير عز الدين أيدمر كاشف الوجه البحري[٣]، وأعلموا الناصري بسوء أوضاع السلطان برقوق، وعدم قدرته على ملاقاته[٤]. كما انضم عرب العائد[٥] إلى الناصري، وقدمت لهم الإقامات والشعير، فقويت المماليك الأتراك، وتابعت سيرها نحو القاهرة[٦]. وحاول السلطان برقوق عبثاً استجلاب المماليك الجراكسة إليه. وتحول عدد كبير منهم إلى الناصري[٧]، مما يؤكد خيانة بعض الأمراء الجراكسة وعدم إخلاصهم للسلطان برقوق[٨].

---

(١) قرية صغيرة قديمة من بلاد العريش، وهي مركز مهم على الحدود بين مصر وبلاد الشام، تبعد عن القاهرة نحو ١٩٢كم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٥.

(٣) وهو المشرف على أحوال الأراضي الزراعية والجسور في الوجه البحري، ويسمى كاشف الجسور أو الترب، وكذلك جابي الضرائب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٦.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٦. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٧٦. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١١٤٩أ.

(٥) عرب العائد وهي من القبائل العربية التي كانت تقيم في مصر وتسمى عائد جذام. العمري، مسالك الأبصار، ص١٧٥.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٦. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٢.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٨-٢٧٩. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٧٢.

(٨) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما السلطان برقوق، فقد حصن القاهرة، ورتب النفّاطة على أبراج القلعة[١]. ودارت الحرب بين عساكر السلطان برقوق والناصري، واستمرت الحرب حتى ٥ جمادى الآخرة. وقد انضمّ أكثر الأمراء والمماليك الجراكسة إلى الناصري، ولم يبقَ عند السلطان برقوق سوى ابن عمه الأمير قجماس والأمير سودون الشيخوني نائب السلطنة، والأمير طرنطاي، وبعض أمرائه[٢]. وعندما رأى برقوق تخلي أمرائه ومماليكه عنه رغم إنفاقه عليهم، أغلق باب زويلة[٣]، وجميع الطرق المؤدية إلى القلعة، كما أُغلقت الأسواق، وانتشر الزعّر في القاهرة، حتى والي القاهرة خشي على نفسه من أذى الزعّر واختفى في بيته[٤].

وفي ٣ جمادى الآخرة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أقبلت طليعة عساكر الناصري مع عدد من الأمراء الأتراك، فتصدى لهم الأمير قرقماس ابن عم السلطان برقوق في عدد كبير من المماليك الجراكسة وقاتلهم، وأكثر عليهم من الرمي من فوق أسوار القلعة بالسهام والحجارة، فلما شعر بقوة المماليك الأتراك، أدرك زوال دولة السلطان برقوق، وتفرقت عساكر السلطان برقوق، وانضمّ عدد منهم إلى الناصري، واختفى بعضهم الآخر خوفاً على نفسه، ولم يبقَ مع السلطان برقوق سوى عدد قليل من الأمراء الجراكسة، وحين شاهد السلطان برقوق ذلك أراد أن يسلم نفسه للناصري، غير أن بعض الأمراء منعته من ذلك وقالوا له:« نحن نقاتل بين يديك حتى نموت، وأنت تسلم نفسك بعد ذلك »[٥]. وحاول الأمير بطا الخاصكي

---

(١) القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٤٩أ، ب.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨١. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٢. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٢٢.

(٣) باب زويلة، بناه بدر الدين الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٨٠.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٢. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٢٢.

(٥) المصدر ذاته، ج١١، ص٢٨٤. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كبار الأمراء الجراكسة الدفاع عن القلعة[١]، لكنه فشل، وأيقن السلطان برقوق انتهاء حكمه، وأرسل الأمير أبا بكر سنقر الحاجب والأمير بيدمر المنجكي شاد القصر في ٣ جمادى الآخرة لتسليم النمنجاة إلى الأمير يلبغا الناصري تعبيراً عن تنازله عن السلطنة، واعترافاً بالهزيمة وليأخذ الأمان له من الناصري، فوافق الناصري على ذلك وأمنه على نفسه، ولكن أمره أن يختفي السلطان برقوق حتى يدبر أمره فإن الفتن ما زالت مشتعلة بين المماليك وكلمتهم متفرقة. ففعل ذلك، وتفرقت الأمراء والمماليك لينجو كل واحد بنفسه[٢]، وترتب على ذلك انتشار الزّعر والتركمان في القاهرة[٣].

٤- خلع السلطان برقوق من السلطنة وعودة الأمير حاجي.

وبعد اختفاء السلطان برقوق في ٥ جمادى الآخرة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أصبح الأمير يلبغا الناصري المتحكم في الدولة. واختار الأمير يلبغا الناصري الأمير منطاش في عدد كبير من الأمراء للتوجه إلى القلعة. وحين وصلوا إلى القلعة نزل الخليفة المتوكل على الله، وسار مع الأمير منطاش إلى الناصري بقبة النصر، فتلقاه الأخير مع عدد كبير من أمراء بلاد الشام اليلبغاوية، وبالغ في إكرامه[٤]، ثم جمع الأمراء وأعيان الدولة، وشاورهم فيمن يلي السلطنة، فأشار الأعيان وكبار

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٤. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٢.

(٢) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٤-٢٨٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١٤.

Walter, Ascensus Barcoach, part. 2, p. 153.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٦. وحكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٧٦.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٦. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٣. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٢٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمراء اليلبغاوية بسلطنة الناصري، لكنه امتنع عن ذلك[١]، لإدراكه معارضة الأمير منطاش والمماليك الأشرفية عليه، فاستقر الأمر على إعادة السلطان أمير حاجي ابن الأشرف شعبان إلى السلطنة، باعتباره صاحب الحق الشرعي في الدولة التي خلعه منها السلطان برقوق بغير حق. فاستدعوا السلطان أمير حاجي، وولي السلطنة، ولقب بالملك المنصور[٢].

واستقر الأمير يلبغا الناصري أتابكاً ومدبراً للسلطنة[٣]، وبدأ في تتبع المماليك الجراكسة من أنصار السلطان برقوق، ونودي بالقاهرة «ومن ظهر من المماليك الظاهرية، فهو في حاله باق على إقطاعه، ومن اختفى منهم بعد ذلك حلّ ماله ودمه للسلطان»[٤]. وخصصت جائزة قيمة لمن يدل على مكان السلطان برقوق إن كان عامياً خلع عليه وأعطي ألف دينار، وإن كان جندياً يرقى إلى رتبة أمير عشرة في مصر، وإن كان أمير عشر يرقى إلى رتبة طبلخاناة، وإن كان أمير طبلخاناة يرقى إلى رتبة أمير مائة مقدم ألف. وهدد من أخفاه بالشنق[٥].

وأخذت عساكر الأمير يلبغا الناصري من مماليك وتركمان في الاعتداء على العامة، والتعرض للنساء في الطرقات، وخطفهنّ من الحمامات، وسلب ثياب من انفردوا به، دون أن يتجاسر أحد على منعهم، وكثر اعتداء الزّعر وإخافتهم

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٧. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٣. وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٣٢.

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٤١٠. وابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج٢، ص٤٣٠. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٧٧. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢١٧.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٠. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٤٩ب.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٠.

(٥) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٩، وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للناس[١]. فأسفت العامة على اختفاء السلطان برقوق وعبروا بقولهم:« راح برقوق وغزلانه، وجاء الناصري وثيرانه »[٢]، دلالة على سوء تصرفات الأمير يلبغا الناصري وأمرائه ومماليكه.

وجدَّ الأمير منطاش في البحث عن السلطان برقوق الذي كان ما يزال يثير مخاوفه؛ فوجده عند رجل خياط في ١٣ جمادى الأولى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، فأرسل إليه الجوباني، فأحضره وصعد به إلى القلعة وسجنه بقاعة الفضة[٣]. في حين جمع الأمير يلبغا الناصري كبار الأمراء وشاورهم في أمر السلطان برقوق، فاختلفت آراء الأمراء وانقسموا إلى فئتين: الفئة الأولى بزعامة الأمير منطاش -وهم الأكثرية- فاقترحوا قتل السلطان برقوق، أما الفئة الثانية التي يتزعمها الجوباني فقد أشاروا بحبسه. فاستحسن الناصري الرأي الثاني، غير أن الأمير منطاش اعترض على ذلك، وخوّف الأمير يلبغا من خطورة إبقاء السلطان برقوق على قيد الحياة، فوافقه على قتله، ولكن بعد أن يصل إلى الكرك ويحبس هناك، معللاً ذلك بأنه لم يفرق الإقطاعات والوظائف بسبب الاضطرابات، وتخوُّفه من الجراكسة التي انضمت إليه بعد الثورة على السلطان برقوق[٤]. واتفق كل من الناصري ومنطاش أن يكونا قوة واحدة، ويتولى السلطان أمير حاجي الحكم في الدولة دون تدخل من أحد الطرفين. ولكن الناصري لم يلتزم بما تمّ الاتفاق عليه مع منطاش واستبد بالحكم دون السلطان، ومنعه من الخروج، وقرب مماليكه اليلبغاوية، وأبعد المماليك الأشرفية[٥].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٢٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٣.

(٣) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٠. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٤. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٢٥.

Walter, Ascensus Barcoach, part. 2, p. 153.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٦-٣٢٧. وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٣٣.

(٥) المصدر ذاته، ج١١، ص٣٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين أرسل الأمير يلبغا الناصري السلطان برقوق إلى الكرك في ٢٢ جمادى الآخرة، وسلمه إلى نائبها، أوصاه بالعناية بالسلطان برقوق والمحافظة عليه، واتفق معه على أنه إذا ثار منطاش عليه أن يفرج عن السلطان برقوق[١]. فلما وصل السلطان برقوق إلى الكرك أُنزل بقاعة النحاس، وكان بالقلعة ابنه الأمير يلبغا الخاصكي -أستاذ السلطان برقوق- فقامت على خدمته، وتلطف به نائب الكرك حسب ما أوصاه الناصري، ووعده أن يخلصه[٢]، حسب تدبير الأمير الناصري الذي كان يتصرف في أمور الدولة فعلياً دون السلطان أمير حاجي الذي اكتفى من السلطنة باللقب فقط[٣].

٥- اختلاف منطاش والناصري على السلطة.

بدأت بوادر الخلاف بين الأمير منطاش ويلبغا الناصري على السلطة في شعبان ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م حين انقطع الأمير منطاش عن الصعود إلى القلعة متعللاً بالمرض[٤]. ولكن يبدو أن السبب الحقيقي في هذا التغيّر هو الطمع في الوصول إلى السلطة[٥]، ولاسيما بعد أن رأى منطاش عدم التزام الأمير يلبغا الناصري بما تمّ الاتفاق عليه من قبل واستبداده بالحكم، وتقريب مماليكه اليلبغاوية وإبعاد المماليك الأشرفية.

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٨.

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٤١، ١٠٤٢. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٧٨.
Walter, Ascensus Barcoach, part. 2, p. 153.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٣١. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٣٢.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٠. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٥٠أ.

(٥) ماير، تاريخ، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن الأمير يلبغا الناصري تنبه إلى مكيدة منطاش ولم ينزل إلى عيادته، وبعث إليه الأمير الطُنْبُغا الجوباني -رأس نوبه كبير، فأساء منطاش التصرف وقبض على الجوباني، وضرب دواداره الأمير قرقماس ضرباً مبرحاً وعدداً من مماليكه[1]، وركب بعدد كبير من مماليكه إلى مدرسة السلطان حسن، ونهب الخيول التي على باب السلسلة، وأركبها لمماليكه الذين معه، وأمر الزّعر بنهب بيت أقبغا الجوهري، واستولى على خيوله. وقد انضم إليه نحو خمسمائة مملوك من المماليك الأشرفية والظاهرية[2]، وعدد كبير من العامة، وسعى معهم إلى تخليص برقوق[3]. وشدّد الحصار على الاسطبل، ورمى عليهم بالنشاب[4].

عندئذٍ أمر الناصري والي القاهرة المناداة بالعامة بنهب مماليك الأمير منطاش، والقبض على من قدروا عليه، غير أن مماليك منطاش تمكنوا من التغلب على العامة، مما اضطر والي القاهرة إلى إغلاق أبواب القاهرة، واستمال منطاش العامة إلى جانبه بتوزيع الذهب عليهم مما جعلهم يتعصبون له، ويتفانون في خدمته بالتقاط النشاب الذي رماه أصحاب الناصري[5].

واستمر القتال بين منطاش، والناصري، وأخذ أمراء الناصري بالإنضمام إلى منطاش، واحتفظ منطاش بكل أمير كان يأتيه في بيته، ويأخذ مماليكه ويقاتل بهم الناصري. فلما رأى والي القاهرة، ضعف موقف الناصري، خاف على نفسه واختفى. وفشلت محاولة أخرى للأمير يلبغا الناصري في نقب بيت منطاش،

(١) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٣-٢٤. وابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٤٣.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٩٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٣.

(٤) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص١٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٤٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٣، ٣٣٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهاجمته من الخلف حين أرسل منطاش عدداً من مماليكه لقتال من حضر لذلك[١].

وساعد منطاش في السيطرة على القاهرة حسام الدين بن الكوراني[٢] الذي عينه الأمير منطاش والياً على القاهرة، وألزمه بجمع النشاب، فحمل إليه منه شيئاً كثيراً، ثم نادى في القاهرة بالأمان، والدعاء للأمير الكبير منطاش بالنصر، كما نادى بأن الأمير منطاش أبطل المكوس[٣].

ولما ضعفت قوة الناصري، ولم يبقَ لديه إلا عدد قليل من المماليك، تغير الخليفة عليه، وبعث إلى منطاش يسأله في الصلح وإخماد الفتنة، فامتنع منطاش، وأظهر أنه في طاعة السلطان[٤]. وحين لم تُجد محاولات الخليفة في إقناع منطاش بالعدول عن محاربة الناصري[٥]، ركب الناصري بمماليكه لقتال منطاش، ولكن دون أن يسفر ذلك عن نصر أي من الطرفين[٦]. وتوالت الوقعات بينهما، وتمكنت عساكر منطاش من السيطرة على عساكر الناصري، وصارت العساكر تتحول عن الناصري إلى منطاش، والعامة تمسك من تجده من مماليك الناصري، وترسله إلى الأمير منطاش بعد تجريد ما عليهم من الثياب[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٤٣.

(٢) حسام الدين بن الكوراني أحد أمراء الطبلخاناة، تولى منصب ولاية القاهرة. مات مخنوقاً بخزانة شمايل سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٢٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٣٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٢٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٥٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٨.

(٦) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٨٢.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٤٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمكّن الأمير منطاش من القبض على الأمير أحمد بن يلبُغا وأصحابه، والأمير مأمور القلمطاوي، وسجنهما بقاعة الفضة بقلعة الجبل، ثم نقلهم إلى سجن الإسكندرية، وتتبع منطاش وأمراؤه الأمير يلبغا الناصري ومماليكه[١]. غير أن الناصري تمكن من الفرار، وملك منطاش الإسطبل السلطاني، وصعد إلى القلعة واجتمع بالسلطان أمير حاجي، وأظهر له الطاعة، فعينه السلطان حاجي أتابك للعساكر. وتمكن منطاش فيما بعد من الإمساك بالناصري في سرياقوس[٢]، وأرسله إلى سجن الإسكندرية[٣].

٦- عودة السلطان برقوق ثانية إلى السلطة.

بعد تخلص الأمير منطاش من الناصري في ٢٠ شعبان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م بتتبع المماليك الجراكسة بالقتل والنفي والسجن، وقرب مماليكه الأتراك، فأعاد الأمير حسام الدين بن الكوراني إلى ولاية القاهرة، وأمره بالتشديد على الجراكسة[٤]. وتزايدت مخاوف الأمير منطاش من المماليك الجراكسة حين أخلف عهده معهم في إطلاق سراح أستاذهم السلطان برقوق إن هو انتصر على الناصري، فضلاً عن توزيعه كل الإقطاعات في الدولة على مماليكه الأتراك، وقربهم إليه، ولم يوزع على أحد من المماليك الجراكسة الذين انضموا إليه إمرة أو إقطاعاً، مما أوغر صدورهم عليه[٥]. وليتمكن منطاش من التخلص من المماليك الجراكسة وتحركاتهم، فدبر مكيدة لهم، وطلبهم إلى القلعة بحجة الإنفاق عليهم، وأغلق عليهم الباب،

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٠. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٩٧.

(٢) سرياقوس، بلدة في نواحي القاهرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٨.

(٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٥. وابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج١، ص٢٨٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٣٥.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٢. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢١٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبض على نحو مئتين منهم، واستولى على خيولهم، وقيدهم وسجنهم ببرج القلعة[١]، واستمر في تتبع المماليك الجراكسة بالنفي والسجن والقتل[٢].

وحاول منطاش فرض الأمن والاستقرار في القاهرة، وأرسل يستدعي الأمراء الأشرفية من بلاد الشام إلى القاهرة. وأنعم على من وصل منهم بإمرة مائة وتقدمة ألف بمصر[٣]. غير أن ذلك لم يؤد إلى شيء من الأمن والاستقرار، بل ازدادت الحوادث في بلاد الشام بسبب اتفاق الأمير نعير أمير العرب وسولي بن دلغادر على الخروج عن طاعة منطاش، ونهب حلب[٤]. بسبب تخلصه من الأمير يلبغا الناصري.

وعندما أحس منطاش باندلاع الثورة ضده من قبل المماليك الجراكسة والأتراك في بلاد الشام، حاول التخلص من السلطان برقوق سراً، وأرسل شخصاً من أهل الكرك يدعى الشهابي أحمد البريدي[٥] إلى نائب الكرك، يأمره مشافهة بقتل السلطان برقوق، لكن نائب الكرك رفض تنفيذ الأمر، وكتب إلى منطاش يعتذر اليه من ذلك، وطلب منه إذناً خطياً من السلطان والخليفة. وحين حصل الأمير منطاش على إذنٍ من السلطان والخليفة بقتل برقوق، ما طل نائب الكرك في قتله، وأنزل الشهاب أحمد البريدي في قاعة أخرى بالقلعة، وأعلم برقوق

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٤٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٤٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٣.

(٤) المصدر ذاته، ج١١، ص٣٤٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٤٥.

(٥) الشهابي أحمد البريدي، أصله من الكرك قتل سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣١٣، ٣١٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحضور رسول منطاش لقتله، وحلف نائب الكرك لبرقوق ألا يفعل به شيئاً[١]. وحين تأكد الشهاب البريدي بان نائب الكرك يماطل في قتل برقوق، قرر العودة إلى مصر، غير أن كراهية أهل الكرك لشهاب البريدي، وحبهم لبرقوق. دفعهم إلى قتل الشهاب البريدي أشنع قتلة وجروه إلى الباب وأخرجوا برقوق من السجن وهم يدعون له بالنصر، وقالوا له:« دُس بقدمك عند رأس عدوك »[٢]. ثم بايعوه في ٩ رمضان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م.

وبدأ برقوق عودته إلى السلطنة بتحصين الكرك فلما تسامع الأمراء والمماليك الجراكسة بخروج برقوق من السجن وتسلّم الحكم بالكرك سارعوا بالإنضمام إليه من مصر والشام مثل نائب صفد، ونائب حلب، كما انضمّ إليه عرب نعير، وعرب الكرك، وقدموا له الخيل والعساكر والمال[٣]. ويبدو أن بعض أعيان الكرك خشوا من انتقام منطاش فاجتمعوا عند عماد الدين أحمد المقيري قاضي الكرك، واتفقوا أن يقبضوا على برقوق، وأن يبلغوا مصر أنه لم يخرج إلاّ بإجماع السفهاء، ليكون عذراً لهم عند السلطان أمير حاجي، وبعثوا ناصر الدين أحمد أخا القاضي عماد الدين فأغلق باب المدينة[٤]. لكن برقوق تمكن من الخروج بمساعدة علاءالدين أحد إخوة قاضي الكرك، واللحاق بمماليكه والعرب الذين انضموا لنصرته خارج مدينة الكرك[٥]، وتوجه إلى غزة، حيث أوقع الهزيمة بنائبها حسين

---

(١) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٣٦. والغياثي، تاريخ، ص٣٥٠.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٩، ٣٥٠. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٨٥.

(٣) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٥. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٦. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٨٦. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ٣١٣.
Walter, Ascensus Barcoach, part. 2, p. 159.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٥٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٥٩.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٥٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن باكيش، والتقى بجنتمر نائب دمشق عند شقحب بالقرب من دمشق وألحق الهزيمة به[١]. ثم عاد والتقى بنائب غزة مرة أخرى، وتمكن من إلحاق الهزيمة به، والاستيلاء على ما بحوزته من السلاح والخيول والأثقال، ثم حاصر دمشق مرة أخرى، وتمكن من التغلب عليها رغم الإمدادات التي وصلتها[٢].

وحين تواترت الأخبار الحقيقية عن موقف برقوق واستعداده لقتال الأمير منطاش في ١٥ ذي القعدة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م اضطر منطاش إلى التجهيز مع السلطان أمير حاجي لقتال برقوق[٣]. وبسبب قلة توفر الأموال اللازمة للاستعداد للسفر؛ اضطر منطاش لمصادرة أموال الأيتام[٤]، وألزم بطريق النصارى في الإسكندرية بمائة ألف درهم، ورئيس اليهود بخمسين ألف درهم[٥]. وبسبب موت أعداد كبيرة من الخيول في الحرب وحاجة الأمير منطاش إليها للاستعداد للسفر، أمر بمنع الفقهاء والكتاب من ركوب الخيل والاستعاضة عنها بالبغال. واستولى على خيول وأكاديش الحمالين والطحانين[٦]. للانتفاع بها في القتال.

وقبل مغادرة منطاش القاهرة استدعى الخليفة المتوكل على الله والعلماء واستصدر منهم فتياً لقتال برقوق تتضمن:« رجل خرج على الخليفة، والسلطان، وشق عصا الطاعة، وقتل شريفاً في الأشهر الحرام والبلد الحرام وهو محرم،

---

(١) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٦. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢١٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٥٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٠.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٩٤. والسخاوي، ذيل دول الإسلام، ورقة ٩٧ب.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٥٢، ١٠٥٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٦٢. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢١٤.

(٥) ابن حجر العسقلاني، أبناء الغمر، ج٢، ص٣٤٤، ٣٤٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٥٩-٣٥٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٥.

(٦) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-يقصد صاحب مكة أحمد بن عجلان-، واستحل أخذ أموال الناس وقتل الأنفس»[١]، وأشياء أخرى. فكتب العلماء والقضاة بوجوب قتاله[٢].

وتجهز منطاش، والسلطان المنصور حاجي والخليفة لقتال برقوق في ٢٢ ذي الحجة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، بعد أن قرر الأمير تَكَا الأشرفي[٣] والأمير قرادمرداش القَشْتَمُري[٤] في نيابة الغيبة في القاهرة[٥]، وعين الأمير صراي تمر بالإسطبل، وجعل له أمر الولاية والعزل[٦].

أما برقوق، فقد اتجه بعساكره إلى شقحب. وعندما تقدم منطاش بقواته والسلطان أمير حاجي والخليفة، رتب كل من برقوق ومنطاش قواتهما[٧]. والتقت العساكر الجركسية مع الأتراك في١٤ محرم سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م، وتمكن برقوق من أسر السلطان أمير حاجي، والخليفة المتوكل، والسيطرة على خزائن الأموال[٨]. والعصائب[٩] السلطانية والوقوف تحتها. واستخدم برقوق أسلوب الملاطفة مع السلطان أمير حاجي والخليفة ليجتذب أكبر عدد من عساكر منطاش. وحين رأى

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٥٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤١٧.

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٦.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) الأمير قرادمرداش القَشْتَمُري من كبار الأمراء اليلبغاوية، مات مقتولاً بسجب قلعة الجبل سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣٤.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٥٢، ١٠٥٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٦٥.

(٦) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٦-٢٧. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٩٥.

(٧) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ق٥، ص١٠٥٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٦٧. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣١٤. والسخاوي، ذيل دول الإسلام، ورقة ٩٩أ.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٩٣.

(٩) العصائب هي راية كبيرة من الحرير الأصفر المطرز بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه. ترفع فوق راس السلطان في الاحتفالات والمناسبات والحرب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عساكر منطاش انضمام السلطان والخليفة إلى برقوق تخلوا عن منطاش وانضموا إلى برقوق، حتى أصبح جيش برقوق نحو سبعة آلاف مملوك[١]. وبهذه الأعداد الكبيرة من المماليك تقدم برقوق نحو دمشق، وتمكن من إلحاق الهزيمة بالأمير منطاش[٢].

وبعد أن انتصر برقوق على الأمير منطاش أقام في شقحب سبعة أيام ثم جمع من معه من الأمراء والأعيان بحضرة الخليفة والقضاة وأجبر السلطان أمير حاجي على التخلي عن السلطنة لعجزه عنها، وحكم القضاة بذلك، وبايعوا برقوق بالسلطنة. وبعد البيعة خلع السلطان برقوق الخلع على الخليفة والقضاة[٣].

وبعد انتهاء السلطان برقوق من مراسم تسلم السلطة استعد للرحيل إلى القاهرة رغم بقاء حصار منطاش على دمشق؛ وذلك لعدة أسباب أهمها: تردي الأوضاع الاقتصادية وارتفاع الأسعار في دمشق[٤]، وانضمام عدد كبير من العرب إلى منطاش، ودعمهم له بعد زواجه من ابنة أمير العرب نعير[٥]، فضلاً عن نصيحة كبار أمراء السلطان برقوق بعدم بقائه في دمشق والتوجه إلى مصر باعتبارها مقر السلطنة حيث قالوا:« أنت سلطان مصر أم سلطان الشام؟ امضِ إلى مصر واجلس على تخت الملك، فتصير الشام وغيرها في قبضتك »[٦]. فتوجه السلطان برقوق إلى القاهرة وبصحبته المنصور أمير حاجي والخليفة والقضاة، وحين

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٩٤. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٣٥.

(٢) ابن حبيب، ذيل درة الأسلاك، ورقة ١٨٥. والإسحاقي، أخبار الأول، ص١٣٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٧١. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٣٢٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٩٤-٦٩٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٧١.

(٥) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٨٩.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصلوا قريباً من القاهرة في ١٤ صفر سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، خرج الأعيان والعلماء للقائه[١]. وفرشت له شقق الحرير خارج الترب إلى باب السلسلة، فلما وصل السلطان برقوق إلى الشقق الحرير المفروشة، تنحّى بفرسه عنها، وقدم المنصور حاجي، حتى مشى بفرسه عليها، ثم سار السلطان برقوق بجانبه خارجاً عن الشقق الحرير وكأن الموكب للمنصور حاجي، فوقع هذا من الناس موقعاً عظيماً، ورفعوا أصواتهم له بالدعاء لتواضعه في حال غلبته وقهره له وكون المنصور معه كالأسير، وصارت القبة والطير شعار السلطنة على رأس المنصور حاجي أيضاً، والخليفة أمامهما وقضاة القضاة بين يدي الخليفة. وعندما وصل السلطان برقوق إلى باب القلعة أدخل المنصور حاجي إلى داره بقلعة الجبل، وتفرغ السلطان برقوق بعد ذلك لشؤونه الخاصة[٢]. واستدعى السلطان برقوق الخليفة وقضاة القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني وكبار الأمراء، فجدد له الخليفة التفويض بالسلطنة، وشهد قضاة القضاة عليه بذلك وأفيضت التشاريف السلطانية على الخليفة، وكذلك ألبس الخليفة خلعة السلطنة للسلطان برقوق[٣].

وحين استقر السلطان برقوق في السلطنة، أخذ في تثبيت سلطته في مصر والقاهرة بإعادة الأمن والهدوء والاستقرار إلى القلعة، واستدعى كبار الأمراء المسجونين في الإسكندرية ممن شاركوا في الثورة ضد السلطان برقوق كالأمير يلبغا الناصري، والطنبغا الجوباني، وعفا عنهم ووزع عليهم الوظائف لكسب ودّهم

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢-٣. والسخاوي، ذيل دول الإسلام، ورقة ١٩٩أ. والفياثي، تاريخ، ص٣٥٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٣١.

(٢) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٦٠. السخاوي، ذيل دول الإسلام، ورقة ١٩٩أ.
Pools. History of Egypt, p.p. 330-331.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٠٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولضمان عدم الانضمام إلى الأمير منطاش الذي ما زال ثائراً في دمشق[١]. كما قضى على الفتن والإشاعات الكاذبة التي كانت سبباً في إثارة الفرقة والخلاف بين الأمراء والمماليك، فسجن أحد مماليك الظاهرية بخزانة شمايل[٢]. وألقى القبض على الأمير يلبغا أحد أمراء العشرات وسمّره، ونودي عليه:« هذا جزاء من يرمي الفتن بين الأمراء »[٣]. وتخلص من المعارضين لحكمه، بالنفي والسجن والقتل[٤]، وقرب مماليكه الجراكسة[٥]. وبذلك عاد السلطان ثانية إلى الحكم يوم الإثنين سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، وقامت دولة جديدة أغلب عناصر الجيش فيها من الأمراء والمماليك الجراكسة[٦].

٧- حركات أخرى:

لقد تعرضت دولة المماليك خلال فترة حكم السلطان برقوق الثانية للعديد من الفتن والثورات الداخلية. التي وجهت في غالبيتها ضد السلطان برقوق كحركة علي باي الخازندار[٧]، وثورات العربان.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٠٦-٧٠٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥-٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧١٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٣٦-٤٣٧.

(٥) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٦٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٩٦.

(٦) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٩٣.
Walter, Ascensus Barcoach, part. 2, p. 64.

(٧) علي باي الخازندار، أحد المماليك الجراكسة وهو أمير مائة مقدم ألف ورأس نوبة كبير في مصر خلال فترة حكم السلطان برقوق. مات مخنوقاً سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٧. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي ١٩ ذي القعدة سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م دَبّر الأمير علي باي الخازندار لاغتيال السلطان برقوق بسبب اعتداء أحد خواص مماليك السلطان برقوق -وهو شاد شراب خاناته- على جارية من جواري الأمير أقباي الطرنطاي، وحين بلغ ذلك الأمير أقباي، قبض على المملوك وضربه ضرباً مبرحاً مما أغضب الأمير علي باي وشكاه للسلطان برقوق. ولكن السلطان برقوق لم يلتفت إلى شكايته[١]، وكان في اعتقاد الأمير علي باي الخازندار أن السلطان برقوق سوف يعاقبه. وحين لم يجد الأمير علي باي تجاوباً من السلطان برقوق، أظهر الأمير علي باي ما كان يخفيه من حقد على السلطان برقوق وقرر اغتياله بعد الانتهاء من فتح الخليج[٢] والعودة إلى القلعة. ولكن أحد مماليك السلطان برقوق اليلبغاوية اعترضه أثناء عودته إلى القلعة، وأعلمه أنه شاهد مماليك الأمير علي باي قد استعدوا للقتال، فكتم السلطان برقوق الخبر[٣]، وأرسل الأمير أرسطاي رأس نوبة إلى بيت الأمير علي باي يعلمه أن السلطان برقوق يريد زيارته، فلما أعلم الأمير علي باي بذلك اطمأنّ، ووقف أرسطاي على باب علي باي ينتظر قدوم السلطان برقوق. وحين بعث السلطان برقوق أرسطاي إلى الأمير علي باي أمر الجاويشية بالسكوت، وأنزل العصائب السلطانية التي كانت ترفع فوق رأس السلطان لإخفاء مكانه، وسار السلطان كأحد الأمراء حتى صار بينه وبين العصائب السلطانية مسافة كبيرة، ووصل بالقرب من دار الأمير علي باي، وأسرع في المسير مع الأمراء والمماليك باتجاه القلعة. وحين مرّ السلطان برقوق دون أن يشاهده الأمير علي باي[٤]، لتأخر العصائب السلطانية، والسنجق والجاويشية، اضطر الأمير علي باي اللحاق

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٣-٩٠٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٥. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٦٦٣، ٦٦٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٠٥.

(٢) أنظر الفصل الخامس الحياة الاجتماعية (وفاء النيل).

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٣-٩٠٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٢-٨٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٨٥-٣٨٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٣-٨٤. والعيني، عقد الجمان (حوادث ٧٩٩-٨٣٠هـ)، ورقة ١٠أ، ب، ١١أ، ب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالسلطان برقوق ومعه نحو أربعين فارساً من مماليكه. ولكن السلطان برقوق دخل باب السلسلة وتحصن بالإسطبل السلطاني. فوقف الأمير علي باي بالقرب من الإسطبل تحت القلعة، ونزل إليه عدد من المماليك السلطانية لقتالهم فقاتلهم الأمير علي باي وقتل عدداً منهم، لكنه تمكن من الهرب بعد أن تفرق عنه مماليكه[١]، ثم أُلقي القبض عليه وسجن بقاعة القصر في القلعة[٢]، ونهب العامة بيته[٣]. ثم أمر السلطان برقوق تشديد العقوبة على الأمير علي باي لمعرفة الأمراء والمماليك الذين شاركوا في محاولة اغتياله؛ غير أن الأمير علي باي لم يعترف على أحد ممن شارك من الأمراء والمماليك، فأخذ خارج القلعة وخنق هناك[٤]. وقد ترتب على قتل الأمير علي باي استياء من قبل الأمراء والمماليك الجراكسة، وكثر تخوّفهم من السلطان برقوق خشية أن يكون الأمير علي باي قد ذكر أحداً من الأمراء أثناء التعذيب[٥]. وبذلك كشفت محاولة الأمير علي باي اغتيال السلطان برقوق عن موقف بعض الأمراء والمماليك الجراكسة من حكم السلطان برقوق وغيرت من سياسة السلطان برقوق الداخلية التي ركزت على الإكثار من المماليك الجراكسة في الدولة وجعل نواة البنية العسكرية من العنصر الجركسي بدليل عدم الالتفات إلى نصيحة زوجته -"أرد"- التي كانت دوماً تحذره من الإكثار من المماليك الجركسية وقوله:« الذي كنت أشرت به عليّ هو الصواب، ولكن هذا كان مقدّراً ونرجو الله تعالى إصلاح الأمر من اليوم »[٦]. مدللاً بذلك على تغير نهج سياسته الداخلية في عدم الاعتماد على عنصر معين في الدولة.

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٤-٨٥. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٧٤ب.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٠٥.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٤-٩٠٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٠٦-٥٠٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٧.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٣٠.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تعرضت دولة المماليك للعديد من ثورات العربان في مصر وبلاد الشام، إما لدوافع سياسية أو اقتصادية، رغم اعتماد الدولة على العربان في حفظ الأمن والبلاد والقرى[١]، وإقامة الجسور الخاصة بالري[٢]، وتزويد بعض مراكز البريد بالخيول في بداية كل شهر واستعادتها في آخر الشهر واستبدالها بغيرها[٣]. فالسلطان برقوق عين الأمير محمد بن عيسى شيخ عرب العائد وبرقة كاشفاً للجسور في الشرقية سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م بعد أن منحه إمرة طلخاناة، وعين أخاه شيخاً على عرب العائد[٤].

وحرصت دولة المماليك على تعيين أمراء للعربان في مختلف نيابات السلطنة في مصر، كالوجه القبلي في قوص والأشمونيين والبهنسى[٥]، وبلاد الشام كدمشق[٦]، وحلب[٧]، والكرك[٨]. وإشراكهم في الجيش المملوكي كقوة غير نظامية أثناء الحرب والفتن لكل فئة من العربان أمير. فكان أمير عرب الشرقية محمد بن عيسى[٩]، والوجه القبلي بزعامة هوارة في الصعيد الأدنى، وبني عريب في الصعيد الأعلى[١٠].

---

(١) علي طرخان، الجراكسة، ص٧٦٧.

(٢) راجع الحياة الاقتصادية (الزراعة).

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣١.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٨، ٦٩.
Popper, Egypt and Syria, vol. 2, p. 75.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٠.

(٧) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٧.

(٨) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٤٨.

(٩) المصدر ذاته، ج٧، ص١٧٦، ١٧٧.

(١٠) المقريزي، البيان والإعراب، ص٦٠. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجرت عادة سلاطين دولة المماليك تعيين أمراء العربان بتقليد شريف من السلطان في مصر[١]، بعد أن يخلع عليه تشريف أطلس، إذا كان حاضراً في مصر، أما إذا كان غائباً فيجهز التشريف إلى محل إقامته. كما يعين السلطان لكل طائفة من العربان كبيراً يقوم مقام الأمير في بقية نيابات السلطنة، تصدر إليه المكاتبات من قبل السلطان في مصر[٢].

ورغم منح دولة المماليك الإقطاعات لبعض الأمراء العربان إلا أن ثوراتهم وتعدياتهم على مختلف أقاليم الدولة في مصر وبلاد الشام كانت شبه دائمة[٣]. ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٧م أصدر السلطان برقوق مرسوماً يقضي فيه بعزل الأمير نعير ابن حيار بن مُهنا عن إمارة عرب آل مهنا، ومصادرة جميع أمواله وموجوداته بسبب كثرة الإغارة على نيابة حلب، وعين مكانه ابن أخيه عثمان بن قار[٤] في إمرة العرب. في حين طلب السلطان برقوق من الأمير يلبغا الناصري نائب حلب آنذاك التوجه إلى الأمير نعير والقبض عليه، لكن الأمير نُعير تمكّن من الهرب، فاستولى الناصري على ثلاثين ألف بعير وسبى نساء نُعير[٥].

أما في مصر فقد أغار سلام بن التركية وعدد كبير من العربان على نواحي الفيوم، وقاموا بنهبها. وانضم إليه إبراهيم بن البان وادعى أنه مبعوث من قبل الخليفة -وكان قد هرب من شكاوي الناس بسبب ظلمه-. فجهز السلطان برقوق

---

(١) نص تقليد أحد أمراء العربان. ملحق رقم (١).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص٤٢١.

(٣) أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٣٧٣.

(٤) عثمان بن قار، أمير عرب آل فضل في الشام والعراق، (ت ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م) شاباً. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٠٤.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٧٢-٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أربعة من المماليك للقبض عليه. لكنه تمكّن من الهرب[١]. ولم تقتصر اعتداءات العربان في مصر وبلاد الشام على قتل الناس والاعتداء على أموالهم وأملاكهم وإنما تعدت السلطان برقوق نفسه حيث تمكّن أولاد الأمير عيسى بن مُهنا سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩١م من الاستيلاء على عدد كبير من جماله، وقتل نحو أربعة أشخاص[٢]، مما دفع عربان العيسوية إلى الهجوم على متولي قليوب في ١٨ ربيع الآخرة سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م وجرح عدد من مماليكه انتقاماً لمقتل أولاد الأمير عيسى بن مُهنا[٣].

أما أهم ثورات العربان التي هددت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق الثانية، فكانت ثورة الشريف جمال الدين محمود العنابي[٤] سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م بالاشتراك مع شرف الدين محمود بن عيسى شيخ عرب العايد، وسبب هذه الثورة أن الشريف محمود العنابي أرسل كتاباً إلى الأمير موسى بن عيسى يطلب فيه أن يسمح لعربانه بالنزول قريباً من القاهرة، ليتمكن من الاستيلاء على السلطة بعد خروج السلطان برقوق إلى دمشق لمحاربة تيمورلنك، كما تضمن الكتاب اتفاق الشريف محمود العنابي مع عربان البحيرة والصعيد على الثورة ضد نواب السلطان برقوق وكشافه في مختلف مناطق مصر وقتلهم ونهب البلاد. وتمّ الاتفاق في حال نجاح الخطة أن يتولى الشريف محمود الخلافة[٥]. وأن يُعْهَدَ بالسلطنة إلى شخص يُتَّفَقُ عليه[٦].

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٧٦.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥١١.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٨١.
Popper, Egypt and Syria, vol. 2, p.p. 75-76.

(٤) قدم مع السلطان برقوق من بلاد الشام بعد فراره من سجن الكرك، وقدمه على كثير من مماليكه، ورتب له ألف درهم في الشهر. ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٧٦.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٩. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٩٨.

(٦) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن كتاب الشريف محمود العنابي وقع بيد ابن الطبلاوي والي القاهرة آنذاك، فأبلغ السلطان برقوق بالخطة، فأسرع السلطان بالقبض على الشريف محمود وشريكه، وأمر بعقوبتهما حتى يعترفا على من اشترك معهم في المؤامرة، فلم يعترفا بشيء سوى على عدد من المماليك الأتراك[١]. فأمر السلطان برقوق بقتل الشريف محمود العنابي وشريكه[٢].

واستمرت تعديات العربان على مصر وبلاد الشام خلال سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م بشكل دائم مهددة بذلك الأمن الداخلي للدولة. فقد ألقى السلطان برقوق القبض على عربان الفيوم وعشرين رجلاً ممن كانوا معه لقتلهم محمد وعمر ابني الأمير شادي في بلاد الشام[٣]، كما تمكن الأمراء والمماليك الذين توجهوا إلى الصعيد في ٢ رمضان سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م من إلقاء القبض على نحو خمسمائة رجل من عربان الصعيد وسجنهم بخزانة شمايل[٤]. بسبب كثرة تعدياتهم على الناس.

وقبض الأمير أنواط اليوسفي كاشف الوجه البحري على حوالي سبعين رجلاً من عربان الزهور بسبب تعدياتهم الكثيرة على بعض مناطق الوجه القبلي في مصر، وتهديدهم أمن الطرق وسلامتها، وقيامهم بالإستيلاء على أموال التجار، والإعتداء على المسافرين، وقتل عدد كبير منهم، وقد أمر السلطان برقوق بتسميرهم على ألواح الخشب وقتلهم[٥]. وقد اتخذ السلطان برقوق اجراءات

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١٠.

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٨٧.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦٧.

(٤) المصدر ذاته، ج١، ص٤١١.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متعددة لمنع اعتداءات العربان كتوزيع عدد كبير من أجناد الحلقة في مناطق الوجه البحري، والإقامة فيها. ويذكر ابن الفرات (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) :« أن الأمير كمُشبغا الحموي نائب الغيبة عرض حوالي مائتي جندي من اجناد الحلقة وأرسلهم إلى كاشف الوجه البحري ليقيموا عنده بسبب كثرة فساد العربان، فتوجهوا إلى الكاشف فقسمهم إلى ثلاثة أماكن: فرقة في مُنية غمر في بنها، وفرقة في سنكلوم[١]. وأنشأ سوراً من اللَبن حول دمنهور لحمايتها من تعديات العربان بعد فتنة عرب البحيرة[٢]. واتخذ السلطان برقوق إجراءات مماثلة في بلاد الشام وأصدر مرسوماً يقضي فيه بإبقاء العساكر في حماة حتى يتم تخزين الغلال في الأهراء[٣]، وأصدر بذلك مرسوماً شدد فيه على منع دخول العربان المناطق الزراعية قبل الانتهاء من جني المحاصيل بالقتل[٤].

وبالرغم من الفتن والثورات المتعددة التي واجهت حكم السلطان برقوق البالغة نحو سبعة عشر عاماً إلا أنه تمكن من البقاء في الحكم والقضاء على مختلف هذه الثورات حتى اشتد عليه المرض في ١٣ شوال سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. واستدعى الخليفة المتوكل على الله، وقضاة القضاة، وكبار الأمراء، وأعيان الدولة، وعهد بالسلطنة لأولاده من بعده، وهم: فرج وعبد العزيز وإبراهيم[٥]. وأوصى السلطان برقوق الخليفة وقضاة القضاة والأمراء، ألا يخالفوا أيّاً من تولى السلطنة من أولاده، وأن يكونوا كلهم معهم، وأن يظلّ جميع الأمراء في وظائفهم حسب

---

(١) المصدر ذاته، م٩، ج٢، ص٢٦٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص١٧٠.

(٣) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٣٥-١٣٦. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٤٦٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٢٢. وانظر ملحق رقم (١).

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٣٦-٩٣٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتيبه لهم، وأن يكون الأمير أيتمش البجاسي أتابك العساكر في الدولة لصغر سن الأمير فرج[١].

وبعد وفاة السلطان برقوق في ١٥ شوال سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨[٢]، بويع الأمير فرج بالسلطنة ولقب بالملك الناصر وعُقد له مجلس للوصاية برئاسة الأمير أيتمش البجاسي كما أوصى السلطان برقوق قبل وفاته، والأمير تغري بردي بن يشبُغا أمير سلاح، والأمير بيبرس الدوادار ابن أخت السلطان برقوق، والأمير قطلوبُغا الكركي، والأمير يلبغا السالمي، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، وتقرر الخليفة المتوكل مسؤولاً عن جميع مجلس الوصاية[٣].

٨- العلاقات الخارجية لدولة المماليك في عهد السلطان برقوق.

تمتعت دولة المماليك في مصر وبلاد الشام في فترة حكم السلطان برقوق بمكانة متميزة، باعتبارها مركزاً للعالم الإسلامي، الذي يضم أغلب المقدسات الإسلامية في بلاد الشام والحجاز، فكثيراً من الدول المجاورة أخذت تطلب ودّ السلطان برقوق، رغبة في التمتع بحمايته. ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م كتب نائب

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٤. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٤، ص٢٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٢٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٦٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩٥. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٧٧أ.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٣٧. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٤، ص٢٧-٢٨. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٧٧أ. وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنجار[١]، ونائب تكريت[٢]، ونائب قيصرية[٣] إلى السلطان برقوق يطلبون منه أن يكونوا من مماليكه السلطانية، وأن يقرر لهم جوامك (رواتب) وعليق ولحم وكسوة وأضحية. رغبة في أن تكون نياباتهم تابعة للسلطنة المملوكية في مصر. فسارع السلطان برقوق إلى إعلان موافقته على مطالبهم، وبعث إليهم التقاليد والتشاريف بذلك[٤].

وعندما ازداد خطر تيمورلنك[٥] على الشرق سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م، واستولى على تبريز وسمرقند. وأرسل تيمورلنك إلى مجد الدين عيسى صاحب ماردين سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م يستدعيه عنده. اعتذر مجد الدين عيسى لتيمورلنك عن الحضور حتى يستشير السلطان برقوق، لكن تيمورلنك لم يقبل منه ذلك وقال: «ليس لصاحب مصر عليك حكم، ولأسلافك دهر بهذا الإقليم»، وأرسل إليه تيمورلنك خلعة وسكة ينقش بها الذهب والدنانير باسمه[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٨. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٣٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٧٥.

(٢) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بالقرب من الموصل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٢.

(٣) بلدة مشهورة بين بغداد والموصل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٨.

(٤) وتسمى قيسارية وهي مدينة كبيرة في بلاد الروم، ومركز السلطنة السلجوقية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٠. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٣٤.

(٥) تيمورلنك بن أيتمش بن زكلي بن طغريك، ولد سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م بقرية خواجا ايلغار منعمل كش أحد مدن ما وراء النهر. توفي سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٥، ص٢٣١. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٨٠.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٨٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٢-٣٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين بعث مجد الدين صاحب ماردين رسالة إلى السلطان برقوق يعلمه فيها بما جرى بينه وبين تيمورلنك، وصل أحد رسل البلاد الشرقية إلى مصر، وأخبر السلطان برقوق بأن تيمورلنك قتل صاحب شيراز شاه منصور، وبعث برأسه إلى بغداد، وأرسل إلى السلطان أحمد بن أويس خلعة وسكة[١]، ليسهل على تيمورلنك الاستيلاء على بغداد[٢]. فلبس السلطان أحمد بن أويس الخلعة وطاف بها في شوارع بغداد وضرب السكة باسم تيمورلنك[٣].

لكن السلطان أحمد بن أويس فوجئ باقتراب تيمورلنك من الجهة الغربية لبغداد. فأسرع السلطان أحمد بقطع الجسر من هذه الناحية، وهرب من بغداد بأمواله وأولاده وقت السحر. فبعث تيمورلنك عساكره بقيادة ابنه لملاحقة ابن أويس فأدركه بالحِلّة[٤] ونهب أمواله وسبى نسائه، وتمكن ابن أويس من الهرب واللجوء إلى نيابة حلب[٥].

وحين علم السلطان برقوق من نائب حلب بهرب السلطان أحمد ولجوءه إلى حلب، كتب السلطان برقوق إلى نائب حلب بإكرامه، والقيام بما يليق به. وعندما طلب السلطان أحمد بن أويس إلى السلطان برقوق يستأذنه في الحضور إلى مصر. جمع السلطان برقوق كبار الأمراء لاستشارتهم في أمر ابن أويس، فاتُفق على السماح لابن أويس بالحضور إلى مصر[٦]، ندب السلطان برقوق أحد الأمراء

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٨٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٢.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٨٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٣.

(٤) الحِلّة: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٤.

(٥) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٨٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٤.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاستقبال ابن أويس، وجهز معه نحو ثلاثمائة ألف درهم فضة؛ للنفقة على ابن أويس في الطريق إلى مصر[١]. وحين وصل ابن أويس إلى خارج القاهرة في ١٧ ربيع الأول سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م خرج السلطان برقوق من قلعة الجبل لملاقاته واستقبله استقبالاً حاراً ووعده بالعودة إلى ملكه، ثم خلع عليه السلطان برقوق قباء حرير وقدم له فرساً من الخيول السلطانية بسرج ذهب[٢].

أما تيمورلنك فقد أرسل هدية عن طريق رسله إلى السلطان برقوق، فلما وصلت الرسل إلى حدود الديار المصرية، أمر السلطان برقوق بقتل الرسل. وتبين أن هدية تيمورلنك تتضمن ابن وزير بغداد، وابن قاضيها، وابن محتسبها، وليس فيهم سوى مملوك واحد[٣]. حينئذٍ بدأ السلطان برقوق بالنفقة على المماليك في ٣ ربيع الآخر سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م استعداداً لقتال تيمورلنك[٤]. وبينما السلطان برقوق في ذلك بعث تيمورلنك كتاباً إلى السلطان برقوق يتهدده ويتوعده إن لم يعلن تبعيته له، واتهمه بظلمه لرعيته وأخذ الرشوة من الحكام. كما أنكر على السلطان قتل رسله السابقين. وطالبه برد الجواب سريعاً[٥].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٨٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٦.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، ج٢، ص٣٦٢. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٧٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٤-٨٠٥. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٢٠-٣٢٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥١-٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما السلطان برقوق فكتب إلى تيمورلنك جواباً على رسالته بدأه بالبسملة، ثم أخذ في نقد ماجاء في كتاب تيمورلنك من تهديد واتهام له، واتهم تيمورلنك بالكفر، وأنه لن يعلن الطاعة له، كما قلّلَ من قوة تيمورلنك، ووصف عساكره بالأغنام الضعيفة[١].

وحين انتهت استعدادات السلطان برقوق في ٣ ربيع الآخر سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م رحل من القاهرة بعساكره متجهاً إلى دمشق لقتال تيمورلنك، فوصلها في ٢٨ ربيع الآخر، وأقام بها ينتظر قوات تيمورلنك. ومن هناك أرسل السلطان برقوق عساكره إلى البلاد الحلبية بقيادة الأمير كمشبغا الحموي وعدد من الأمراء لمواجهة أي هجوم محتمل من قبل تيمورلنك[٢].

أما السلطان أحمد بن أويس فقد كتب له السلطان برقوق يأمره بالتوجه إلى مملكته ببغداد في أول شعبان سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م وزوّده بجميع ما يحتاج إليه من المال والخيل والسلاح، وكتب له تقليداً بسلطنة بغداد[٣]. وأبدت الدول المجاورة لدولة المماليك استعدادها لتقديم العون للسلطان برقوق، فأرسل طقتمش صاحب بلاد القبجاق أن يكون عوناً للسلطان برقوق في حروبه مع تيمورلنك[٤]، كما أرسل بايزيد العثماني رسله يعرض رغبته بالتحالف مع السلطان في مواجهة المغول[٥]، كما قدمت رسل القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس بأنه في طاعة السلطان برقوق وأنه يترقب ورود مرسوم سلطاني من السلطان برقوق يسمح به بالتوجه إلى جهة يعينها السلطان برقوق، عند قدوم تيمورلنك. فردّ السلطان برقوق على الجميع بالشكر والثناء[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٣. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٢٥.

(٢) المصدر ذاته، ج١٢، ص٥٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١٤-٨١٥. والخطيب، المغول، ص٧٠.

(٤) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٨٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١٧.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن الاستعدادات الكبيرة التي قام بها السلطان برقوق وتحالف الدول المجاورة له، جعلت تيمورلنك يتراجع عن مهاجمة بلاد الشام والانسحاب شيئاً فشيئاً إلى بلاده. فلما تأكد السلطان برقوق من انسحاب تيمورلنك عن حدود بلاد الشام، عاد بعساكره من حلب في ٢٧ محرّم سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م إلى دمشق. ولم يقم بها إلاّ أياماً قليلة، ثم توجه إلى الديار المصرية[١].

وقد ارتبطت دولة المماليك بعلاقات متميزة مع دول أفريقيا، مثل بلاد النوبة، والحبشة[٢]، ودولة الحفصية في تونس، ودولة بني عبد الواد في تلمسان، ودولة المرينين بفاس. وقد توثقت العلاقات بين دولة المماليك ودولة المغرب بتبادل الهدايا في المناسبات المختلفة كالحج، لأن مصر واقعة على طريق الحج المغربي، فضلاً عن مكانة دولة المماليك، ودورها في الإشراف على الأراضي المقدسة في الحجاز، وارتباطها بعلاقات تجارية مع دول المغرب عبر ميناء الإسكندرية[٣].

وتوطّدت العلاقات بين دولة المماليك ودول المغرب منذ أن وصل ابن خلدون إلى مصر سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م قادماً من المغرب، إذ عمل على توثيق العلاقات بين دولة المماليك وبلاده. وحين احتاجت دولة المماليك للخيول العربية الأصيلة لتميزها بالقوة وشدة التحمل في أوقات الحرب، كاتب ابن خلدون سلاطين بلاد المغرب لانتقاء أفضل الخيول وإرسالها إلى السلطان برقوق. إذ يذكر ابن خلدون: « ليس عندنا في المغرب تحفة تطرف بها ملوك الشرق إلاّ الجياد العربية »[٤]. وحين رغب ابن خلدون في جلب أولاده إلى مصر سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م، وتمسك سلطان تونس بأولاد ابن خلدون رغبة منه في عودة ابن خلدون إليه، أرسل إليه السلطان

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٩٢.

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٤٥. وإبراهيم طرخان، الجراكسة، ص١٤٣.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٥٧٠-٥٧١.

(٤) المصدر ذاته، ج٥، ص٥٧٠-٥٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برقوق كتاباً يرجوه فيه أن يرسل أولاد ابن خلدون وهدية تتضمن عدداً كبيراً من الخيول العربية. غير أن السفينة التي كانت تُقل أولاد ابن خلدون غرَقَت بالقرب من الإسكندرية، وغرق معها أولاد ابن خلدون والخيول العربية ونجا رسول سلطان تونس ليخبر بهذه الكارثة فأكرمه السلطان برقوق وأحسن إليه وأعاده إلى تونس بهدية من الثياب الفاخرة السكندرية[١].

وحين احتاج السلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م إلى شراء عدد من الخيول العربية الأصيلة بسبب ازدياد خطر تيمورلنك على الحدود الشرقية لدولة المماليك. أرسل الأمير قَطْلوبُغا الخليلي أمير آخور إلى بلاد المغرب بهدية من قماش وطيب وقسي إلى سلطان فاس، وتلمسان، وتونس. وحين عاد الأمير قَطْلوبُغا إلى مصر جلب معه نحو مائة وعشرين فرساً. فقد أرسل سلطان فاس ثلاثين فرساً، وبغلتين منهما ثمانية بقماش مذهب وثلاثين سيفاً مرصعاً بالذهب، وثلاثين مهمازاً وغير ذلك. وأرسل سلطان تلمسان أربعاً وعشرين فرساً، وبغلتين، وأربعة وعشرين سيفاً مذهباً، وأربعة عشر مهمازاً. وبعث سلطان تونس ست عشرة فرساً بسروجها[٢].

أما الحجاز فقد استمرت تبعيتها لدولة المماليك بعد تولي السلطان برقوق السلطنة، إذ لقب السلطان برقوق بسلطان مصر والحجاز[٣]. وجرت العادة أن يولي سلطان مصر على مكة أمير من أهلها[٤]. يدين له بالولاء والطاعة حتى يضمن

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٥٧٠-٥٧١. ويوسف غوانمة، ابن خلدون، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٢٠.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٧٩-٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلامة طرق التجارة في البحر الأحمر[١]. فحين اعتدى كبيش بن عجلان على أبناء عمه وسمل أعينهم، عزله السلطان برقوق من منصب إمارة مكة، وعين الشريف عنان بن مغامس مكانه[٢].

وفي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م استدعى السلطان برقوق الشريفان عنان بن مغامس وعلي بن عجلان أميرا مكة من الحجاز إلى القاهرة، وعين الأمير علي بن عجلان في منصب إمارة مكة دون شريك له[٣]. وأنعم عليه بأربعين فرساً، وعشرة مماليك أتراك، وثلاثة آلاف إردب قمح، وألف إردب شعير، وألف إردب فول، وفرس بسرج ذهب، وسمح له باستخدام مئة فارس من المماليك[٣]. ومنع الشريف عنان بن مغامس من السفر إلى مكة بعد أن خصص له ما يكفيه من النفقة[٤]. وحين قامت أحد القبائل في مكة بالثورة على الشريف علي بن عجلان وقتله سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، ولى السلطان برقوق الشريف حسن بن عجلان إمارة مكة، وأرسل معه الأمير يلبغا الساعي إلى مكة ليقلده الإمارة[٥].

كما اتبع السلطان برقوق سياسة الودّ مع الدولة الرسولية في اليمن، لحرصه على تأمين الطرق التجارية والبرية والبحرية المؤدية إلى دولة المماليك عبر مصر وبلاد الشام. ووثقت أواصر هذه العلاقة بتبادل الهدايا بين الدولتين[٦].

---

(١) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص١٥٥. وسعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٢٤-١٢٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣٩.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، ج٣، ص٣٠٨. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٠.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٢.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٤١. وانظر ابن الفرات، تاريخ، ج٣، ص٤١٣-٤١٤.

(٦) محمد عبد العال، بنو رسول، ص٤٣٠-٤٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبعث السلطان برقوق إلى السلطان الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن العباس بن رسول سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م هدية برفقة عدد من صناع الحرير السكندريين [١]، وبعث في السنة التالية هدية أخرى فيها من أصناف المأكولات والملبوسات، والتحف والخيول والبغال وكلا ب الصيد[٢]. وفي صفر سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٩م أرسل السلطان برقوق إلى السلطان الملك الأشرف هدية استقبلها السلطان الأشرف بنفسه في مدينة زبيد، فكان يوم وصولها يوماً مشهوداً. وتضمنت الهدية ثلاثين مملوكاً واثني عشر رأساً من الخيول، وعدة جوارٍ من الروميات والأرمنيات، وطبيباً ماهراً من يهود مصر[٣]. وقد عمل السلطان الأشرف ممهد الدين إسماعيل ابن العباس بن رسول على توطيد أواصر الصداقة والمودة مع السلطان برقوق، وتبادل معه الرسل والهدايا تعبيراً عن الصلات الحسنة التي ترتبط بها الدولتان. فبعث السلطان الأشرف سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م بهدية إلى السلطان برقوق تحتوي على عشرة خدام طواشية وأربعة عبيد، وست جوارٍ، وسيف محلى بالذهب، وعدة رماح، وشطرنج، وألف مثقال مسك، وألف مثقال عنبر خام، وبهار وسلع أخرى[٥] . وقد بلغ مكانه السلطان برقوق لدى السلطان الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل لما وصل الخبر إلى اليمن بوفاته سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م[٦] أقيمت صلاة الغائب على روحه بجامع مدينة زبيد يوم الجمعة وأمر السلطان الأشرف بقراءة القرآن على روح السلطان برقوق سبعة أيام في كل من مدينة زبيد وتعز وعدن[٧].

إلا أن علاقات الود والصداقة هذه ارتهنت بين الدولتين ببقاء سلطان اليمن يعمل على ضبط التجارة في ميناء عدن الذي أصبح مركزاً تجارياً هاماً يربط بين الشرق والغرب[٨].

---

(١) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص١٨٦.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص١٦٨.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٤-٨٧٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٢٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٨٧.

(٦) كانت وفاة السلطان برقوق سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م.

(٧) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٢٠٦.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الحبشة فقد حرص السلطان برقوق على علاقات الودّ معها للهدف نفسه الذي حرص عليه في علاقاته مع اليمن وهو تأمين سلامة الطرق التجارية، بتبادل الهدايا، فقد بعث داود بن سيف بن أرعد هدية مع أحد مبعوثيه إلى السلطان برقوق يحتوي على واحد وعشرين جملاً محملة بمختلف طرائف الحبشة من جملتها قدور ملئت بذهب صنع على هيئة حمص[١].

كما حرصت الحبشة على توطيد علاقات الود مع دولة المماليك لارتباط الكنيسة الحبشية بالكنيسة القبطية في الإسكندرية. فقد اعتاد ملوك الحبشة إرسال الرسل والهدايا إلى السلطان المملوكي من أجل أن يبعث إليهم مطران من النصارى الأقباط اليعاقبة في الإسكندرية ليتولى رئاسة الكنيسة الحبشية؛ «لأن المطران الذي هو حاكم شريعتهم في جميع بلادهم من أهل النصرانية لا يقام إلا من الأقباط اليعاقبة بالديار المصرية»[٢].

في حين تميزت العلاقات بين دولة المماليك وبلاد النوبة الواقعة على جنوبي مصر[٣] بعلاقات مضطربة بعد أن سيطر بنو الكنوز على حكمها[٤]. ففي سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م هاجم أولاد الكنز أسوان، وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها، وفرّ واليها، مما اضطر السلطان برقوق إلى تعيين حسين بن قرط التركماني والياً على أسوان[٥]. ولم يكتفِ بنو الكنز بالإغارة على أسوان، وإنما تحالفوا مع عربان الصعيد من هوارة وابن غريب سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٤م وقاموا بنهبها[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٣٠٩.

(٣) المصدر ذاته، ج٥، ص٢٦٤.

(٤) إبراهيم طرخان، الجراكسة، ص١٤٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١١٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٢.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٦٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٣١. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٩٢-٢٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ارتبطت دولة المماليك بعلاقات تجارية مع دول أوروبا، ولا سيما البندقية، التي تمكنت من احتكار تجارة البحر المتوسط، وطرد منافستها جنوه[١]. وقد تمكن السلطان برقوق من تحقيق أرباح كبيرة من خلال تحالفه مع البندقية، واحتكار التجارة في البحر المتوسط. وقد نتج عن ذلك تعرض سواحل البحر المتوسط إلى العديد من الهجمات من قبل جنوه وقبرص وقطلونيا ورودس[٢]. ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م هاجم الجنويون سواحل صيدا وبيروت، ونزلوا على شواطئها[٣]. مما دفع السلطان برقوق إلى إرسال الأمير إينال اليوسفي أتابك دمشق لقتالهم. غير أن الجنويين تمكنوا من الهرب بمساعدة الفرنج المقيمين في بيروت[٤].

كما جرت محاولات أخرى من قبل جنوه للإغارة على سواحل البحر المتوسط؛ ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م حاول الجنويون تهريب البضائع في مراكبهم من ميناء الإسكندرية، والتخلص من دفع الضرائب المستحقة عليها، غير أن القوات المملوكية المقيمة في الإسكندرية تمكنت من إحباط محاولتهم وملاحقتهم في البحر المتوسط، لكنهم تمكنوا من الهرب، مما دفع نائب الإسكندرية إلى مصادرة أموال الفرنج في الإسكندرية[٥]. كما هاجم الفرنجة بلدة الطينة[٦] وقتلوا رجلاً واحداً وأسروا سبعة آخرين ثم باعوهم في ميناء دمياط[٧].

وعندما ازدادت هجمات الجنويين على سواحل البحر المتوسط أمر السلطان برقوق في ربيع الآخرة سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م بصناعة عدد من السفن الحربية لغزو جنوه. ولكن قبل أن تغادر هذه السفن إلى جنوة اشتبكت مع أحد المراكب الجنوية على ساحل دمياط وتمكنت القوات المملوكية من قتل نحو عشرة جنويين وأسر

(١) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص١٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤٩.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٢٩. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٦٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٢٧، ١٢٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٦٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٧-٤٨٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٦٣.

(٦) بليدة صغيرة بين الفرما وتنس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٦.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحو ثلاثين منهم. وبعد الانتصار الذي حققه المماليك على الجنويين في دمياط وصلت السفن إلى ميناء بولاق في جمادى الآخرة سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م بالأسرى والغنائم، وعرضوا على السلطان برقوق في اليوم التالي[١].

ورغم هجمات الجنويين المتكررة على سواحل البحر المتوسط غير أن العلاقات التجارية لم تنقطع مع دولة المماليك. فقد سمح السلطان الظاهر برقوق بإقامة قناصل تجارية للجنويين في الإسكندرية[٢]. لذا لجأ الجنويون إلى مصالحة السلطان برقوق وقدموا له الهدايا[٣]. ولم يتأخر السلطان برقوق في قبول الهدايا منهم حرصاً على استمرار العلاقات التجارية في البحر المتوسط[٤].

على أن الجنويين عادوا وانتهزوا فرصة إنشغال السلطان في إخماد ثورة يلبغا الناصري ومنطاش سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وهاجموا بعض السفن التي كانت تحمل أخت السلطان برقوق وجماعة من أقاربه من بلاد الجركس إلى الإسكندرية وأسروا من بها. مما أثار السلطان برقوق، وأمر بالقبض على جميع الجنويين في الإسكندرية وصادر أموالهم[٥].

ثم جرت عدة مراسلات بين الجنويين والسلطان برقوق أسفرت في نهاية الأمر إلى إخلاء الجنويين سبيل جميع الأسرى المماليك، وقدم بالأسرى الجراكسة تاجر السلطان برقوق الخاص الخواجا علي بن مسافر في ٢٦ ذي الحجة سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[٦].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٨٧. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٧٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٧-٤٨٨، ٥٨١.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٤٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٢٤.

(٤) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص١٥٠.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٤.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

تطور النظام الإداري في عهد السلطان برقوق

أ- وظائف أرباب السيوف (الوظائف العسكرية).

١- نيابة السلطنة.

٢- الأتابكية.

٤- إمرة مجلس.

٥- إمرة سلاح.

٦- إمرة أخورية.

٧- الدوادارية.

٨- الحجوبية.

٩- أمير جاندار.

١٠- الإستادارية.

١١- الجاشنكيرية.

١٢- الخازانداريـة.

- وظائف أخرى.

ب- وظائف أرباب الأقلام (الوظائف الديوانية).

١- الوزارة.

٢- ديوان الإنشاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- نظر الخاص.

٤- نظر الجيش.

٥- نظر الدواوين.

- وظائف أخرى.

٦- الإدارة المحلية في نيابات السلطنة في مصر.

أ- ولاية القاهرة.

ب- والي القرافة.

ج- والي القلعة.

٧- إدارة نيابات السلطنة في مصر.

أ- نيابة الإسكندرية.

ب- نيابة الوجه البحري.

ج- نيابة الوجه القبلي.

ج- الوظائف الدينية.

١- قضاء القضاة.

٢- الإفتاء.

٣- وكالة بيت المال.

٤- الحسبة.

٥- وظائف أخرى.

٦- الإدارة المحلية لنيابات السلطنة في بلاد الشام.

د- بيع الوظائف في عهد السلطان برقوق.

هـ- الخلاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطور النظام الإداري في عهد السلطان برقوق

كانت الوظائف في دولة المماليك تقسم إلى ثلاثة أقسام : وظائف أرباب السيوف (العسكرية)، والوظائف الديوانية (أرباب الأقلام)، والوظائف الدينية. ومع أنه قبل ذلك لم يكن هناك حد فاصل بين الوظائف الديوانية والدينية؛ لأن أغلب الموظفين سواء كانوا إداريين أو دينيين، كانوا يمارسون النوعين دون تفرقة؛ غير أنه في فترة حكم دولة المماليك أصبح هناك نوع من التمييز بين الوظائف الديوانية والدينية. فالتنظيمات الإدارية في دولة المماليك مقتبسة عن النظم الإدارية في الدولة الأيوبية التي جمعت بين التنظيمات الإدارية الفاطمية من جهة والسلجوقية من جهة أخرى.

فالنظام الإداري في دولة المماليك أصبح أكثر مركزية عما كان عليه من قبل، بسبب طبيعة سلاطين المماليك العسكرية. فقد عرفت دولة المماليك دواوين عرفت باسم الدواوين السلطانية.ومفردها ديوان، وهي كلمة فارسية تعني المكان الذي تحفظ فيه سجلات الدولة الرسمية التي أصبحت فيما بعد تدل على المكان الذي يعمل فيه أرباب الأقلام، ثم أطلقت على جميع فروع الإدارة في الدولة[١].

أ- وظائف أرباب السيوف (العسكرية).

١- نيابة السلطنة: تعدّ نيابة السلطنة الوظيفة الأولى في دولة المماليك وتقسم إلى رتبتين: الأولى نائب السلطنة في مصر والأخرى نيابة الغيبة. ونائب السلطنة ينوب عن السلطان في جميع أمور الدولة[٢]. ويسمى بالنائب الكافل، وكافل الممالك الإسلامية تمييزاً له عن نواب الممالك الشامية[٣].

(١) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص٥٠.

(٢) العمري، التعريف، ص٦٥. والعمري، مسالك الأبصار، ص٥٥.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ص٥٥. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٥. والسيوطي، حسن المحاضرة، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتمتع نائب السلطنة بنفس الصلاحيات التي يقوم بها السلطان من تعليم على التقاليد والتواقيع[١] والمناشير[٢]، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالدولة. وكان يقيم بدار النيابة بقلعة الجبل التي بناها السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م[٣].

وكان نائب السلطنة يلقب بنائب السلطنة المعظمة، وكافل الممالك الشريفة الإسلامية، الأميري الآمري. ويعلل العمري تلقيب نائب السلطنة بالأميري الآمري، وجمعه بين النيابة والكفالة، فيذكر «فأما كتابته في ألقابه الأميري والآمري» فليست بشيء سوى المبالغة في التعظيم، أما جمعه بين النيابة والكفالة فلأنه مسؤول عن كفالة الممالك في مصر وبلاد الشام ومختلف الممالك التابعة لدولة المماليك[٤]. لذلك فإن جميع نواب السلطنة في بلاد الشام تراجع نائب السلطنة في مصر في مختلف الأمور المتعلقة في نياباتهم كما يراجعون السلطان[٥].

لذلك يسمى نائب السلطنة بالسلطان المختصر أو السلطان الثاني في الدولة[٦].

---

(١) التواقيع: خط الخليفة أو السلطان أو الوزير الذي يكتب في حواشي القصص. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص١١٤.

(٢) المناشير: ما يكتب للأمراء والجند بما يجري في رواتبهم من ديوان الإقطاع. العمري، التعريف، ص٨٨.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٤.

(٤) العمري، التعريف، ص٦٥-٦٦. ومسالك الأبصار، ص٥٥. والقلشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٥٠-٦٣.

(٥) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 96.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص١١٣. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ٣٧أ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في دولة المماليك الثانية فلم يطرأ تغير على منصب نائب السلطنة عما كان عليه في دولة المماليك الأولى. فحين تولى السلطان الظاهر برقوق منصب السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م. عين الأمير سودون الشيخوني في منصب نائب السلطنة في مصر[١]. ومن تتبع المصادر التاريخية المعاصرة لفترة حكم السلطان برقوق يتبين اختفاء منصب نيابة السلطنة من مصر بعد استعفاء الأمير سودون الشيخوني من منصبه كنائب للسلطنة في صفر سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م[٢]. ويبدو أن السبب في تراجع السلطان برقوق عن إبقاء منصب نائب السلطنة هو عدم ثقته بالأمراء والمماليك، وسعيهم المستمر في الوصول إلى منصب السلطنة، وإطلاع السلطان على مختلف أمور الدولة. فكان نائب السلطنة يتمتع بصلاحيات إدارية متعددة، فهو يحكم في كل الأمور التي يحكم فيها السلطان، كالجلوس للحكم بين الناس[٣]، ومراجعة السلطان إذا أمر بشيء يخالف المصلحة العامة، وتفقد أحوال الرعية، والنظر في القرى والغلات، وتوصيل الحقوق إلى مستحقيها، وتوليه المناصب، كالوزارة والقضاء وكتابة السر، ونظر الجيش[٤]، وتعيين فقيه في كل قرية لتعليم أهلها الأمور الدينية[٥]، والضرب على يد المفسدين من أصحاب البدع والخرافات وكف شرّهم عن المسلمين[٦]. ومراقبة الدواوين[٧]، وتحديد الأسعار في فترات القحط والغلاء[٨]، وتطبيق الأحكام الشرعية ومعاضدة حكام الشرع،

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٢٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥١.
Popper, Egypt and Syria, Vol. 1, p. 90.

(٣) السبكي، معيد النعم، ص٣٥-٣٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٧٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٣. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٤ب.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٤٥. والقلشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٩٠.

(٦) السبكي، معيد النعم، ص٣٥-٣٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٧٦.

(٧) المصدر ذاته، ص٣٧. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٢.

(٨) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٨٧. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإشراف على البلاد وعمارتها، ومساعدة محصلي أموال الدولة كالجزية والخراج والزكاة، وإقامة العدل، والنظر في إقطاع من مات من الجند وإقطاعه لولده إن كان يصلح لذلك، وتنفيذ ما يصدر إليه من مراسيم السلطان[١]، واستقبال الرسل الوافدة إلى الدولة[٢]، والنظر في أمور البريد[٣].

ولنائب السلطنة صلاحيات عسكرية كاستخدام الجند للقضاء على الفتن[٤]، وتجهيز الجند للقتال[٥]، والخروج على رأس التجاريد[٦] لمحاربة الخارجين عن الطاعة[٧]، وكان له الحق في عقد المعاهدات وإبرامها[٨].

أما منصب نيابة الغيبة، فهي من المناصب الهامة في الدولة. فنائب الغيبة يتولى الحكم في الدولة إذا غاب السلطان ونائب السلطنة عن مصر[٩]. حيث يقوم بمهام السلطان وصلاحياته عند خروج السلطان على رأس الجيش في مهمة خارج مصر، أو للصيد[١٠]. كتأديب الخارجين على الدولة[١١]، وحفظ الأمن، والدفاع عن قلعة

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٩٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٢٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٠٦.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٥.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ص٢١٦. والسيوطي، حسن المحاضرة، ص١٣٠. وابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٢٤.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٥٠. والمقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٤١.

(٦) التجاريد: القوات العسكرية التي ترسل لمحاربة الخارجين عن طاعة الدولة ولا يكون السلطان في مقدمتها.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص١٤٨.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٦١. وانظر كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٣٢.

(٩) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٨-٢٩.

(١٠) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٨.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 90.

(١١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجبل[١]، ومنع المفاسد. فقد منع الأمير كمشبغا سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٠م خروج النساء في مصر في الأعياد إلى الترب والخروج إلى المتنزهات إلى النيل من أجل الفرجة. وهدد من خرجت بالقتل[٢].

وكذلك من صلاحيات نائب الغيبة الحكم بين الناس[٣]، وتعيين الأمراء في الوظائف[٤]، كتعيين والي القاهرة[٥]، والمحافظة على النظافة[٦]، وتحديد أسعار الفلوس[٧].

٢- الأتابكية: إحدى وظائف أرباب السيوف، ويسمى صاحبها بأتابك العساكر، وهو مصطلح تركي مركب من لفظين: (أتا) ويعني الأب. (وبك) ويعني السيد أو الأمير، فيصبح معناها الأمير الأب أو أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدمين في الدولة بعد نائب السلطنة في مصر[٨]. وهو لقب فخري. وأول من لقب به نظام المُلك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوّض إليه السلطان ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م[٩]. ومنصب أتابك العساكر ليس له وظيفة

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٠٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٨٠٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٥١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٤، ص٢٢٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣١٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٠٦.

(٤) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٢٦.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٦٢.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٤٩.

(٧) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٤٩.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٤ب. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٢.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسمية في الدولة ترجع إلى حكم أو أمر أو نهي، وغايته رفعة المحل وعلو المقام[١]. ثم طرأ تغيّر على منصب أتابك العساكر حين تولى الأمير شيخون العمري[٢] هذا المنصب سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، وسمي (بالأمير الكبير)، وصار منصب أتابك العساكر وظيفة رسمية في الدولة يلبس متوليها خلعة من السلطان[٣].

وحين أصبح منصب أتابك العساكر من الوظائف الرسمية في الدولة اتسعت صلاحيات أتابك العساكر وسيطر أغلب أتابكة العساكر على السلطة، واستأثروا بالحكم دون السلطان. ومن الشواهد التاريخية على ذلك؛ سيطرة الأمير شيخون العمري على السلطة دون السلطان الناصر حسن، حيث كان السلطان الناصر حسن لا يتصرف في أمور الدولة دون مشاورة الأمير شيخون العمري[٤].

وبعد مقتل السلطان الناصر حسن، أصبح الأمير يلبغا العمري أتابك العساكر صاحب الكلمة في الدولة، حيث عيّن الأمير محمد بن المنصور حاجي سلطاناً، ولقبه بالملك المنصور وعمره نحو أربع عشرة سنة[٥]، وصار الأمير يلبغا العمري مدبراً لأمور السلطنة[٦]، يولي من يريد ويعزل من يريد، وذلك بسبب انغماس السلطان محمد بن حاجي بالملذات[٧].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٤ب.

(٢) شيخون بن عبد الله الناصري أتابك العساكر، من كبار أمراء الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٦١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٠٢.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٦٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٦٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٨٠.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٦٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٤.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦-٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٩٢-٥٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما تولى السلطان علي بن الأشرف شعبان السلطنة استأثر الأمير برقوق أتابك العساكر بالحكم دون السلطان علي بن شعبان حتى تمكن من الوصول إلى السلطنة[١].

أما في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق فقد حاول بعض أتابكة العساكر الوصول إلى السلطنة كالأمير يلبغا الناصري الذي ثار ضد السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[٢]، وانضم إليه الأمير تمربغا الأفضلي المعروف بمنطاش بعد أن عينه السلطان برقوق أتابك للعساكر خلفاً للأمير يلبغا الناصري مما أدى إلى عزل السلطان الظاهر برقوق من السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[٣].

وفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م طرأ تغيّر آخر على منصب أتابك العساكر في مصر حين أضاف السلطان برقوق نظر البيمارستان المنصوري[٤] إلى أتابك العساكر. واستمر نظر البيمارستان مع كل من يلي الأتابكية في مصر[٥].

٣- رأس نوبة: من وظائف أرباب السيوف، وموضوعها الإشراف على المماليك السلطانية، وفضّ المنازعات بينهم، وكان عدد أمراء رأس نوبة النوبة في دولة المماليك الأولى أربعة أمراء، واحد أمير مائة تقدمة ألف وثلاثة أمراء برتبة طبلخاناة[٦]. أما في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق وجزء من حكم السلطان

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٩٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٢٣.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٥٩.

(٤) بناه السلطان المنصور قلاوون بخط بين القصرين في القاهرة سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٠٦.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٦٠. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨-١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناصر فرج بن برقوق أطلق على رأس نوبة نوب الأمراء لقب أتابك؛ حتى يضاهي منصب أتابك العساكر (الأمير الكبير) رتبة ومكانة . وزاد في إقطاعه حتى صار إقطاعه يساوي إقطاع أتابك العساكر[١]، وذلك للحدّ من سلطة أتابك العساكر في الدولة. أما في فترة حكم السلطان الناصر فرج فقد تزايد عدد رؤساء نوبة النوب إلى سبعة أمراء[٢].

٤ - إمرة سلاح: إحدى وظائف أرباب السيوف. وأصل موضوعها حمل سلاح السلطان عند الخروج إلى القتال والاحتفالات والمناسبات، وهو مقدم على السلاح دارية من المماليك السلطانية، والمسؤول عن السلاح خانا السلطانية التي تحتوي على الأسلحة الخاصة بالسلطان، وما يستعمل منها من أسلحة أو يقدم إليها[٣]. لذلك أعطي أمير السلاح مرتبة ورتبة أعلى في فترة حكم السلطان برقوق، حيث كان قبل فترة السلطان الظاهر برقوق أقل مرتبة من أمير مجلس من حيث الرتبة والمكانة[٤].

٥- إمرة مجلس: ويتولاها أمير برتبة أمير مجلس، فهو يتولى أمور مجلس السلطان، ويشرف على الأطباء والكحالين (أطباء العيون)، وتولاها الأمير قُطْلقتمر[٥].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٧.

(٢) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 91.

(٣) السبكي، معيد النعم، ص٣٤. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣١.

(٤) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 91-92.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٣-٥١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- إمرة آخورية: من وظائف أرباب السيوف، وهي كلمة فارسية تعني المعلف أو المذود، وموضوعها الإشراف على الإسطبلات السلطانية والخيول. ويتولاها أمير مائة تقدمة ألف، ويساعده ثلاثة أمراء برتبة طبلخاناة وعدد غير محدد من أمراء العشرات والجند. ونحو أربعين مملوكاً من المماليك الكتابية[١]، وتكون إقامة أمير آخور بالإسطبلات السلطانية[٢].

٧- الدوادارية: إحدى الوظائف العسكرية في دولة المماليك، ويتولاها موظف يسمى الدوادار. والدوادارية لقب مركب من لفظين الأول عربي وهو (دواة) والثاني فارسي وهو (دار) وتعني الصاحب أو المسك، فيصبح معناها صاحب الدواة أو ممسك الدواة، وموضعها تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة فيمن يحضر لمقابلته، فضلاً عن تقديم البريد، وأخذ توقيع السلطان على عامة المناشير والتواقيع والكتب الصادرة من السلطان[٣]، وتنفيذ أمر من يحكم عليه بالقتل بأمر من السلطان، والتوقيع على الوثائق الرسمية الصادرة عن دواوين الدولة[٤].

وكان يتولى منصب الدوادارية في بداية حكم دولة المماليك الأولى أمير عشرة أو أمير طبلخاناة، وفي بعض الأحيان أمير مائة تقدمة ألف. فلما تولى السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون السلطنة، ولى الدوادارية

---

(١) المماليك الكتابية: وهم مماليك صغار السن يتم إدخالهم إلى الطباق لتعلم القراءة والشريعة الإسلامية والفروسية. أنظر البقلي، التعريف بمصطلحات الصبح، ص٢٢٧.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٥.
Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 92.

(٣) السبكي، معيد النعم، ص٢٥. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣١.

(٤) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحد كبار أمراء المائة تقدمة ألف. وحين تولى السلطان برقوق السلطة اقتدى بالسلطان الأشرف شعبان وعيّن الأمير يونس الدوادار في منصب الدوادارية برتبة أمير مائة تقدمة ألف، وعندما عاد إلى السلطنة ثانية منح الدوادار صلاحيات أوسع كالإشراف على الشؤون المالية، والبريد، والحكم في المنازعات، وتعيين الموظفين وعزلهم[١].

٨- الحجوبية: وهي من وظائف أرباب السيوف، وموضوعها الحكم بين الأمراء والجند، تارة بنفسه، وتارة أخرى بمراجعة نائب السلطنة في مصر إن وجد، وعرض الجند، وتقديم من يرد إلى السلطان والاستئذان إليهم. وقد بلغ عدد الحجاب في فترة حكم السلطان برقوق خمسة حجاب بعد أن كانت أربعة حجاب[٢]. وأصبحت وظيفة الحجوبية سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م أرفع مكانة ورتبة من إمرة سلاح[٣]، وتقدم إمرة سلاح على إمرة مجلس كما تقدّم في إمرة مجلس.

٩- امير جاندار: من وظائف أرباب السيوف، وموضوعها الاستئذان على دخول الأمراء للخدمة عند السلطان، والدخول أمامهم إلى الديوان، وتقديم البريد مع الدوادار وكاتب السر، كما يتولى تغرير أو قتل من يأمر السلطان بتغريره أو قتله، والإشراف على الزردخاناه المخصصة للإعتقالات التي لا تطول مدة المعتقل فيها، إما بتعجيل قتله أو إخلاء سبيله، فضلاً عن مرافقة السلطان في السفر. وقد جرت العادة أن يتولى وظيفة أمير جاندار أميران: أحدهما أمير مائة تقدمة ألف، والآخر أمير طبلخاناة[٤].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٠٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ص٥٦. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٩١. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٠. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٧.

(٤) العمري، مسالك الأبصار، ص٥٧. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣١. وعبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص٤٨-٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- **الأستادارية**: إحدى وظائف أرباب السيوف، وموضوعها الإشراف على البيوت السلطانية من المطابخ والشراب خاناة والحاشية والغلمان، والمشي في طلب السلطان، والحكم في غلمان السلطان وباب داره، وهو المسؤول عن الجاشنكيرية، والتصرف التام في استدعاء ما يحتاج إليه كل من في بيت السلطان من النفقات والكسوة، وكذلك المماليك السلطانية[١].

وفي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م طرأ تطور على وظيفة الأستادارية أو ديوان المفرد، ويتولى الإشراف عليه موظف يسمى (الاستادار)، وناظر يسمى ناظر الاستدارية أو ناظر ديوان المفرد[٢]. ويتولى الإشراف على الشؤون المالية الخاصة بالسلطات، وعليق ورواتب مماليكه. ويطلق عليه اسم استادار العالية[٤].

١١- **الجاشنكيرية**: وهي من وظائف أرباب السيوف، وموضوعها الإشراف على طعام السلطان وتذوقه مع الاستادار، ويقف الجاشنكير على مائدة السلطان مع الاستادار، ويكون كبيرهم من الأمراء المقدمين في الدولة[٥].

١٢- **الخازندارية**: وموضوعها الإشراف على خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك، ويتولاها موظف يسمى خازندار برتبة أمير طبلخاناة، أو أمير مائة تقدمة ألف[٦].

---

(١) السبكي، معيد النعم، ص٢٦. والعمري، مسالك الأبصار، ص٥٨. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣١.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٥.

(٤) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 93.
والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٨.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك مجموعة وظائف أخرى من أرباب السيوف مثل: شدّ الشراب خاناه التي تُعنى بالشراب خاناه السلطانية وما يعمل إليها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك، ويديرها موظف يسمى شاد الشراب خاناة برتبة أمير مائة تقدمة ألف أو أمير طبلخاناة واستادارية الصحبة التي تشرف على المطبخ السلطاني، والإشراف على الطعام، والمشي أمام السلطان، والوقوف معه على مائدة الطعام. ويتولى هذه المهمة أمير عشرة. وتقدمة المماليك للأشراف على المماليك السلطانية، ولا يكون متوليها إلا من الخدام، بإمرة طبلخاناة، وله نائب أمير عشرة. ومن الوظائف أيضاً زمام الدور السلطانية، وموضوعها التحدث بحفظ حريم السلطان وأولاده وجواريه، ويشرف عليها موظف يسمى (الزمام) برتبة أمير طبلخاناة، وهو أكبر الخدام الخصيان. وثمة نقابة الجيوش وتكون للإشراف على عرض الجند. فإذا طلب السلطان أو نائب السلطنة أو الحاجب أميراً أو غيره أحضره. وهو كأحد الحجاب الصغار[1]. ذكر المقريزي أن نقابة الجيوش أصبحت من الوظائف التي انحط قدرها ورتبتها في دولة المماليك، وصار نقيب الجيش عبارة عن موظف كبير لترويع الناس، وإخافتهم وأخذ أموالهم بالباطل[2]. ومن الوظائف أيضاً المهندارية ومهمة من يتولاها هو استقبال الرسل القادمين إلى الدولة من أمراء العربان وغيرهم ممن يريد القدوم إلى الدولة. ومنها شد الدواوين، ويكون صاحبها رفيقاً للوزير، ومتحدثاً في تحصيل الأموال وغير ذلك، ويتولى هذه الوظيفة إمرة عشرة. وإمرة طبر، ويتولاها موظف يسمى أمير طبر يحمل الطبر (الفأس) للسلطان في المواكب، ويكون مسؤولاً عن من دونه من الطبردارية. وإمرة علم، وموضوعها الإشراف على الطبلخاناة السلطانية، ومتصرفاً فيها، ويتولاها موظف يسمى أمير علم برتبة عشرة. وإمرة شكار، ويكون صاحبها متحدثاً في الطيور السلطانية من الجوارح وغيرها والصيود السلطانية وأحواش الطيور

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيرها؛ وهي إمرة عشرة. وكذلك حراسة الطير ويتولى صاحبها حماية الأماكن التي تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها؛ وهي إمرة عشرة. وشدّ العمائر للإشراف على العمائر السلطانية من القصور والمنازل والأسوار؛ وهي إمرة عشرة[1].

يتضح من خلال دراسة تطور المناصب الإدارية التي تولى إدارتها أرباب السيوف وجود عدة تطورات وتغيرات هامة على عدد من هذه الوظائف: كنايبة السلطنة حيث استناب السلطان برقوق حين تولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م الأمير سودون الشيخوني وظل نائباً للسلطنة في مصر حتى طلب من السلطان برقوق أن يعفيه من منصبه سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٤م بسبب تقدمه في السن، وعدم القدرة على تحمل أعباء المنصب. ومن حينها لم يعين السلطان برقوق أي نائب للسلطنة، ولعلّ السبب في ذلك عائد إلى عدم ثقة السلطان برقوق في كبار الأمراء بسبب سعيهم المتواصل في الوصول إلى منصب السلطنة، فضلاً عن اطلاعه على مختلف أمور الدولة.

كما طرأ تغير واضح على منصب أتابك العساكر بعد سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م. إذ كان يعدّ منصب أتابك العساكر قبل ذلك منصباً فخرياً ليس له وظيفة رسمية في الدولة. وحين أصبح هذا المنصب من المناصب الرسمية في الدولة وصار متوليه يلبس الخلعة من السلطان حين يلي الوظيفة اتسعت صلاحياته، وسيطر أغلب أتابكة العساكر على الحكم دون السلطان لصغر السن. ومن الشواهد التاريخية على ذلك سيطرة الأمير شيخون العمري على السلطنة دون الناصر حسن. وسيطرة السلطان برقوق على السلطنة حين كان أتابك للعساكر أثناء فترة حكم السلطان علي بن شعبان. وقد استمرت محاولات أتابكة العساكر التجرؤ على

(١) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٥، ١١٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢-٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلطنة حين تولى السلطان برقوق الحكم سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م. فقد نجح الأمير يلبغا الناصري ومنطاش في عزل السلطان برقوق من السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. وقد دفع هذا الأمر السلطان برقوق إلى رفع رتبة أمير مجلس من إمرة طبلخاناة إلى إمرة مائة وتقدمة ألف وزيادة إقطاعه حتى أصبح يساوي إقطاع أتابك العساكر للحدّ من سلطة أتابك العساكر والقضاء على تمردهم.

كما طرأ تغير على وظيفة أمير سلاح، لأهمية هذه الوظيفة وخطورتها فأمير السلاح مسؤول عن حمل سلاح السلطان عند الخروج إلى القتال أو الاحتفالات الرسمية، وذلك من أجل حماية السلطان عند خروجه من القلعة. فعمل السلطان برقوق على تقديم أمير السلاح على أمير مجلس من حيث الرتبة والمكانة. كما منح السلطان برقوق بعد عودته ثانية إلى السلطنة صلاحيات أوسع للدوادار لتشمل الشؤون المالية، والبريد، والحكم في المنازعات، وتعيين الموظفين وعزلهم.

ومن التغيرات التي طرأت على الوظائف العسكرية زيادة عدد الحجاب في الدولة من أربعة حجاب إلى خمسة أو ستة حجاب، وتقديم حاجب الحجاب من حيث الرتبة والمكانة على إمرة سلاح لأهمية حاجب الحجاب في حجب الأمراء والمماليك عن السلطان ولا سيما بعد ازدياد محاولات الأمراء في القضاء على السلطان برقوق. كما منح السلطان برقوق الاستادار صلاحيات أوسع بعد استحداث ديوان المفرد الذي يتولى الإشراف على الشؤون المالية الخاصة بالسلطان، وعليق ورواتب مماليكه. بعد أن كانت صلاحياته محددة بالإشراف على المطابخ السلطانية والشراب خاناة والغلمان وغيرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الوظائف الديوانية (أرباب الأقلام).

١- **الوزارة:** تعدّ الوزارة من الوظائف الديوانية الهامة في الدولة وأرفعها رتبة. إذ يعدّ الوزير «سلطاناً ثانياً إذا أنصف وعرف حقه»، لكن التغيرات التي أحدثت على منصب الوزارة في فترة حكم دولة المماليك الأولى بعد استحداث نيابة السلطنة في مصر جعل نائب السلطنة يحل محل الوزير، ويأتي بعد السلطان مباشرة في الرتبة، ويتمتع بكل ما يتمتع به الوزير من قبل[١] ففي فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ضعف نفوذ الوزراء بسبب تقليص السلطان الناصر محمد بن قلاوون صلاحيات الوزراء، واقتصارها على تنفيذ أوامر السلطان ونائب السلطنة، والنظر في الشؤون المالية للدولة بالاشتراك مع ناظر الدولة[٢]. وقد أشار ابن خلدون إلى تراجع منصب الوزير في دولة المماليك بقوله:« ثم جاءت دولة الأتراك آخراً بمصر، فرأوا الوزارة قد ابتذلت بترفع الأمراء المماليك عنها، ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور، ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت مرؤوسة ناقصة، فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية من الأمراء المماليك من اسم الوزارة»؛ لأن نائب السلطنة أصبح يقوم بمهام الوزير وصار صاحب الحكم والنظر في الجند في الدولة. في حين أصبح منصب الوزير أدنى من نائب السلطنة رتبة ومكانة، لاختصاص الوزير في دولة المماليك بالنظر في جباية الأموال[٣].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٣.
Carl Petry, Diwan officials in Cairo, vol. 21, part. 2, p. 171.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ص٥٤.
Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 96.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦٤. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ألغي منصب الوزارة أثناء فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، ووزعت مهام الوزير وصلاحياته بين ناظر المال وشاد الدواودين لتحصيل الأموال، وصرف النفقات، وناظر الخاص بتدبير الأمور العامة في الدولة عوضاً عن الوزير وتعيين المباشرين، وكاتب السر للتوقيع على ما كان يوقع عليه الوزير مشاورة واستقلالاً[١]. وحين أُعيدت الوزارة مرة أخرى في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م بقيت صلاحيات الوزير موزعة بين ناظر المال وشاد الدواوين وناظر الخاص وكاتب السر[٢].

وحين تولى السلطان برقوق السلطنة أعاد منصب الوزارة في الدولة، ولكن قلل من صلاحيات الوزير بحيث لا تتعدى الإشراف على الشؤون المالية[٣]، وتحصيل الضرائب من جهاتها المختلفة وصرفها في شراء اللحم ومستلزمات القصر السلطاني[٤]. وقد بلغ ضعف منصب الوزارة إلى درجة أن أحد وزراء السلطان برقوق -وهو سعد الدين نصر الله بن البقري-[٥] وصف الوزارة بأنها «عبارة عن وظيفة يهتم صاحبها (الوزير) بشراء ما يحتاج إليه القصر من اللحم والحطب وحوائج الطعام»[٦]. ويبدو أن السبب في تقليل صلاحيات الوزير عما كانت عليه في السابق هو استحداث السلطان برقوق ديوان المفرد، ونقل أغلب صلاحيات الوزير إلى الاستادار- أحد أرباب السيوف- الذي يتولى إدارة شؤون هذا

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٤١. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ص٢٠٦.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق١، ص٢٥٢، ٢٥٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٣.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 95.

(٥) سعد الدين نصر الله بن البقري (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) تحت العقوبة في سلطنة الناصر فرج بن برقوق. المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٢٤. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٥، ص٣١١. والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٦٥.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٣. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الديوان[١]. وربما كان يهدف السلطان برقوق من إضعاف الوزارة أو إلغائها هو إضعاف دور الفقهاء والعلماء والكتاب وأهل البلاد في مصر -في المشاركة في إدارة شؤون الدولة وتدبير أمورها. إذ أن منصب الوزارة كان في الأصل منصباً مدنياً؛ أي من حق أرباب الأقلام. وكان الوزير في أغلب الأحيان من المصريّين أو ممن أقاموا في مصر مدة طويلة. وبذلك فإن إضعاف الوزارة أو إلغاءها هو إضعاف لدور الفقهاء والعلماء والكتاب وأهل البلاد. ومنصب الوزارة الذي كان يتولاه أحد أرباب الأقلام، هو الذي كان يتعامل مع أهل البلاد على اختلاف فئاتهم بشكل مباشر[٢]. والدليل على ذلك قول المقريزي:« ولقد صدق فيما قال فإن الأمر على هذا وما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبتها يرتفع قدر متوليها إلا إذا إضيفت إلى الأستادارية كما وقع للأمير جمال الدين الأستادار والأمير فخر الدين عبد الغني ابن أبي الفرج. وأما من ولي الوزارة بمفردها ولا سيما من أرباب الأقلام فإنما هو كاتب كبير يتردد ليلاً ونهاراً إلى باب الأستادار ويتصرّف بأمره ونهيه »[٣].

أما في بلاد الشام فكان يتولى مهام الوزير موظف يسمى ناظر المملكة الشامية، أو (ناظر النظّار)، وتقتصر صلاحياته على الإشراف على إدارة الدواوين المختلفة في بلاد الشام، ولا يطلق عليه لقب وزير إلا إذا تولى منصب الوزارة، ويعين من قبل السلطان في مصر بتقليد شريف، وإن كان ناظر مملكة كُتبَ له

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨-٢٩. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣٧.

(٢) كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٣٦.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرسوم شريف[١]. وعلى حد قول القلقشندي فإن الوزارة في بلاد الشام لا يتولاها أرباب السيوف، فإن تولاها أحد أرباب السيوف احتاج معه إلى ناظر مملكة كما يكون ناظر الدولة مع الوزير في مصر من أرباب السيوف[٢].

ويتبع للوزارة في دولة المماليك عدة دواوين مثل نظر الدولة، واستيفاء الصحبة، واستيفاء الدولة.

أما ناظر الدولة فإنه يعرف في مصطلح الدواوين في دولة المماليك بالصحبة الشريفة، فناظر الدولة يساعد الوزير في مختلف صلاحياته، كالإشراف على الشؤون المالية وما يتعلق بها في الدولة. أما إذا كان الوزير من أرباب السيوف (العسكريين)، فإن وظيفة الوزير تقتصر على النظر والإشراف على الشؤون المالية فقط[٣].

أما استيفاء الصحبة، فهي من الوظائف الإدارية الجليلة رفيعة القدر، يتولاها موظف يسمى «مستوفي الصحبة» يشرف على إدارة جميع أمور الدولة في مصر وبلاد الشام، ويكتب المراسيم التي يوقع عليها السلطان، كما هو متبع في البلاد، كمنح قطعة أرض لأمير من الأمراء أو غيره معفاة من الضرائب[٤]، وتعيين بعض كبار الأمراء في منطقة صغيرة من مناطق الدولة[٥]. أو ما يجري مجراه. ويعتبر ديوان استيفاء الصحبة من أهم الدواوين في الدولة، لأن جميع

---

(١) الفرق بين التقليد الشريف والمرسوم الشريف بأنه يكتب للوزير في كتاب التولية إذا كان تقليداً «يفوّض بالوزارة». في حين يكتب في كتاب التولية إذا كان مرسوماً شريفاً «يستقر بالوزارة» وبذلك يمنح الوزير بموجب التقليد الشريف صلاحيات أوسع. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص١٠٧.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٥. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١١٤٧أ. ومحمد دهمان، ولاة دمشق، ص٢٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٩.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٩.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٩. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١١٣٥أ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجراه. ويعتبر ديوان استيفاء الصحبة من أهم الدواوين في الدولة، لأن جميع الدواوين التي تشرف على الشؤون المالية في الدولة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بديوان استيفاء الصحبة[١].

ويعد ديوان استيفاء الدولة من الدواوين الرئيسة في الإدارة ومراقبة مختلف المؤسسات الإدارية الأخرى، حيث يتولى «مستوفي الدولة» مراقبة الشؤون المالية في الدولة ومعرفة أصولها، والجهات التي تنفق عليها. وهو أشبه بديوان المحاسبة والرقابة والتفتيش في الوقت الحاضر. ويساعد مستوفي الدولة في إداء مهتمه موظفان أو أكثر[٢].

٢- **ديوان الإنشاء**: ويختص بالمراسلات والمكاتبات العامة التي ترد إلى السلطان وتصدر عنه[٣]. ويتولى إدارته موظف يسمى «ناظر الإنشاء» أو «كاتب السر» أو «كاتم السر» أو «ناظر ديوان الإنشاء»[٤]. حيث يقوم ناظر ديوان الإنشاء بقراءة الكتب الواردة على السلطان والإجابة عنها وأخذ توقيعه عليها، ويقوم كذلك بتفسير الكتب الصادرة والواردة من وإلى السلطان. ويتولى ناظر ديوان الإنشاء التوقيع على الكتب الواردة إلى الدولة كما كان يوقع عليها الوزير بعد مراجعة السلطان فيما يحتاج إلى مراجعة فيه. كما يتولى تقديم البريد إلى السلطان وإرسال البريدية (حاملي البريد) إلى الأماكن المختلفة في الدولة والرسل، ومشاركة الدوادار في أغلب الأمور السلطانية[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٩.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٩. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٣. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٦أ.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠.
Carl Petry, Diwan ofiicial in Cairo, vol. 21, part. 2, p. 171.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف المالك، ص٩٨.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٣٠. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ٨٤أ، ١٠٩ب. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويساعد ناظر ديوان الإنشاء في إدارة ديوان الإنشاء عدد من الموظفين مثل كُتّاب الدست، الذين يجلسون مع كاتب السر بدار العدل في الموكب كلاً حسب منزلته في الأقدمية والرتبة، يقرأون القصص على السلطان بعد قراءتها من قبل كاتب السر حسب ترتيب جلوسهم، ويوقعون عليها، كما يوقع عليها كاتب السر[١]. وقد أشار القلقشندي إلى التطورات التي طرأت على أعداد كُتّاب الدست في ديوان الإنشاء في دولة المماليك الأولى والثانية. فقد بلغ عددهم في بداية حكم السلطان بيبرس وما بعده نحو ثلاثة كتّاب. في حين ازداد العدد فيما بعد حتى وصل في أواخر حكم السلطان الأشرف شعبان حوالي عشرة كتاب أو أكثر، ثم أخذت الأعداد بالتزايد شيئاً فشيئاً حتى بلغت في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق وحكم ابنه السلطان فرج نحو عشرين كاتباً «وهم آخذون بالتزايد»[٢].

والفئة الأخرى من كتّاب ديوان الإنشاء هم كُتّاب الدرج، الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كُتّاب الدست أو نائب السلطنة أو الوزير، أو رسالة الدوادار وغير ذلك من المكاتبات والتواقيع والمناشير[٣]. وسُمُّوا كتاب الدرج لإنهم كانوا يكتبون المكاتبات في دروج من الورق مستطيلة الشكل مركبة من عدة أوصال، تقدر بعشرين وصلاً متلاصقاً[٤].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٧٢. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٠. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٨٤أ.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص١٧٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٠٩ب.

(٤) المصدر ذاته، ج١، ص١٧٢-١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أعداد كُتّاب الدرج في ديوان الإنشاء فقد ارتبط بعدد كتاب الدست، فكلما ازداد عدد كُتّاب الدست في الديوان زاد عدد كتّاب الدرج. فقد بلغوا في فترة حكم السلطان برقوق أكثر من مئة وثلاثين كاتباً وهو عدد كتّاب الدست في الفترة نفسها. ثم طرأ تراجع على وظيفة كتّاب الدرج «حتى لم يرضها إلا من لم يكن أهلاً لذلك»[١]. والسبب في ذلك أن كتّاب الدست صاروا يتولون الأمور الهامة التي كان كتاب الدرج يتولونها مثل البريد الخاص بالسلطان من مكاتبات وتقاليد وتواقيع وغيرها. وصارت صلاحيات كتّاب الدرج تقتصر في الأغلب على كتابة المكاتبات الخاصة في خلاص الحقوق، وما شابه ذلك[٢]. أما كتابة التذاكر والدفاتر[٣]، فقد كانت تكتب المكاتبات الصادرة والواردة من السلطان وإليه في دفاتر خاصة في ديوان الإنشاء حتى نهاية تولي القاضي بدر الدين محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري كتابه السر[٤] في فترة حكم السلطان برقوق، حيث ألغي ذلك، وصار يقتصر على ما يرد من المكاتبات وما يكتب من الملخصات وكتابة الموقع الذي يكتب الجواب. وأصبح يتولى دوادار كاتب السر حفظ المكاتبات وإيداعها في أضابير خاصة؛ وصار كاتب السر المسؤول عن الحجاب في ديوان الإنشاء. وصار لديوان الإنشاء عدد من الموظفين يساعدون كاتب السر في أخذ القصص، وعرضها على كاتب السر ومن دونه من كتاب الديوان ليكتب كل منهم ما يلزمه من متعلقاتها. أطلق عليهم اسم المدار (جمع مدير)[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٧٣.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص١٧٣.

(٣) التذاكر والدفاتر: جمع تذكرة وهي تتضمن جمل الأموال التي يسافر فيها الرسول ليعود إليها أن أغفل شيئاً منها أو نسيه، وتكون حجة له فيما يورده ويُصدره. أما الدفاتر فيذكر القلقشندي أن التذكرة تكتب في قطع الشامي، تكسر فيها الفرجة الكاملة نصفين، وتجعل دفتراً ورقة إلى جنب أخرى. راجع القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص٨٤، ٨٥.

(٤) وهو كاتب السر الشريف في فترة حكم السلطان برقوق (ت ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) بدمشق. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢١. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص١٣٢-٢١٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن ديوان الإنشاء طرأ عليه تراجع واضح في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق حين عزل عن السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م وعاد إلى السلطة مرة أخرى حيث ألغيت قاعة الصاحب التي كان يجلس فيها الوزير وكتّاب الدولة[١]، وأخذت الأوراق الرسمية التي كانت بديوان الإنشاء وبيعت بالقنطار[٢].

واختلف ديوان الإنشاء في بلاد الشام عنه في مصر من حيث الحجم والتسمية. فقد كان يسمى كاتب السر في بلاد الشام (بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروسة)، وهي وظيفة تماثل وظيفة كاتب السر في مصر من حيث الرفعة والقدرة، وموضوعها على نحو ما في مصر. ويتولى كاتب السر في بلاد الشام بتوقيع شريف من قبل السلطان في مصر، وكان السلطان يختار بعض خواصه لمنصب كاتب السر في بلاد الشام ممن يثق بهم حتى يتمكن من معرفة جميع التطورات التي تحدث في بلاد الشام وخشية من إخفاء نائب السلطنة في بلاد الشام أمراً مهماً على السلطان. كما يوجد في ديوان الإنشاء في بلاد الشام كُتّاب دست وكتاب درج كما في ديوان الإنشاء في مصر. يعينهم نائب السلطنة في الشام[٣].

ويرتبط بديوان الإنشاء وبكاتب السر مباشرة مرفق هام في الدولة. وهو البريد. الذي يُعد من أهم وسائل الاتصال بين دولة المماليك ومختلف نيباباتها. وتعني كلمة بريد في اللغة مسافة معلومة تقدر باثني عشر ميلاً[٤]. واستمر وجود البريد في فترات متقطعة. ففي فترة حكم الدولة البويهية قطع بنو بويه البريد حين سيطروا على الخلافة ليخفى على الخليفة ما يكون من أخبارهم وحركاتهم. وفي الفترة السلجوقية اقتصر

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٢٤.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٥-١٩٦. والسبكي، معيد النعم، ص٣٠.
Carl Petry, Diawan officials, vol. 21, part. 2, p. 175.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٤١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البريد على استخدام الخيل والبغال. في حين أقيمت النجابة[١] في الدولة الزنكية، وأعدت لها النجب المنتخبة. واستمر البريد كوسيلة اتصال حتى بداية دولة المماليك الأولى، وتولى السلطان الظاهر بيبرس السلطنة[٢]. حيث نظم البريد تنظيماً دقيقاً وأولاه عنايته الخاصة، وصار الخبر ينقل من القاهرة إلى دمشق في أربعة أيام ويعود بمثلها[٣].

واستمر البريد كوسيلة اتصال في مصر وبلاد الشام في فترة حكم السلطان برقوق وابنه الناصر فرج. فأقامت دولة المماليك مراكز خاصة للبريد، لاستبدال البريدي خيل البريد في هذه المراكز، وهي مراكز متفاوتة في المسافة، إما لبعد أماكن المياه، أو لتكون قريبة من إحدى القرى. فقد أنشأ السلطان برقوق سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م عدداً من مراكز البريد وعمل على تزويدها بالخيول، وألزم الأمراء المقدمين بتقديم عشرة اكديش، وكلاً من الوزير والأستادار وأرباب الوظائف المختلفة في الدولة وأمراء الطبلخاناة اكديش، وأمراء العشرينات والعشرات اكديش واحد[٤].

وارتبطت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق في مصر وبلاد الشام بأربعة مراكز رئيسية للبريد تتفرع لمختلف المناطق في الدولة، انطلاقاً من قلعة الجبل في القاهرة وهي: قوص في الوجه القبلي وما يتصل بذلك من إسوان وما يليها من بلاد النوبة، وعيذاب وما يليها من سواكن. والإسكندرية، ودمياط في الوجه البحري، وما يتفرع عنها من جهة غزة في بلاد الشام[٥].

---

(١) وهي الإبل والخيول الخفيفة والسريعة، ابن منظور، معجم لسان العرب (مادة نجب)، ج٣، ص٥٨٠.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٤١٥. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٠٢ب.

(٣) الطراونة، مملكة صفد، ص٢٤٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٣٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٤١٨-٤١٩. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى امتداد خطوط طرق البريد أقامت دولة المماليك مراكز على مسافات لا تزيد إحداها عن ثمانية وعشرين ميلاً (١٥٣ كم)؛ لتزويد الموظفين والخيول بالماء والعلف، كما أقامت مساكن خاصة لإقامة موظفي البريد. وفي كل مركز من مراكز البريد عدد معين من الخيول، يشرف عليها موظف كالبريدي الذي ينقل البريد، والسّواق، وسُوّاس للعناية بالخيل[١]. ولم تسمح الدولة بركوب خيل البريد إلا بمرسوم سلطاني[٢]. لأهمية البريد في نقل رسائل السلطان الخاصة المتعلقة بأمور الدولة. وخشية استخدام البريد من قبل بعض الأمراء في نقل أخبار تهدف إلى إحداث الفتن والاضطرابات في الدولة.

كما استخدمت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق مكاريه الدواب الذين يعتاشون من مهنة تأجير الحمير الكبيرة والسعاة في نقل البريد في الحالات التي تقضي إيصال البريد لبعض المناطق التي تنقطع فيها خيل البريد من المراكز السلطانية أو لوجود العدو، كبديل للحمام الزاجل الذي كان مستخدماً في دولة المماليك الأولى في الحالات التي كانت تحتاج إلى إيصال البريد بأسرع وقت. فقد كان كاتب السر يندب بأمر السلطان من يعرف من السعاة أو مكارية الدواب بسرعة المشي وسرعة العدو لإيصال الرسائل الهامة إلى بلاد الشام والعودة بالجواب[٣]. إذ أن السعاة كانت تقطع حوالي اثني عشر ميلاً (٩٦كم) في اليوم سيراً على الأقدام[٤]. إشارة إلى اهتمام السلطان بمعرفة التطورات الهامة في مختلف نيابات الدولة.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٤٢٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٨٧.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١١. وراجع السبكي، معيد النعم، ص٣٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٦٣.

(٤) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتولى الدوادار في ديوان الإنشاء إخراج رسائل السلطان في الأمور السلطانية على يد بريدي مختص إلى كاتب السر في الديوان، وكان كاتب الدست يقوم بوضع الرسالة في ديوان الإنشاء، وحين يوجه البريد إلى بلاد الشام تكتب ورقة تتضمن «يرسم برسالة المخدوم الفلاني أمير دوادار الظاهري أن يكتب ورقة طريق شريف- وهي بمثابة إذن رسمي لاستخدام خيل البريد- باسم فلان الفلاني المرسوم له بالتوجه إلى الجهة الفلانية». ثم يحمل على فرس أو فرسين أو أكثر من خيل البريد حسب ما تقتضيه الحاجة، ويكتب تاريخ الورقة. أما إذا كان البريد موجهاً إلى الوجهين القبلي أو البحري كتب:« أن يكتب ورقة فرس بريد باسم فلان الفلاني». وتؤرخ الورقة ويجهزها البريدي إلى صاحب ديوان الإنشاء لتحفظ الورقة في الديوان عند الدوادار في أضابير خاصة، ثم يكتب له ورقة صغيرة بالسماح له في استخدام خيل البريد ما مثاله «أمير آخور البريد المنصور، يحمل فلان الفلاني على فرس واحد أو أكثر من خيل البريد عند التوجه إلى الجهة الفلانية» ثم يؤرخ الورقة، ويرسل البريدي ليسلمها إلى أمير آخور البريد ليتم حفظها في الديوان، ويكتب أمير آخور البريد اسم البريدي الذي حمل الورقة في آخر الكتاب، ويقوم بعد ذلك بختم الكتاب[١]. خشية التزوير.

وكان للبريد ألواح خاصة من الفضة يستخدمها البريدي عند خروجه إلى جهة معينة حتى يتمكن من استخدام خيل البريد من مراكز البريد التي يمر بها. وهي عبارة عن ألواح منقوش على أحد وجهي اللوح «لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون». ومكتوب عليها ضربت بالقاهرة المحروسة. وعلى الوجه الآخر من اللوح «عز مولانا السلطان الظاهر برقوق -مثلاً- فلان الدين والدنيا». ويكون في الألواح ثقب معلق بها شُرابة من حرير أصفر ذات بندين، يجعلها البريدي في عنقه، ويجعل اللوح تحت ثيابه والشرابة خلف ظهره تمييزاً له بأنه بريدي[٢].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٥٠. والسبكي، معيد النعم، ص٣٢.

(٢) المصدر ذاته، ج١٤، ص٤١٦-٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يختلف البريد في بلاد الشام عن البريد في مصر باستثناء كتابة مكان ضرب اللوح، فإن كان في دمشق كتب عليه (ضرب بالشام) وفي حلب يكتب عليه (ضرب بحلب المحروسة)[١].

وبقي البريد في دولة المماليك في مصر وبلاد الشام في فترة حكم السلطان برقوق دون إجراء تغيرات أو تطورات حتى دخل تيمورلنك دمشق في فترة حكم السلطان الناصر فرج وأحرقها سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م مما كان سبباً في توقف البريد بين مصر وبلاد الشام واختفاء معالمه من سائر بلاد الشام. ثم أهمل بعد ذلك في مصر لعدم اهتمام الدولة بإعادة الإدارة بسبب كثرة الفتن والحروب والاضطرابات الداخلية، «فذهبت معالم البريد بين مصر وبلاد الشام وعفت آثاره»[٢]. وصار إذا عرض أمر من الأمور السلطانية في بعض نيابات مصر وبلاد الشام، ركب البريدي على فرس له، يسير بها ببطء شديد سير المسافر إلى المكان الذي يريده، ثم يعود بنفس الصورة[٣]. فكان ذلك سبباً رئيسياً في تأخير نقل البريد بين نيابات مصر وبلاد الشام.

٣- **ناظر الخاص:** من الوظائف الديوانية في الدولة، استحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون حين ألغى منصب الوزارة، وأصل موضوعها الإشراف على الأموال الخاصة بالسلطان وتعيين المباشرين في الديوان. ولناظر الخاص مساعدون من كُتّاب ديوان الخاص، كمستوفي الخاص الذي يقوم بتحصيل الأموال من مباشري البلاد، وناظر خزانة الخاص، الذي يضبط ما بالخزانة من الطرز

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٤١٧.

(٢) المصدر ذاته، ج١٤، ص٤١٥-٤١٦. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٠٢ب.

(٣) المصدر ذاته، ج١٤، ص٤١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسيوف والأقمشة ونحو ذلك[١]. واستمرت وظيفة ناظر الخاص في فترة حكم السلطان برقوق كوظيفة مستقلة[٢]، ثم أضيفت إليها وظيفة أخرى وهي نظر الجيش، ونظر الذخيرة، واستيفاء الصحبة. فقد عين السلطان برقوق موفق الدين أبا فرج الأسلمي سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م في نظر الجيش مضافاً إلى نظر الخاص، ونظر الذخيرة واستيفاء الصحبة[٣]. ثم فصلت وظيفة نظر الخاص عن بقية الوظائف في سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٠م[٤]. وأصبحت وظيفة مستقلة. وقلص السلطان برقوق صلاحيات ناظر الخاص بعد أن استحدث ديوان المفرد سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م ونقل بعض صلاحياتها إلى الأستادارية[٥].

٤- نظر الجيش: من الوظائف الهامة في دولة المماليك يتولاها موظف يسمى ناظر الجيش، يتولى الإشراف على إصدار الوثائق الخاصة بمنح الإقطاعات في مصر وبلاد الشام، وتدقيق الأوراق الخاصة بالإقطاعات ومقادير الإقطاع، وفحص هذه الأوراق بالديوان، وكتابة الوثائق المختلفة بمساعدة كُتّاب الجيش بأمر من السلطان. ولناظر الجيش مساعدون يعينهم السلطان، كصاحب ديوان الجيش، وكُتّابه وشهوده، وصاحب ديوان المماليك وشهود المماليك[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠. وابن كنان، حدائق الياسمين، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٦، ٩١٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨.

(٥) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 95.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩١٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١. وإبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- **نظر الدواوين والصحبة الشريفة:** وهي من الوظائف الديوانية، ويسمى متوليها بناظر الدولة[١]، ومهمته التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير من تحصيل الأموال، وصرف النفقات النقدية والعينية[٢].

وهناك مجموعة وظائف ديوانية يذكرها القلقشندي في كتاب صبح الأعشى على أنها وظائف مستقلة، ويبدو أنها وظائف إدارية تتصل اتصالاً مباشراً بالقصر السلطاني مثل: نظر الخزانة، وكانت في السابق تحتوي على أموال السلطان من جواهر، وحرير، وذهب، والقماش المزركش، فلما استحدثت وظيفة ناظر الخاص تراجعت أهمية الخزانة[٣]، لاقتصار احتوائها على الخلع والتشاريف[٤] التي ينعم بها السلطان على الأمراء في المناسبات المختلفة كتولية السلطان السلطنة[٥]، وتقلد بعض الأمراء الوظائف، وعيد الفطر، وعند خروج السلطان للميادين للعب الكرة، ودوران محمل الحج في شهر شوال من كل عام[٦]. ويتولى إدارة نظر الخزانة أحد القضاة ويسمى ناظر الخزانة الكبرى، ويساعده موظف يسمى صاحب ديوان الخزانة[٧]. ونظر البيوت والحاشية للإشراف على المطابخ السلطانية والشراب خاناه، والسعي في طلب السلطان، والحكم في غلمان السلطان، كما يتولى أمر الجاشنكيرية، وإن كان كبيرهم نظيره في الإمرة من أمراء المئين، ويتصرف بشكل

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٤.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٢٤. وانظر الوزارة.
Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 97.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ص٦١.
Popper, Egypt and Styria, vol. 1, p. 97.

(٤) التشاريف خلع مكونة من ملابس ثمينة ينعم بها السلطان على كبار الأمراء. ماير، الملابس المملوكية، ص١٠١-١٠٢.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٨-٤٩.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٢-٥٤. وماير، الملابس المملوكية، ص١٠٩-١١٠.

(٧) المصدر ذاته، ج٤، ص٣١. ابن كنان، حدائق الياسمين، ص١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مطلق في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من نفقات وكسوة[١]. أما ناظر البيوت والحاشية فإنه يشارك الأستادار في مختلف صلاحياته[٢]. ونظر بيت المال ويشرف على ما يرد من الأموال إلى الدولة كالبضائع الواردة عن طريق البر والبحر من قطيا إلى القاهرة. والمتحصل من المواريث الحشرية، وصرفه على عليق الخاص ورسل السلطنة والعمائر، ودفع مرتبات المماليك السلطانية من اللحم، وكذلك الصدقات المترتبة على بيت المال[٣].

ونظر الإسطبلات السلطانية للإشراف على الإسطبلات السلطانية، والتحدث في أنواع البغال والجمال، وعلفها، وعدتها، واستعمالاتها، وما يباع منها أو يُبتاع لها، ورواتب المستخدمين فيها[٤]. ونظر دار الضيافة والأسواق للإشراف على ما يتحصل من سوق الخيل والرقيق، وصرف ذلك في كلفة من يرد إلى الدولة من الرسل والملوك والسلاطين، وصرف المرتبات المقررة في كل شهر[٥].

أما نظر خزائن السلاح فمهمتها الإشراف على ما يستعمل السلطان من الأسلحة، وجميع ما يتحصل من الأسلحة في كل سنة وإرسالها إلى خزائن السلاح بالقلعة في القاهرة[٦]، وأول من تولى نظر خزائن السلاح في فترة حكم السلطان برقوق موفق الدين أبو الفرج الأسلمي مضافاً إلى نظر الخاص، واستيفاء

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١. ابن كنان، حدائق الياسمين، ص١٧٥.

(٢) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٥أ. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٤-٩٥. وانظر الاستادارية فيمايلي عن الجيش.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٩٨. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٥.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٢. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٥ب.

(٦) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٢. وابن كنان، حدائق الياسمين، ص١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصحبة[١]. ونظر الأملاك السلطانية. وتتولى إدارة الأملاك الخاصة بالسلطان، كالضياع والدور، ونظر البهار والكارمي، وتشرف على ما يتحصل إلى الدولة من أصناف البهار من تجار الكارم[٢]، من اليمن. وهي مضافة من الناحية الإدارية إلى الوزارة، وفي بعض الأحيان إلى نظر الخاص. وربما تنفرد عن الوزارة ونظر الخاص حسب ما يقرره السلطان[٣].

وأما نظر الأهراء أو شونة الغلال الخاصة بالسلطان. فيتولى إدارتها الوزير، ويكون مسؤولاً عما يصل إلى الأهراء من الغلال من مصر وبلاد الشام، ويُصرف فيها على الإسطبلات السلطانية[٤]. ونظر المواريث الحشرية، وتشرف على من يموت ولا وارث له، أو من يموت ولا وارث يستحق ميراثه[٥]. ينضاف إليها نظر الطواحين[٦]. ويعد نظر المواريث الحشرية من الناحية الإدارية فرعاً من ديوان الوزارة[٧]. ونظر الحاصلات أو نظر الجهات؛ وتشرف على ما يتحصل للوزارة من أموال كالضرائب والمصاريف وحملها إلى بيت المال[٨]، ونظر المرتجعات، ومهمتها الإشراف على ما يرتجع من إقطاعات من يموت من الأمراء أو ممن تخلى عنها

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٧.

(٢) تجار الكارم، طائفة من التجار ظهرت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. راجع سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٧٥.

(٣) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٦ب.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٣٣. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٧أ، ب.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٣.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, pp. 99.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٣. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٥ب.

(٧) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 99.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٤. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصحابها لحصولهم على إقطاع أكبر[١]. وقد خصصت دولة المماليك إدارة خاصة لاسترجاع الإقطاعات تسمى (ديوان المرتجع) أو ديوان السلطان، ويقوم بالإشراف عليه موظف يسمى مستوفي المرتجع، وكان يقوم على إدارة هذه الإقطاعات ديوان الذخيرة ريثما يقطعها السلطان من جديد[٢]. وثمة نظر الجيزة وموضوعها الإشراف على ما يتحصل من محاصيل وأموال من منطقة الجيزة؛ وهي من أملاك السلطان الخاصة[٣]، ويتولى الإشراف على إدارتها ديوان الوزارة. ولديه مستوفي، وشهود، وصيرفي[٤]. ونظر الوجهين القبلي والبحري، وموضوعها الإشراف على بلاد الصعيد والوجه البحري، وعلى المواريث التي تنقل إلى الدولة بعد موت صاحبها لعدم وجود وارث لها[٥]. وكذلك من وظائف أرباب الأقلام الأخرى صحابة ديوان البيمارستان، وصحابة ديوان الأحباس، واستيفاء الصحبة، واستيفاء الدولة[٦].

يتضح من خلال تتبع الوظائف الإدارية الأخرى التي كان يتولى إدارتها أرباب الأقلام عدم حدوث تطورات أو تغيرات واضحة على هذه الوظائف؛ والسبب في ذلك أنها كانت وظائف إدارية صغيرة تابعة لوظائف إدارية أكبر منها، ويشرف عليها نظار تابعين لموظفين أعلى مرتبة منهم. وهؤلاء النظار بمثابة مساعدين لهم في إدارة هذه الوظائف ومثال ذلك تبعية نظر خزانة السلاح إلى ديوان الخاص، وإشراف الوزارة على نظر البهار والكارمي، وتبعية نظر الأهراء السلطانية

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٤. وابن كنان، حدائق الياسمين، ص١٧٧.
Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 99.

(٢) أنطون ضومط، الدولة المملوكية، ص٢٣. وإبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص٢٨٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٤.

(٤) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 99.

(٥) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 99.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لديوان الوزارة، واكتمال إدارة مثل هذه المؤسسات مما يغني عن الحاجة إلى إحداث تغيرات عليها لأنها تؤدي الغرض المطلوب في الدولة.

٦- الإدارة المحلية في مصر:

اعتمدت التقسيمات الإدارية في دولة المماليك في مصر المتعلقة بالشؤون الداخلية للولايات على عدد من الولاة مثل: والي القاهرة، ووالي القرافة، ووالي القلعة.

١- والي القاهرة:

يعتبر والي القاهرة أكبر الموظفين الإداريين في الإدارة المحلية في مصر، فقد كان والي القاهرة يستعلم مستجدات ولاياته من قتل أو حريق كبيرا أو غير ذلك في كل يوم من نوابه، ثم يكتب تقريراً يومياً يقدمه إلى السلطان[١]. ومن صلاحياته الإشراف على تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وتعقب المفسدين، ومثيري الفتن والمخمورين، ومراقبة أبواب القاهرة، والطواف بالأسواق. وتقتصر صلاحيات والي القاهرة على العاصمة (القاهرة) وضواحيها[٢]. فحين تعرض سوق الجمالين[٣]، في القاهرة إلى السرقة والنهب سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م تولى والي القاهرة ملاحقتهم، فقبض على ثلاثة من السارقين في بعض ضواحي القاهرة، وأعاد ما نهبوه من

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٣. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٨أ.

(٣) سوق الجمالين، يقع بالقرب من درب الفرحية، وفيه المدرسة الصيرامية، وباب زيارة الجامع الحاكمي. ويذكر المقريزي أنه أدرك هذا السوق معمور الجانبين من أوله إلى آخره بالحوانيت. المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السوق[١]، وسمر أيديهم في الخشب، وطاف بهم في القاهرة، ثم أمر بقتلهم[٢]. وعندما زاد اعتداء نائب غزة على حقوق الناس سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م أمر السلطان برقوق والي القاهرة بضربه وتخليص حقوق الناس منه[٣].

٢- والي القَرَافة[٤]:

وحكمه يقتصر على القرافة. ومهمته الحفاظ على النظام والأمن في القرافة. والقرافة أشبه بمدينة صغيرة تقع بالقرب من أسوار مدينة القاهرة. وتضم نحو أكثر من ألفي أسرة، وتحتوي على العديد من القبور كقبور الأمراء والمماليك. ولهذه القبور أبنية عالية ذات قباب مزينة من الداخل بنقوش ورسوم متنوعة. وأراضيها وجدرانها مغطاة بأجود أنواع القماش، ويأتي كثير من أهل مدينة القاهرة وضواحيها في صبيحة أيام الجمعة لزيارة هذه القبور تبركاً بها ويتركون صدقات عديدة[٥]. وكانت القرافة في فترة حكم دولة المماليك الأولى تابعة من الناحية الإدارية لوالي القاهرة حتى استحدث السلطان الظاهر برقوق منصب والي القرافة. وصار والي القرافة مستقلاً عن والي القاهرة ويتولى الإشراف على السكنى في المقابر[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٢٩.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٣٤، ٧٣٩، ٧٦٨.

(٤) القَرَافة: من اسم قبيلة عربية كانت تعسكر عند جبل المقطم، ثم اتخذ هذا الاسم معنى المقبرة في القاهرة. ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨٥.

(٥) المصدر ذاته، ص٥٨٥-٥٨٦.

(٦) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ٧أ. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- **والي القلعة:**

ويسمى نائب القلعة، ويعين من قبل السلطان وهو من أمراء الطبلخاناة[١]. ويشرف على فتح باب القلعة الكبير المخصص لدخول الجند وخروجهم وإغلاقه، ويتفقد أسوار القلعة ومنافذها، والعمل على إصلاحها[٢].

٧- **إدارة نيابات السلطنة في مصر:**

تتمثل إدارة نيابات السلطنة في دولة المماليك بنواب السلطنة. وفي مصر ثلاث نيابات استحدثت بعضها في دولة المماليك الأولى كنيابة الإسكندرية، والبعض الآخر في دولة المماليك الثانية في فترة حكم السلطان برقوق كنيابة الوجه القبلي ونيابة الوجه البحري.

١- **نيابة الإسكندرية:** وهي من أكبر نيابات السلطنة في مصر، ويتولى إدارتها نائب السلطنة في الإسكندرية. وقد استحدثها السلطان الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، عندما هاجم الفرنج مدنية الإسكندرية، وأسروا وقتلوا عدداً كبيراً من مدينة الإسكندرية. وكانت الإسكندرية قبل أن تصبح نيابة ولاية تابعة للوجه البحري يعين عليها أحد أمراء الطبلخاناة[٣]. ثم أصبحت بعد ذلك نيابة يتولاها أمير مائة تقدمة ألف، يساعد نائب الإسكندرية حاجب برتبة أمير عشرة، وحاجب جندي، ووالي المدينة، كما يوجد في نيابة الإسكندرية عدد من أجناد الحلقة، يقدر عددهم بحوالي مائتي جندي لحمايتها من الاعتداءات. وقاضي قضاة مالكي-

(١) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٤. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٢.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٥٦. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ٧أ.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٥. وانظر نص بولاية الإسكندرية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٥٥-٥٨. وعلي إبراهيم، المماليك البحرية، ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو أكبر القضاة فيها- وآخر حنفي، وكاتب سر، وناظر للإشراف على الشؤون المالية في الديوان ومحتسب. ويعد وكيل بيت المال في نيابة الإسكندرية نائباً عن نائب بيت المال في القاهرة.

ونيابة الإسكندرية ليس لها أعمال تابعة لها، وإنما تقتصر على المدينة نفسها وضواحيها، وتختلف عن غيرها من نيابات السلطنة في مصر؛ بوجود مقر لنائب السلطنة وهو دار النيابة، وعادة الخدمة السلطانية في نيابة الإسكندرية في أيام المواكب أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفي خدمته المماليك والأجناد[١].

٢- نيابة الوجه البحري ونيابة الوجه القبلي:

كان ثمة كاشفان بالوجهين البحري والقبلي يسمى كل منهما والي الولاة، وذلك قبل أن يستحدث السلطان برقوق النيابة بهذين الوجهين. وحين أصبح كل من الوجه البحري والوجه القبلي نيابة، جعل للوجه البحري كاشفاً من أمراء الطبلخاناة، وهو تحت أمر نائب الوجه البحري، وجعل مقر نيابته مُنية غَمر في الشرقية، وعين كاشفاً آخر للبهنسى، والفيوم، وألغى منصب الوالي من الفيوم، وأصبحت باقي بلاد الوجه القبلي تحت إمرة نائب الوجه القبلي، كما عين للجيزة كاشفاً يقوم بالإشراف على الجسور وسائر متعلقاتها. ولا تتعدى صلاحياته إلى نواحٍ أخرى غيرها[٢].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٤-٦٥.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص٦٧. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٢٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- **نيابة الوجه البحري:**

وهي من النيابات التي استحدثت في عهد السلطان برقوق، ويتولاها نائب من الأمراء المقدمين (أمير مائة تقدمة ألف)، ومقر نيابتها مدينة دمنهور[١] بالبحيرة. ويتولى نائب الوجه البحري الحكم والإشراف على الولايات التابعة للوجه البحري وهي: ولاية الشرقية، ومقر ولايتها بلبيس، وولاية المنوفية، ومقر ولايتها مدينة منوف، وولاية الغربية، ومقر ولايتها المحلة الكبرى، وولاية الجيزة، ومقر ولايتها مدينة دمنهور بالبحيرة[٢]، وولاية اشموم، وولاية دمياط، وولاية قطيا[٣]. باستثناء نيابة الإسكندرية باعتبارها نيابة مستقلة[٤].

أما صلاحيات نائب الوجه البحري فهي إقامة الشرع، وعمارة البلاد، وتنظيف القنوات والترع، وتوطين الفلاحين، وقمع الفساد، والفصل بين المتخاصمين[٥].

ب- **نيابة الوجه القبلي:**

وقد استحدثها السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م. ومقر نيابتها مدينة أسيوط، وحكمه على جميع ولايات الوجه القبلي[٦]، وهي ولاية البهنسى، وولاية الأشمونين، وولاية قوص، وولاية أسوان وكانت قبل ذلك تابعة لوالي قوص الذي كان يعين نائباً عنه. وولاية الفيوم، وكانت قبل ذلك في دولة المماليك الأولى

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٧.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٦-٦٧. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٧-٦٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٥-٦٦. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥٠.

(٥) أنظر نص تقليد نائب الوجه البحري. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٤٣٣-٤٣٤.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٦. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ٨٤أ. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إمرة طبلخاناة، ثم أصبحت تحت إدارة أمير كاشف برتبة طبلخاناة[١]. أما أسيوط فليس فيها والٍ باعتبارها مقر نائب الوجه القبلي[٢].

ويتضح من خلال نص تقليد أحد نواب السلطنة في الوجه القبلي والوجه البحري أن سبب استحداث السلطان الظاهر برقوق هاتين النيابتين هو اتساع البلاد التابعة لها، وكثرة خيراتها، وازدياد عدد سكانها، وهما أفضل إقطاعات الأمراء[٣]، إضافة لضبط الأمن ومنع ثورات العربان.

ج- الوظائف الدينية:

اتبعت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق التنظيمات الإدارية الدينية التي كانت متبعة في الدولة الأيوبية ودولة المماليك الأولى في مصر وبلاد الشام.

فقد قسّم المماليك الوظائف الدينية إلى أربعة أقسام وهي: قضاة القضاة، والإفتاء، ووكالة بيت المال والحسبة. ولم يختلف التنظيم الإداري للمؤسسة الدينية في مصر عن التنظيم القائم في بلاد الشام إلا بالحجم. وقد جعل المماليك على رأس كل وظيفة موظفاً من أرباب الأقلام يعين من قبل السلطان. ولم تختلف الوظائف الدينية في العصر المملوكي الثاني عما كان عليه في العصر المملوكي الأول. باستثناء بعض التطورات التي طرأت على هذه الوظائف.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٦. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٧.

(٣) أنظر نص تقليد أحد نواب السلطنة في الوجه القبلي والوجه البحري. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- **قضاة القضاة:** يعدّ منصب قضاء القضاة من أهم المناصب الدينية الرفيعة في دولة المماليك، لإشرافها على الأحكام الشرعية وتنفيذها، والفصل بين الخصوم، وتعين نواب الحكم[١]. والإشراف على أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين، ووصايا المسلمين، كالأيتام والغائبين[٢]، حيث أفرد سلاطين المماليك مكاناً خاصاً في القاهرة يعرف باسم (مودع الحكم)[٣] يتولى الإشراف عليه موظفون متخصصون يعينهم القاضي ويسمون الأمناء أو أمناء الحكم[٤].

وكان منصب قاضي القضاة في مصر وبلاد الشام في الدولة الفاطمية يقتصر على قاضي واحد. واستمر ذلك في دولة المماليك الأولى، ثم طرأ عليه بعض التطورات في فترة حكم السلطان بيبرس سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م. فأصبح لكل مذهب من المذاهب الأربعة: الشافعي، والمالكي، والحنفي، والحنبلي قاضي قضاة. ويبدو أن السلطان بيبرس أراد بذلك تحقيق مكاسب شخصية تمكنه من التصرف بأموال الأوقاف، ولا سيما بعد عجز بعض القضاة البتّ في إحدى قضايا الوقف. فحسن إليه أحد أمراء المماليك المقربين تعيين أربعة قضاة من المذاهب الأربعة[٥]. وربما كان ذلك زيادة في وعي السلطان بيبرس بأهمية توسيع قاعدة تمثل سائر الناس من اتباع مختلف المذاهب. واستمر ذلك في عهد السلطان برقوق[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٥. وعبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص٩٩.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٩.

(٤) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص٩٩.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٥-٣٦. وعبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ص١٤٠.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٤٧، ٤٧٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لكل قاضي قضاة عدد من النواب يتولون القضاء نيابة عنه في مصر والقاهرة. ويسمون في بلاد الشام بنواب الحكم[١]. وصار من صلاحيات كل قاضي من القضاة الحق في أن ينيب من يشاء من النواب[٢]. شريطة أن يتصف النواب بالمعرفة والدراية بأمور الدين والقضاء[٣]. فاستكثر قضاة القضاة من النواب حتى ازداد عددهم عن الحد. فقد ذكر ابن الفرات أن عدد نواب الحكم وصل في عهد السلطان برقوق إلى أكثر من عشرين نائباً[٤]. مما دفع السلطان برقوق إلى تحديد عدد النواب، فجعل لكل قاض خمسة نواب[٥]، فنائب القاضي في غالب الأحيان كان يتولى إصدار الحكم النهائي في القضايا نيابة عن قاضي القضاة[٦].

وقد حددت صلاحيات كل من القضاة الأربعة فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة ومصر، وتعيين النواب في الأعمال، ويستقل قاضي قضاة الشافعية بتوليه النواب بنواحي الوجهين البحري والقبلي[٧].

وثمة عدد من الشهود العدول يقومون بوظيفة من وظائف القضاء ولهم دكاكين ومصاطب خاصة يجلسون عليها، ويأتي إليهم أصحاب المعاملات للإشهاد[٨]،

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٩. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٩٢.

(٢) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص٩٩.

(٣) Carl Petry, Diwan officials, vol. 21, part. 2, p. 61.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٩٨. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٦٤.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٥١.

(٦) Carl Petry, Diwan officials, vol. 21, part. 2, p. 61.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧.

(٨) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤٨-٢٤٩.
Carl Petry, Diwan Officails, vol. 21, part. 2, p.p. 54-57.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأغلب القضايا كانت تقدم إلى قاضي القضاة من خلال الشهود[١]. ومن المهام التي يقوم بها الشهود الشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم وحل المنازعات، وكتابة الأحكام الصادرة من قاضي القضاة أو نواب القضاة في سجلات خاصة لحفظ حقوقهم، وأملاكهم وديونهم وسائر المعاملات[٢]. ويشترط فيمن يتولى الشهادة أن يتصف بالعدالة الشرعية، وحسن السيرة والعلم، والخبرة في مجال كتابة السجلات الرسمية والعقود من حيث عباراتها وإحكام شروطها الشرعية وعقودها[٣]. ويجب على القاضي مراقبة الشهود، والتأكد من سيرتهم، والتزامهم بالعدالة، والمعرفة وعدم إهمال ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس؛ إذ بتعيين الشهود في هذه الوظيفة تعم الفائدة بسبب اضطرار القضاة إلى الفصل بين المتنازعين بالبيانات الموثقة اعتماداً على الشهود[٤]. وحين أخلّ القضاة في زيادة أعداد الشهود دون التأكد من عدالتهم ومعرفتهم لأمور الدين ومعرفة كتابة العقود والسجلات، أصدر السلطان الظاهر برقوق مرسوماً سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م يقضي بعزل جميع الشهود الذين عرفوا بسوء السيرة والجهالة، وعين مكانهم من يعرف بحسن السيرة والخبرة والمعرفة[٥].

ويبدو أن القضاة لم يلقوا الاحترام والتقدير من قبل السلطان الظاهر برقوق ولا سيما في الفترة الثانية من حكمه. إذ كثيراً ما تعرض القضاة وغيرهم من الفقهاء إلى إذلال السلطان برقوق[١] بسبب الفتوى التي كتبها عدد من القضاة

(١) Carl Petry, Diwan officials, vol. 21, part. 2, p. 61.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤٩. وعلي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٤٠٤. وعبد المنعم ماجد، نظم سلاطين المماليك، ص١٠٠-١٠٢.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٢٢.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤٨.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٢٢.

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثناء فتنة يلبغا الناصري ومنطاش وتقتضي بعزل السلطان برقوق وقتله، وإعادة السلطان أمير حاجي، فضلاً عن سعي بعض القضاة في الحصول على المناصب عن طريق الرشوة[١].

ولم يختلف تنظيم مؤسسة القضاء في بلاد الشام عن التنظيم القائم في مصر إلا بالحجم واستحداث السلطان برقوق منصب قاضي للقضاة الحنفية في القدس وغزة[٢].

وقد تعرضت مؤسسة القضاء في بلاد الشام إلى الإهمال وسوء الاختيار من قبل السلطان برقوق بسبب انتشار ظاهرة الرشوة في الحصول على منصب قاضي القضاة وعدم التأكد من حسن سيرتهم ومعرفتهم في الأمور الدينية بدليل عزل السلطان برقوق للقضاة الأربعة في يوم واحد بسبب خلافات نشبت بين القضاة وقذف أعراض بعضهم بالفسوق[٣].

٢- الإفتاء: وهي من الوظائف الدينية، وتعني توضيح نصوص الشريعة الإسلامية والقضايا الشرعية التي يستعصي على العامة، وهي من الوظائف الجليلة في الدولة. فكان المفتي يجلس حيث يجلس السلطان لفصل الخصومات وترتيبها، والافتاء في المسائل التي تعرض عليه بدار العدل. وكان في مصر وبلاد الشام أربعة مفتين: شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي[٤].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٨٧-٨٨.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٩٢. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٠. وابن إياس، ج١، ق٢، ص٤٥٣.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٤٩.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧، ج١١، ص٢٠٥. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٠٨. وانظر ابن جماعة، تحرير الأحكام، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- **وكالة بيت المال:** إحدى الوظائف الدينية في دولة المماليك، تتولى الإشراف على الشؤون المالية في بيت المال كالمبيعات والمشتروات من الأراضي والدور وغيرها، يتولى إدارتها موظف يسمى وكيل بيت المال. يتصف بالعلم والدين ويراعي حرمة الله[١]. ويكون مجلسه بدار العدل حسب مكانته في الدولة: إما فوق المحتسب أو دونه[٢]. واستقرت وكالة بيت المال على ماهية في فترة حكم السلطان برقوق.

٤- **الحسبة:** تعدّ وظيفة الحسبة من أهم الوظائف الدينية التي تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته[٣]. ويتولاها موظف من قبل السلطان يسمى المحتسب. ويوجد في مصر محتسبان: واحد في القاهرة يتصرف بالحكم والتولية بالوجه البحري باستثناء الإسكندرية لوجود محتسب فيها. والآخر في الفسطاط وهو المسؤول عن الوجه القبلي، وهو أقل مكانة من محتسب القاهرة من حيث الرفعة لجلوس محتسب القاهرة بدار العدل في المواكب الرسمية في الدولة. ويكون مجلسه دون وكيل بيت المال وربما أعلى منه درجة[٤]. ويوجد في كل نيابة من نيابات بلاد الشام محتسب[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٨. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٨.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٨.

(٣) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٨. والقلقشندي، مآثر الأنافة، ج١، ص٧٩. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٢أ.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠٠، ٢٢٨، ٢٤٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٣٤. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٣.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقوم المحتسب بمهام متعددة كالنظر في المكاييل والأوزان، والتحذير من الغش، ومراقبة الأسعار والأسواق، وحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، ومنع مضايقة الناس في الطرقات، ومنع الحمالين وأصحاب السفن والمراكب من الإكثار في الأحمال، والحكم على أصحاب المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على المشاة، وضرب المعلمين الطلاب والمتعلمين في الكتّاب، والإبلاغ عنها[١].

ويجب أن يتصف المحتسب بمعرفة الأحكام من العبادات، ومعاملات البيع والشراء، والذبائح وشروطها، والشهادات والإقرار، والأحكام ليأخذ الناس بها، كما يحتاج إلى معرفة جيد الصنائع والنقود من رديئها، وخالصها من مغشوشها[٢]. ويشترط في المحتسب أن يكون من وجوه العدول وأعيانهم، لأنه مفوّض من قبل السلطان، ولا يكون تعيينه إلا إذا خلع عليه وقريء مرسوم تعيينه على المنابر يوم الجمعة في مصر والقاهرة[٣].

وقد طرأت عدة تطورات على الحسبة في عهد السلطان برقوق. فقد اضطربت أمورها، ولم تعد وظيفة دينية تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل أصبحت وظيفة تباع وتشترى، وصارت لمن يبذل مالاً كثيراً[٤]. وكان هدف من يتولاها الاستفادة من صلاحيات منصب الحسبة لتحقيق منافع ذاتية[٥] لذلك ترتب على ولاية بعض الأشخاص ارتفاع الأسعار، ففي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م ولي البهاء محمد

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤٩. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٢، ٢٢١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦٨.

(٢) المبرد، الحسبة، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٦٦، ٥٦٦. والمقريزي، إغاثة الأمة، ص٤٢. وأحمد دراج، الحسبة، ص١١٦. وأحمد عبد الرزاق، البذل والبرطلة، ص١١٧.

(٥) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن البرجي[١] الحسبة في القاهرة، ودفع في ذلك مالاً فتشاءم الناس بولايته، وارتفعت الأسعار[٢].

كما تدخل العامة في تعيين المحتسب وعزله، وتقديم الشكاوى للسلطان. والتشكيك في أمانة المحتسب. ففي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م طلب العامة من السلطان برقوق عزل المحتسب، وتعيين بدلاً منه[٣]. وفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م عُزل شعبان بن محمد من حسبة القاهرة بعد توليته بأيام فقد حضر بعض العامة وشككوا في أمانته ونزاهته، فأهين إهانة بالغة[٤].

وثمة وظائف دينية أخرى كنقابة الأشراف وهي وظيفة شريفة، ومرتبة نفيسة، ويتناول موضوعها ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهم الأشراف- في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم والأخذ على يد المعتدي منهم ونحو ذلك. ومشيخة الشيوخ، ويقصد بها مشيخة الخانقاه التي أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسرياقوس إحدى ضواحي القاهرة؛ وخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء[٥]. ونظر الأحباس المبرورة، وموضوعها الإشراف على أموال الجوامع والمساجد والرُّبط والزوايا والمدارس من الأراضي المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة وما هو من ذلك على سبيل البر والصدقة لأناس معينين. ويعود أصل وظيفة نظر الأحباس إلى الأمام المصري الليث بن سعد[٦] الذي اشترى عدة

(١) بهاء الدين محمد بن البرجي تولى عدة وظائف غير منصب الحسبة في القاهرة في عهد السلطان برقوق. مثل وكالة بيت المال وشاد العمائر السلطانية (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م). ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٤١٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٢٧٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٢. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٥٢٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٨٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٥.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٩٠١. والعيني، عقد الجمان (حوادث ٨١٤-٨٢٣هـ)، ص١٦٨.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٨-٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦٤.

(٦) اشتغل بالفتوى والحديث توفي سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أراضٍ من بيت المال في نواحٍ من البلدان وحبسها على وجوه البرّ، ثم أضيف إلى ذلك الدور المعروفة بالفسطاط، ينضاف إلى ذلك مرتبات عمال البريد وعلف خيولهم. وفي فترة حكم السلطان بيبرس اتسع ديوان الأحباس وازدادت الأراضي التابعة له، وظلت في ازدياد مستمر في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق، وابنه الناصر فرج، وكان يتولى الإشراف عليها الدوادار[١]. ونظر البيمارستان والمقصود بذلك البيمارستان المنصوري الذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون بين القصرين، وكان يتولى الإشراف عليه أحد كبار أمراء المماليك في مصر[٢]. ثم طرأ عليه تغير في سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م وصار يتولى الإشراف عليه كل من يلي منصب أتابك العساكر في مصر[٣].

أما الخطابة، فهي من أجلّ الوظائف الدينية وأعلاها مرتبة، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتولى الخطابة بنفسه، ثم فعلها الخلفاء الراشدون من بعدهم، وكثرت أعداد الجوامع في مصر، وصار ما يتعلق بالسلطان قليل جداً، مثل جامع القلعة[٤]. والتداريس وهي على اختلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك لا يولي السلطان فيها إلا فيما يعظم خطره ويرتفع شأنه مما لا ناظر خاص له كالمدرسة الصلاحية[٥]، والزاوية الصلاحية[٦] بالجامع العتيق بالفسطاط[٧].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦١.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٩-٤٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٠.

(٥) أنشأها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م). المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١٥.

(٦) وتعرف بزاوية الإمام الشافعي. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٥٥.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الإدارة المحلية لنيابات السلطنة في بلاد الشام.

لقد طبقت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق نظاماً إدارياً واحداً في مصر ومختلف نيابات بلاد الشام، كدمشق، وحلب، وحماة، وطرابلس، وصفد، والكرك. باستثناء اقتصار بعض الوظائف العسكرية على مصر لاختصاصها بالسلطان مثل: رأس نوبة، وأمير مجلس، وأمير سلاح، وأمير آخور، وأمير جاندار، واستدار المباشرة، واستدار الصحبة، وشاد الشراب خاناه، والجاشنكير، ومقدم المماليك. ويذكر القلقشندي أن أغلب وظائف الأمراء الموجودة في مصر ليست موجودة في نيابات بلاد الشام. وإنما لنواب السلطنة في مختلف نيابات بلاد الشام كدمشق وحلب وغيرها مثلهم من أمراء نياباتهم[١]. ولا تختلف النظم الإدارية في بلاد الشام عن النظم الإدارية القائمة في مصر سوى بالحجم ويقسم إلى: وظائف عسكرية، ووظائف ديوانية، ووظائف دينية.

وفي هذه الدراسة سأكتفي باستعراض الوظائف العسكرية لوجود اختلاف بين نيابات بلاد الشام من جهة، ومصر من جهة أخرى من حيث موضوع الوظيفة ورتبة متوليها، وتشابه الوظائف الديوانية والدينية في مصر ونيابات بلاد الشام المختلفة.

أ- الوظائف العسكرية:

١- نيابة السلطنة: وهي أرفع الوظائف العسكرية في دمشق. ونائب السلطنة في دمشق يضاهي نائب السلطنة في مصر من حيث الرتبة والألقاب والمكاتبات، ويسمى نائب السلطنة بالشام المحروسة، ويتولى بتقليد شريف من قبل السلطان في مصر. حيث يقوم نائب السلطنة في دمشق مقام السلطان في الأمور التي تتعلق بنايبة دمشق. مثل كتابة التوقيع عن السلطان، وتوزيع الإقطاعات على الجند، وتجهيزها إلى السلطان ليوقع عليها. كما يوقع على المناشير والمراسيم المتعلقة بنيابة دمشق. كما يضاف إليه نظر البيمارستان النوري بدمشق والجامع الأموي[٢].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٥، ١٢٦.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٠-١٩٢. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٢. وسعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما نيابة السلطنة في حلب، فتأتي في المرتبة الثانية بعد نيابة دمشق، ويسمى نائب السلطنة فيها بنائب السلطنة الشريفة، ويوقع نائب حلب على أكثر الوظائف في نيابة حلب وأعمالها، كما يُكتب عنه المناشير الإقطاعية، ويوقع على كل ما يتعلق بنيابة حلب من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد على ما يكتب السلطان. ويزيد نائب حلب على نائب دمشق بأنه يخرج للصيد مرتين: الأولى في حلب في القسم الغربي للفرات يتصيد فيها الغزلان، ويقيم فيهانحو عشرة أيام؛ والثانية وهي العظمى يَعبُر فيها الفرات إلى برّ الجزيرة شرقي الفرات، ويتنقل في نواحيها مما هو داخل في الديار المصرية وما حولها، يتصيد فيها الغزلان وغيرها من سائر الوحوش، ويقيم فيها نحو شهر[١]. أما نيابة حماة، فنائب السلطنة فيها يتولى منح الإمرة والإقطاعات، وتولية القضاة، والوزراء وكتاب السر، ويتولى الكتابة على المناشير، لكنه لا يستطيع أن يمنح إمرة أو وظيفة دون مشاورة نائب السلطنة في مصر. وربما يكتب نائب السلطنة في مصر لنائب السلطنة في حماة بالتصرف في نيابة حماة[٢].

وتعدّ نيابة طرابلس[٣]، ونيابة صفد[٤]، ونيابة الكرك من النيابات الجليلة في بلاد الشام، ويتولى نياباتها أحد كبار الأمراء المقدمين في دولة المماليك، ويتصرفون في جميع أمور نيابة السلطنة، وكان لكل نيابة عسكرها الخاص ودواوينها[٥]. ولم تختلف التنظيمات المملوكية في نيابة طرابلس وصفد، والكرك في عهد السلطان برقوق عما كانت عليه في دولة المماليك الأولى.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢٤. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٣-٢٤٤. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٧. ويوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- نيابة القلعة: إحدى وظائف أرباب السيوف، وهي نيابة مستقلة في مختلف نيابات بلاد الشام عن نائب السلطنة، وليس لنائب السلطنة من سلطة عليها. ويتولاها موظف يسمى نائب القلعة بمرسوم شريف من قبل السلطان في مصر. وقد كان يتولى نيابة القلعة في نيابات بلاد الشام في دولة المماليك الأولى أمير مائة تقدمة ألف، ثم استقرت في فترة حكم السلطان برقوق إمرة طبلخاناه[١]. قبل حركة يلبغا الناصري نائب حلب سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م وبعد تلك الحركة غيّر السلطان برقوق رتبة نائب القلعة في مختلف نيابات بلاد الشام إلى رتبة أمير مائة تقدمة ألف[٢]. وربما قصد السلطان برقوق من هذا التغيير مساواة رتبة نائب القلعة برتبة نائب السلطنة نظراً لكثرة عصيان نواب السلطنة فقد أخذ السلاطين يعتمدون على نائب القلعة لحماية المدينة والقلعة من النواب الخارجين عن الطاعة. وكان نواب السلطنة قبل حركة يلبغا الناصري ومنطاش يستولون على القلعة لأنهم اعتبروا أن رتبة نائب القلعة أقل من رتبتهم، ولكن بعد حركة يلبغا الناصري ومنطاش وجد نواب السلطنة الخارجين عن الطاعة صعوبة في الاستيلاء على القلعة نظراً لأن رتبة نائبها أصبحت مساوية لرتبهم.

أما اختصاصات نائب القلعة فهي حفظ القلعة وصونها[٣]، والإشراف على فتح باب القلعة وإغلاقه، والعمل على إصلاح ما تهدم من عمارتها[٤]. ولنائب القلعة أجناد من البحرية يقيمون في القلعة، ويتولون مهمة حفظها[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٤٦، ٢٤٨. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٤.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩١، ٢٢٤، ٢٢٧. وابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٨. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩١، ٢٢٤. غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٣٣.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٥٦.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩١، ٢٢٥، ٢٤٨، ٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الحجوبية: وهي من الوظائف الهامة في نيابات بلاد الشام، ويتولاها موظف يسمى أمير حاجب أو حاجب الحجاب. وقد كان في نيابة دمشق وحلب أربعة حجاب أحدهم برتبة أمير مائة تقدمة ألف وثلاثة أمراء طبلخاناه أو أمير طبلخاناه وأمير عشرون وأمير عشرة. ثم طرأ تغير على عدد الحجاب في فترة حكم السلطان برقوق وأصبح خمسة أو ستة حجاب[١]. وفي طرابلس وصفد ثلاثة حجاب أكبرهم رتبة إمرة طبلخاناه، والآخران إمرة عشرة[٢].وفي نيابة حماة والكرك حاجبان الأول أمير طبلخاناه والآخر أمير عشرة[٣].

ويتولى حاجب الحجاب في مختلف نيابات بلاد الشام نيابة الغيبة عند خروج نائب السلطنة في مُهِمٍّ أو غيره، كما يتولى القبض على نائب السلطنة إذا أمر السلطان بذلك، وتنفيذ أمر السلطان به من السجن أو القتل. ويتولى حاجب الحجاب نيابة السلطنة حتى يعين السلطان نائباً آخر[٤]. ومن الشواهد التاريخية على ذلك أن السلطان برقوق أرسل رسالة إلى الأمير سودون المظفري[٥] حاجب الحجاب في حلب يطلب منه اعتقال الأمير يلبغا الناصري نائب حلب إلا أن يلبغا الناصري تمكن من قتل سودون المظفري[٦] كما طلب السلطان برقوق من الأمير قمش حاجب حجاب طرابلس أن يقتل نائب السلطنة بطرابلس الأمير يونس بلطا

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٢، ٢٢٥. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٥١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠، ٢٤٦.

(٣) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٤٤. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٢.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٢، ٢٢٥، ٢٤٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٦.

(٥) تولى منصب الحجوبية في حلب ثم أصبح نائباً للسلطنة في حلب من سنة (٧٨٩هـ-٧٩٠هـ) إلى أن قتله يلبغا الناصري. ابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج٢، ص٥٠١. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ص٣٠٩.

(٦) ابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج١، ص٥٠١. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ص٢٥٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٨٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرماح لانضمامه إلى الأمير تنم الذي أعلن العصيان على السلطان، وأن يتولى نيابة السلطنة مكانه[١]. كما تولى اسندمر المحمدي حاجب الحجاب بطرابلس نيابة السلطنة سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م بعد عزل نائبها الأمير كمشبغا الحموي اليلبغاوي[٢].

يلاحظ من تتبع دراسة تطور منصب حاجب الحجاب في مختلف نيابات بلاد الشام أن التغير والتطور الذي طرأ على هذه الوظيفة في فترة حكم السلطان برقوق تبين أهمية منصب حاجب الحجاب ومساواتها بمنصب نائب السلطنة ومما يؤكد ذلك الصلاحيات التي منحها السلطان لحاجب الحجاب، فضلاً عن ذلك فإن التطور الذي طرأ على هذه الوظيفة له ارتباط واضح في التطورات السياسية في مختلف نيابات بلاد الشام والمحاولات المتكررة من قبل نواب السلطنة إعلان العصيان ومحاولة الوصول إلى السلطة كمحاولة يلبغا الناصري عزل السلطان برقوق وتولى السلطنة. لذلك استحدث السلطان برقوق منصب حاجب خامس في نيابة دمشق وحلب أكبر نيابات السلطنة في بلاد الشام. وربما قصد السلطان برقوق من زيادة عدد الحجاب في نيابة دمشق وحلب إلى خمسة أو ستة حجاب إتاحة الفرصة أمام حاجب الحجاب للقيام بمهام نائب السلطنة في حال غيابه عن السلطنة أو عزله حتى يتم تعيين نائباً آخر.

٤- **والي المدينة**: وهي إحدى وظائف أرباب السيوف ويتولاها موظف يسمى والي المدينة، ويقوم بتوقيع كريم عن نائب السلطنة في النيابة. ومهمته حفظ الأمن والاستقرار والنظام في المدينة. وهي في نيابة دمشق وحلب برتبة أمير عشرة أو

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٨١، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨٤. وابن حبيب، درة الأسلاك، ج٣، ورقة ٢٣٤. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٣٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جندي حلقة[١]، كما يلي ولاية المدينة في طرابلس وحماة وصفد جندي حلقة[٢]. أما في نيابة الكرك فيطلق على والي المدينة اسم والي الشرطة[٣].

٥- **المهمندارية**: وهي من الوظائف العسكرية، ويتولاها أمير مائة تقدمة ألف كما في دمشق، ومهمته استقبال الرسل الوافدين إلى نيابة السلطنة، وقد يتولاها في أحيان أخرى أميران: أحدهما: أمير عشرة، والآخر جندي حلقة[٤]. أما نيابة حلب ففيها أميران إما برتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرة، والآخر جندي حلقة[٥].

أما نيابة طرابلس، فقد كان يتولى منصب المهمندارية مهمندار واحد[٦]، ونيابة الكرك مهمندار واحد برتبة أمير مائة تقدمة ألف[٧]، ونيابة حماة مهمندار ان برتبة جندي حلقة[٨].

٦- **امير آخور البريد**: وتعني الإشراف على خيول البريد، وكان يتولى إدارتها في نيابة دمشق في دولة المماليك الأولى في فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمير عشرة وظلت كذلك في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق[٩]. أما نيابة

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٤، ١٢٦. والسبكي، معيد النعم، ص٤٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٦.

(٣) غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٣٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢٥.

(٥) السبكي، معيد النعم، ص٣١. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ص٣٨٣.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠. وسليمان خرابشة، مملكة طرابلس، ص١٥١.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٣. ومحمد عدنان البخيت، ١٩٧٦م، مملكة الكرك، ص٦١. وغوانمة، التاريخ الحضاري، ص٣٦.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٤.

(٩) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرابلس، ونيابة حماة، ونيابة صفد، فقد أشار القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) إلى وجود هذه الوظيفة إلا أنه لم يذكر رتبة متوليها[١]. وأما نيابة الكرك فلا يوجد فيها أمير آخور بريد لاختصاص صاحب البريد[٢] الإشراف على جماعة البريدية في النيابة[٣].

٧- تقدمة البريد: وهي من وظائف أرباب السيوف في بلاد الشام، ومهمتها الإشراف على جماعة البريدية، ذكر القلقشندي أن تقدمة البريد في فترة حكم السلطان الناصر قلاوون كان يتولاها واحد من جملة البريدية ثم استقرت في دولة المماليك الثانية فتولاها أميران: واحد أمير عشرة وآخر أمير خمسة وجندي حلقة. ويتولى مقدم البريد في مختلف نيابات بلاد الشام هذه الوظيفة من قبل نائب السلطنة بتوقيع كريم[٤].

ب- الوظائف الديوانية:

تعد الوظائف الديوانية في بلاد متشابهة في مختلف النيابات كما تتشابه مع الوظائف الديوانية في مصر: وهي الوزارة، وكاتب السر[٥]، ونظر الجيش[٦]، ونظر المهمات الشريفة وهي من الوظائف التي يتولاها أرباب الأقلام مشاركة مع شاد المهمات أحد موظفي أرباب السيوف. مثل نائب السلطنة أو حاجب الحجاب،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٦.

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٥١.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٨.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٢٦، ٢٤٠، ٢٤٤.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٥، ٢٢٦.

(٦) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٦، ٢٢٦. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكون في بعض الأحيان مضافة إلى الوزارة، وأحياناً تكون مستقلة عن الوزارة حسب ما يراه السلطان[١]. ونظر الخاص للإشراف على ما يتعلق بالمستأجرات السلطانية وغيرها من الأغوار. وربما أضيف نظرها للوزير. ونظر الخزانة، ونظر البيمارستان، ونظر الجامع الأموي، ونظر خزائن السلاح، ونظر الخزانة، ونظر البيوت. ذكر القلقشندي قال: «وأخبرني بعض الدمشقيّين أن هذه الوظيفة اسم على غير مسمى لا حقيقة لها ولا مباشرة، لعدم وجود بيوت سلطانية في دمشق»[٢]. ورغم ما يذكره القلقشندي فإن هذه الوظيفة كانت موجودة من حيث التنظيم الإداري في دمشق وموضوعها كما في مصر، وولايتها عن نائب السلطنة بتوقيع كريم[٣]. ونظر بيت المال، ونظر ديوان الأسرى للإشراف على الأوقاف المخصصة لافتداء الأسرى، ونظر الأسواق وموضوعها كما في مصر تشرف على سوق الرقيق والخيل وغيرها. ونظر مراكز البريد، ونظر الحوطات وهو مشابهة لاستيفاء الصحبة في مصر، ويتولى تحصيل الأموال السلطانية، ونظر المسابك. وينضم إلى كل وظيفة من هذه الوظائف مباشرون: من شهود وغيرهم، ويكتب لهم تواقيع كريمة عن نائب السلطنة بوظائفهم[٤].

ج- الوظائف الدينية:

١- **قضاة القضاة:** وهي من الوظائف الدينية الهامة في دولة المماليك. إذ لا تخلو نيابة من نيابات السلطنة في بلاد الشام من أربعة قضاة. أعلاهم رتبة قاضي قضاة الشافعية، يليه الحنفي، ثم الحنبلي. على أن قرار تعيين الأربعة قضاة في نيابات بلاد الشام لم يطبق دفعة واحد، بل كان على التدريج[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٧.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٨، ٢٢٧. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٤.

(٣) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٨.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص٩٨، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٦.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٩، ٢٢٧. غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- إفتاء دار العدل: وهي كما في مصر، وبها مفتيان: أحدهما شافعي والآخر حنفي[١].

وثمة وظائف دينية أخرى لا تختلف عن الوظائف الدينية في مصر كالحسبة، ونقابة الأشراف، ومشيخة الشيوخ، والخطابة، والتدريس[٢].

إن تتبع دراسة تطور الوظائف الإدارية الدينية في مختلف نيابات بلاد الشام تبين عدم وجود تغيّر على مختلف الوظائف الدينية باستثناء تعيين أربعة قضاة في جميع نيابات بلاد الشام، فضلاً عن تطبيق دولة المماليك، تنظيماً إدارياً دينياً واحداً في مصر وبلاد الشام.

إنّ ثبات الإدارة وتطورها وتغيّرها في مصر وبلاد الشام كان مبنياً على أساس منظم سارت عليه دولة المماليك في مختلف النواحي الإدارية والعسكرية، والديوانية، والقضائية. وليس لأحد من نواب السلطنة في مصر ممثلين بنائب السلطنة (النائب الكافل) أو نائب الاسكندرية، ونائب الوجه البحري أو نائب الوجه القبلي الحق في تعيين الولاة وعزلهم، لكن نائب السلطنة يكتب بعض الأمور والسلطان يباشر الكتابة على الولايات بنفسه، ونائب السلطنة يكتب بالاعتماد على ما يكتب عليه السلطان.

أما في نيابات السلطنة في بلاد الشام فإن نواب السلطنة يتصرفون في الولاية والعزل. من نيابات صغيرة، والوظائف الديوانية، والوظائف الدينية وغيرها. أما النيابات الصغيرة التي في أعمال النيابات الكبرى كنيابة دمشق،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٩، ٢٨٨.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٠٠، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٦.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p.p. 108-109.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحلب، وحماة، وطرابلس، وصفد، والكرك وغيرها، فمن كانت نيابته إمرة عشرة فأكثر يولي فيه نواب السلطنة، وربما يولي فيه السلطان، وما كانت نيابته إمرة طبلخاناه فأكثر يولي فيه السلطان، وربما وُلِّي فيه النواب. وما كانت نيابته تقدمة ألف، فإن ولايته مختصة بالسلطان.

وأما الوظائف الديوانية، فما كان منها صغيراً مثل كتابة الدرج، فأكثر ما يوليها النواب. أما كُتّاب السر، ونظر الجيش، ونظر المال، فتوليته مختصة بالسلطان. وما كان منها متوسطاً بين الطرفين مثل: كتابة الدست ونحوها: ففي دمشق كان السلطان يقوم بتوليتها؛ وأحياناً نائب السلطنة. وفيما دونها من نيابات السلطنة في بلاد الشام فيولي فيها النواب، وقد يولي فيها السلطان.

أما الوظائف الدينية، فما كان منها صغيراً: كالتداريس الصغار، والخطابات بالجوامع الصغيرة، وأنظار المدارس والجوامع وغيرها، فإنه يولي فيها نواب السلطنة ولا يولي فيها السلطان إلا نادراً. أما قضاة القضاة فهي مختصة بالسلطان. وأما الحسبة، وإفتاء دار العدل، ووكالة بيت المال، ومشيخة الشيوخ فإن السلطان يولي فيها أحياناً، وحيناً آخر يولي فيها النواب. غير أن تولية السلطان في النيابات الكبرى كدمشق أكثر، وتولية النواب فيما دون ذلك أكثر[١].

د- بيع الوظائف في عهد السلطان برقوق:

تعد ظاهرة بيع الوظائف أو البذل والبرطلة ظاهرة قديمة ترجع إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. إذ يذكر المقريزي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م) «وأما البراطيل وهي الأموال التي تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رُزيك[٢] في ولاية النواحي فقط ثم أُبطل،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص٣، ٥.

(٢) الصالح بن طلائع بن رُزيك وزير الخليفة الظافر الفاطمي قتل سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٥٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحياناً، وعمله شيخون في الولاية فقط»[١].
وفي فترة حكم السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م أنشأ ديواناً عرف بديوان البراطيل، وصار من يرغب في الوصول إلى أي منصب من مناصب الدولة يدفع مقابل ذلك على الوظيفة التي يسعى إليها بديوان البذل أو البرطلة[٢].

وفي فترة حكم السلطان الظاهر برقوق أصبحت الرشوة (البرطلة) غير منكرة، وتجاهر الناس فيها. فلا يكاد يلي أحد وظيفة أو عملاً دون دفعه الرشوة. وترتب على ذلك وصول من لا يستحق إلى الوظائف الكبيرة في الدولة كنيابة السلطنة والوزارة والقضاء والحسبة وغيرها. واقتدى بذلك الولاة «حتى صار عرفاً غير منكر»[٣]. ومن الدلائل التي تشير إلى انتشار ظاهرة بيع الوظائف في فترة حكم السلطان برقوق ما جاء في رسالة تيمورلنك إلى السلطان برقوق سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م «وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام وضيعتم جميع الأنام، وأخذتم أموال الأيتام، وقبلتم الرشوة من الولاة»[٤].

إن تتبع دراسة تطور النظم الإدارية في فترة حكم السلطان برقوق تبين سرعة تغيّر الموظفين في مختلف الوظائف الإدارية والعسكرية والدينية. ويبدو أن السبب في ذلك تحصيل أكبر قدر من الأموال. ففي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٠م عين السلطان الظاهر برقوق بدر الدين محمود بن الكلستاني في كتابة السر بعد معرفته جدارته وقدرته وترجمته رسالة من تيمورلنك كتبت بالفارسية عجز عن

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص١١١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣١٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٢٦-١٢٧. ج١١، ص٢٩٢.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص١١١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١٣. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٣٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترجمتها بدر الدين محمد بن فضل الله[١]. ويذكر ابن تغري بردي أن ولاية الكلستاني في كتابة السّر كانت رغبة من السلطان برقوق، واشترط فيمن يتولاها أن يكون صاحب لسان وقلم[٢]. غير أن بعض المصادر أشارت إلى أن ولايته كتابة السر لم تتم إلا بعد قيام أحد المحسنين بدفع المبلغ المطلوب عنه على أن يبقى دين عليه إلى حين يُسره. فسعى إلى الثراء السريع بالطرق غير المشروعة، وخلف شيئاً كثيراً بعد أن كان في الفقر بمكان[٣]. فأصبحت وظيفة كتابة السر من الوظائف التي لا تنال بغير الرشوة والبذل لأنها مصدر إثراء لمتوليها. وهذا يفسر تزايد الطلب على ولايتها، وسرعة تغير متوليها، وبذل الأموال للحصول عليها[٤].

ومن الجدير بالذكر أن بيع الوظائف يكاد لا يقتصر على وظيفة معينة بل تعدى ذلك إلى مختلف الوظائف الإدارية. ففي ٢٥ رمضان سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م عين السلطان برقوق نجم الدين الطبندي[٥] وكيل بيت المال في حسبة القاهرة بمبلغ ألفي دينار[٦]. وقد ترتب على ذلك محاولة استرجاع المبلغ بشتى الطرق غير المشروعة سواء بالسرقة أو أخذ الرشوة. وفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م استقر شرف الدين محمود بن الدماميني بعد وفاة جمال الدين محمود العجمي في نظر الجيش بعد أن بذل مبلغ (٤٠٠,٠٠٠) درهم فضة، وكان قبل ذلك قد دفع مبلغ يقدر بنحو (٥٠,٠٠٠) درهم فضة للحصول على منصب محتسب القاهرة، وقد حصّل هذه المبالغ عن طريق السرقة من أموال جمال الدين محمود العجمي[٧].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٣٦.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٨.

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٣٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٨.

(٤) أحمد عبد الرزاق، البذل والبرطلة، ص٧٦-٧٧.

(٥) نجم الدين أحمد بن عمر الطنبدي، من أعيان الفقهاء العارفين بالأصول والتفسير (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) ولم يكن مرضي الديانة. المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٧-٤٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٩٠.

(٦) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٥٧.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٢، ٨٥٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ترتب على سعي بعض الأشخاص إلى الوظائف الهامة في الدولة كالحسبة بالرشوة والبذل إلى ارتفاع الأسعار. ففي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م ولي بهاء الدين محمد بن البرجي حسبة القاهرة، وبذل في ذلك مالاً كثيراً فتشاءم الناس من ولايته، وارتفعت الأسعار. فاردب القمح كان يباع بثمانية وعشرين درهماً والبطة[١] الدقيق بواحد وعشرين درهماً، والخبز كل ستة أرطال بدرهم. في حين ارتفع اردب القمح بعد ولايته إلى ستة وثلاثين درهماً، وبطة الدقيق بأربعة وعشرين درهماً والخبز دون خمسة أرطال بدرهم[٢].

وعندما أعيد شمس الدين محمد الشاذلي إلى حسبة القاهرة سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بذل في ذلك مالاً كثيراً إلى السلطان برقوق، استدانة من الناس[٣].

كما تعرض القضاء إلى البذل والبرطلة رغم أهمية نزاهة القضاء في الحكم، وعدم صحة عقود وفسوخ المتعامل منهم بالرشوة[٤]. لتأثير ذلك على نزاهة حكم القضاة بدليل ما حصل مع القاضي برهان الدين بن جماعة[٥] حين امتنع عن الحكم في أحد قضايا الإرث لأنه أثبت أن للرجل المتوفى وارث، ومنع ناظر المواريث الحشرية من الإستيلاء على التركة، مما أغضب السلطان برقوق وعزله من منصبه. فأعيد القاضي بدر الدين بن أبي البقاء إلى منصب قاضي القضاة، وبذل في ذلك مالاً كثيراً للسلطان، وتعهد بعدم التعرض لقضية الإرث التي حكم فيها القاضي بدر الدين بن جماعة[٦].

---

(١) الاردب والبطة: أنظر الفصل الرابع.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠١.

(٤) ابن طولون، نقد الطالب، ص٤٥. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٣٦.

(٥) إبراهيم بن عبد الرحمن بن البدري محمد بن جماعة (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) تولى منصب قاضي القضاة الشافعية في مصر وبلاد الشام. عزل نفسه مراراً ثم يُسأل ويعاد. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٢. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٨٦.

(٦) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٨٧-٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقتصر انتشار ظاهرة بيع الوظائف والبذل من أجلها على مصر بل وتعدت إلى أغلب نيابات بلاد الشام، ففي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م لم يتم نقل الأمير علاء الدين أقبغا الجمالي[١] من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب إلا بعد بذل ألف ألف درهم[٢]. وفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٨٩٨م تولى القاضي أصيل الدين الأسلمي[٣] قضاء القضاة الشافعية في دمشق مقابل دفع مائة ألف درهم، استدان أغلبها من الناس[٤].

كما اتبع بعض الأمراء أسلوب المهاداة للسلطان من أجل الحصول على وظائف في الدولة كنوع آخر من البذل والبرطلة. ففي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م قَدِم الأمير تنم الحسني نائب الشام إلى القاهرة -وهو ما يزال على رأس نيابته- وقدم للسلطان برقوق هدية رمزية تضم عشرة صقور، وعشرة مماليك صغار، وعشرة آلاف دينار، وثلاثمائة ألف درهم فضة، ومصحفاً وسيفاً مرصعاً بالذهب، وعصابة نسائية من ذهب مرصعة بالجواهر النفسية، وأربعة سروج ذهب، وبدلة فرس فيها أربعمائة دينار ذهب، وأجرة صياغتها ثلاثة آلاف درهم فضة، فضلاً عن مائة وخمسين بقجة تحتوي على مختلف أنواع الفرو، ومائة وخمسين فرساً، وخمسين جملاً، وثلاثين حملاً من الفواكه، واثنتي عشرة علبة سكر نباتي[٥].

---

(١) من المماليك الجراكسة تولى نيابة طرابلس ثم نيابة حلب في عهد السلطان برقوق مات مقتولاً سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٣م. المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٢٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٢٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٨٤.

(٣) أصيل الدين الأسلمي، تولى القضاء مدة مائة يوم وتوفي السلطان برقوق وهو قاضي. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص٩٧٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٣٤. والعيني، عقد الجمان، ورقة ١٥ب. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٨٧.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٤-٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما عزل السلطان برقوق الأمير تغري بردي اليشبغاوي من نيابة حلب سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م ولم يُعين في أية وظيفة، لجأ إلى مهاداة السلطان وقدم إليه ما يزيد على عشرين مملوكاً، وخمسة طواشية بيض -كان من ضمنهم خشقدم اليشبكي-[١]، وثلاثين ألف دينار، ومائة وخمسة وعشرين فرساً، وعدة جمال، وأحمالٍ من البقج فيها من مختلف أنواع الفرو والحرير ما يزيد على مائة بقجة، فَسُر السلطان لذلك، وولاه في ٢٩ جمادى الأولى سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م وظيفة إمرة سلاح[٢].

هـ- الخلاصة:

يتضح من تتبع دراسة تطور النظام الإداري في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق المتدة من سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م- ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) عدم وجود حد فاصل أثناء هذه الفترة وفترات الحكم التي سبقتها. إلا أن بعض التطورات والتغيرات أُجريت على بعض النظم الإدارية في عهد السلطان برقوق مثل: تولي بعض الأشخاص أكثر من وظيفة في الوقت نفسه، ومحاولة إضعاف بعض الوظائف، وتوزيع مهامها على وظائف أخرى كالوزارة. فعندما تولى السلطان برقوق السلطنة عين موفق الدين أبو الفرج الأسلمي نظر الجيش سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٣٤م وأضاف إليه وظيفة نظر الخاص ونظر الذخيرة واستيفاء الصحبة[٣]، وحين عين الأمير محمود العجمي الاستادار[٤] مشيراً (مستشاراً) ومتحدثاً في مختلف أمور الدولة سنة ٧٩٠هـ/

---

(١) مقدم المماليك السلطانية في عهد السلطان برسباي، أنعم به السلطان برقوق على فارس الحاجب، ثم ملكه يشبك الشعباني بعده وأعتقه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٥، ٧٦، ٧٨. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٦٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٤٧.

(٤) توفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م بخزانة تمايل بعد أن نكبه السلطان برقوق وصادر جمع أمواله. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٨٨م، ركز جميع أمور الدولة بيده[١]، وفي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م عين القاضي جمال الدين العجمي[٢] ناظراً للجيش، فضلاً عن منصبه كقاضي للقضاة الحنفية، ومشيخة المدرسة الشيخونية. ويعلق ابن الصيرفي (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) على ذلك مستغرباً «ولم يعهد مثل هذا في دولة من دول الملوك الأتراك بمصر»[٣]، إشارة إلى عدم حدوث هذا التطور في النظام الإداري خلال الفترات السابقة لحكم السلطان الظاهر برقوق. ولكن يبدو أن السلطان برقوق أراد بذلك التقليل من الرواتب والمخصصات الأخرى التي كانت تمنح لهؤلاء الموظفين بجعل موظف واحد يلي أكثر من منصب في الدولة. بدليل حين قُبض على أحد مقدمي الدولة وأخذ منه مائة ألف درهم، وولي مكانه محمد بن عبد الرحمن في تقدمة الدولة، عين شريكاً له في نفس الوظيفة[٤]. وربما لسوء الأوضاع الاقتصادية والمالية التي كانت تعاني منها الدولة.

وفي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م عيّن السلطان برقوق علاء الدين بن الطبلاوي[٥] استاداراً خاصاً، وناظر كسوة الكعبة، ينضاف إليها الحجوبية، وولاية القاهرة، ودار الضرب والمتجر السلطاني[٦]. كما ولي القاضي كريم الدين بن شمس الدين سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م مستوفياً للدولة بالإضافة إلى منصبه ناظراً للوجه القبلي[٧].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٣٨.

(٢) تولى عدة وظائف في دولة المماليك توفي سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م). المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٥.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧١١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٤٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٠٠، ٥٢١، ٥٦٧، ٧١١، ٧١٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٧٨.

(٥) علاء الدين علي بن الطبلاوي الحاجب، قبض عليه السلطان برقوق بحجة أنه أراد اغتياله فصادر جميع أمواله. ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٤-٤٦٥.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٧٧.

(٧) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى أن هناك جوانب تمثل الجانب السلبي للإدارة في فترة حكم السلطان برقوق كتعيين بعض الأشخاص الذين تولوا مناصب رفيعة في الدولة في مناصب أقل منها. ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م عُيّن الأمير سن إبرة[١] في استيفاء الدولة بعد أن كان وزيراً. ويعلق ابن الصيرفي على ذلك ساخراً «وما كذب المثل بعد أن كان زوجها بقي طباخاً في عرسها»[٢]. كما عيّن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس[٣] سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٥م في نظر الدولة، والأمير علم الدين سن إبرة مرة أخرى في جهات الأسواق بعد توليهما الوزارة[٤]. رغم أن الوزير المنفصل عن الوزارة حسب النظم الإدارية في فترة حكم السلطان برقوق يعين ناظراً للدولة «طوعاً أم كرهاً»[٥]. لذا اعتبر ابن الصيرفي مثل هذا الإجراء من السلطان برقوق من النوادر الغريبة التي حدثت في تاريخ دولة المماليك الثانية[٦].

كما يمثل البذل والبرطلة الجانب السلبي الآخر للإدارة في عهد السلطان برقوق. فقد سعى بعض الأشخاص إلى مناصب رفيعة لتحقيق مكاسب ذاتية كتعين بهاء الدين بن البرجي في حسبة القاهرة سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م بعد أن بذل مالاً كثيراً «فتشاءم الناس من ولايته، وارتفعت الأسعار»[٧]. فتمكن بعض الأشخاص من ولاية بعض المناصب دون الأخذ بعين الاعتبار القدرة والكفاءة على تولي المنصب

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٦٢.

(٣) الصاحب كريم الدين ابن مكانس (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م). ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٥١. وانظر الحياة العلمية الفصل السادس.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٣٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧١١.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٣٨.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتعيين أحد الأدباء في ديوان الأحباس[١]، وإصدار السلطان برقوق مرسوماً خاصاً في ٢٠ محرم سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م يقضي فيه بعزل أغلب ولاة الأعمال في مصر من مناصبهم وعدم تولية أحد ممن باشر الولاية قبل ذلك وتعيين عدد من مقدمي الحلقة[٢].

أما الجهاز القضائي فلم يجد الاهتمام الكافي من قبل السلطان برقوق. وأصيب بالتراجع في أواخر فترة حكمه. فكثيراً ما كان السلطان برقوق يقع في حق القضاة والفقهاء، بما لا يليق، بعد أن كانت القضاة عند الأمراء وأعيان الدولة في غاية التعظيم والاحترام. كما انحط قدر العلماء في الفترة الثانية لحكم السلطان برقوق وما بعدها، حتى صار أقل الناس من الأراذل يخاطبهم بكل قبيح. وذلك بسبب الإقبال على الدنيا وحب المناصب[٣]. كما تعرضت المناصب القضائية كغيرها من المناصب الإدارية في مصر وبلاد الشام إلى البذل والبرطلة[٤].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٩٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧١١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٨٧-٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الجيش في عهد السلطان برقوق

١- البنية البشرية.

٢- مصادر الحصول على المماليك:

أ- التجارة.

ب- الهدايا.

٣- عناصر الجيش:

أ- الجراكسة.

ب- الأتراك.

ج- الروم.

د- الأكراد والتركمان والعربان (عناصر محلية).

٤- فرق الجيش:

أ- المماليك السلطانية.

ب- مماليك الأمراء.

ج- أجناد الحلقة.

٥- الرتب العسكرية:

أ- إمرة مائة تقدمة ألف.

ب- إمرة طبلخاناة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- إمرة عشرة.

د- إمرة خمسة.

٦- نظام الترقية والتقاعد.

٧- مخصصات الجيش:

أ- مخصصات نقدية:

١- نفقة البيعة.

٢- نفقة السفر.

٣- الجامكية.

ب- مخصصات عينية:

١- الخيول والجمال.

٢- الكسوة.

٣- مخصصات عينية أخرى.

٨- الإدارة العسكرية.

أ- ديوان الجيش (الإقطاع).

ب- ديوان المفرد.

ج- عرض الجيش.

د- قضاء العسكر.

٩- أسلحة الجيش.

- الخلاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجيـــش في عهـــد السلطـــان برقـــوق

اهتم سلاطين المماليك بجلب عناصر للجيش لتكوين بنية بشرية عسكرية تمكنها من الحفاظ على الأمن والاستقرار في الدولة وتأمين حدودها مع الدول المجاورة، كما اهتم سلاطين المماليك بتنظيم الفرق العسكرية، وقسموا الجيش إلى ثلاث فرق أساسية هي المماليك السلطانية، ومماليك الأمراء، وأجناد الحلقة. كما حددوا اعتبارات خاصة للترقية والتقاعد والرتب والمرتبات وإدارة الجيش، والأسلحة.

١- البنية البشرية:

تميزت البنية البشرية التي كان يتكون منها الجيش في دولة المماليك الأولى بالتنوع. فقد اهتم سلاطين دولة المماليك الأولى بجلب عناصر جديدة للجيش استمراراً للسياسة التي اتبعها سلاطين الدولة الأيوبية في الإكثار من جلب المماليك. فقد تمكن السلطان الصالح نجم الدين أيوب أثناء فترة حكمه (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م- ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) من جلب أعداد كبيرة من المماليك الأتراك وتأسيس فرقة المماليك البحرية بعد أن أدرك غدر القوات الخوارزمية والكردية في صراعه مع الأمراء الأيوبيين. وأسكنهم بجزيرة الروضة. إذ يقدر عدد أفراد هذه الفرقة بنحو ٨٠٠-١٠٠٠ مملوك[١].

وبعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م تمكنت المماليك البحرية من القضاء على القوات الصليبية في دمياط. وأصبحت هذه الفرقة نواة الجيش المملوكي[٢].

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٧٤-٢٧٥. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٦.

(٢) بيبرس المنصور، التحفة الملوكية، ص٢٧. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين تولى المغرايبك أحد المماليك البحرية السلطنة سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ازداد نفوذ الأمراء البحرية وكثر فسادهم في الدولة ونهبوا الأموال واعتدوا على النساء[١]. فأدرك السلطان المغرايبك ضرورة التخلص من كبار أمراء المماليك البحرية، فنفى عدداً منهم وقتل عدداً آخر، واضطر قسم آخر الفرار إلى بلاد الشام[٢].

وأما السلطان بيبرس فقد عمل على تحسين علاقاته مع الامبراطورية البيزنطية عن طريق إرسال هدايا رمزية إلى الامبراطور ميخائيل باليولوج سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م، مقابل الحصول على إذن منه بمرور سفينتين محملتين بالمماليك عبر البحر الأسود والبسفور[٣].

وعندما تولى السلطان المنصور قلاوون السلطنة سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م-٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م حدث تطور مهم في البنية العسكرية لدولة المماليك الأولى حين أدخل العنصر الجركسي الذي توفر في أسواق الرقيق في بلاد القرم (سوداق) بأسعار رخيصة، وأسس فرقة جديدة عرفت بالمماليك البرجية مكونة من نحو ثلاثة آلاف وسبعمائة مملوك[٤] ليكونوا مماليكه الخاصكية. فيقول: «كل الملوك عملوا شيئاً يذكرون فيه ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسواراً، وعملت حصوناً منيعة لي ولأولادي، وللمسلمين، وهم المماليك»[٥]، وأسكنهم في أبراج القلعة لا يخرجون منها

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٧٦، ٣٧٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٦-٧. وسعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص٢٠٩.

(٢) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص٤٣-٤٤. والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٢٦.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص١٣٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٢، ٢٣٢.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٤. والعيني، عقد الجمان (حوادث ٦٨٩-٦٩٨هـ)، ص١٦. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٦٢.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبداً[١]. ولما تسلطن الأشرف خليل بن قلاوون سمح لهم بمغادرة القلعة في النهار شريطة العودة إليها للمبيت. واشترى أثناء فترة حكمه القصيرة سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م-٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م ألفي مملوك من أسواق ثغر كفا[٢] بالقرم الذي أصبح مورداً مهماً لجلبهم[٣]. وفي زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول إلى الحمامات يوماً في الأسبوع[٤]، مما جعلهم يتعلقون به، ويتفانون في خدمته[٥].

وفي عهد السلطان كتبغا (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م- ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) طرأ تغيّر مهمٌ في البنية العسكرية لدولة المماليك الأولى حين أدخل السلطان كتبغا عنصراً جديداً إلى الجيش المملوكي سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٩٥م وهي طائفة الأويراتية[٦]، مكونة من نحو عشرة آلاف فارس. ولو منهزمين نحو مصر على أثر اعتناق غازان محمود ملك المغول، الدين الإسلامي، ومنحهم الإقطاعات، وأجرى عليهم الأرزاق. وكان يرمي السلطان كتبغا من وراء ضمهم إلى الجيش أن يجعلهم عوناً له ضد منافسيه من الأمراء المماليك[٧].

واهتمّ سلاطين دولة المماليك الثانية بجلب عناصر جديدة للجيش. فقد حرص السلطان الظاهر برقوق على جلب العنصر الجركسي كعنصر أساسي إلى جانب العناصر الأخرى كالأتراك والروم والتتار[٨]، والتركمان والأكراد والعربان[٩].

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٤٦. والعيني، عقد الجمان، ج٣، ص١٦. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص١٠٣. وسويرنهيم (البرجية)، دائرة المعارف الإسلامية، ج٣، ص٥٢٧.

(٢) كفا: تقع على ساحل بحر القرم شرقي صوداق. أنظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦٠-٤٦١.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٤. والعيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٠٨. وحكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص١٣.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٣.

(٥) أنطون ضومط، الدولة المملوكية، ص٣٦٣.

(٦) اسم جنس يطلق على عدة قبائل من المغول تسكن الجزء الأعلى من نهر نيسي بأواسط آسيا. المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٧٠٨. حاشية رقم ٣.

(٧) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٠٤. ومحمد جمال سرور، دولة بني قلاوون، ص٣٧.

(٨) العمري، مسالك الأبصار، ص٢٧. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٢. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٣.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- مصادر الحصول على المماليك:

تنوعت مصادر حصول سلاطين المماليك على المماليك في فترة حكم السلطان برقوق، فغالبية المماليك في هذه الفترة تمّ جلبهم عن طريق تجار اختصوا بتجارة المماليك، والقليل منهم عن طريق الهداة للسلطان من الأمراء والمماليك. فضلاً عن عناصر محلية التحقت في الجيش المملوكي دون أن تتعرض للبيع أو الرق كالتركمان والأكراد والعربان وأبناء المماليك.

أ- التجارة:

اعتمدت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق على جلب عناصر للجيش عن طريق تجار أجانب كانت تربطهم صلة التجارة مع دولة المماليك في مصر وبلاد الشام، والبلاد التي كانوا يأتون منها بالمماليك[١]. وقد حرصت دولة المماليك في هذه الفترة على تنشيط حركة تجارة المماليك واستمرارها. وقد ساعد في ذلك عدة عوامل أهمها ازدياد حاجة دولة المماليك إلى عناصر جديد لاستخدامهم في الجيش[٢]، وانتشار الأوبئة والطواعين والقحط والجفاف في المناطق التي يجلب منها المماليك، واعتقاد الأهالي بأن بيع أبنائهم لتجار المماليك أفضل من تركهم لتلك الأوبئة[٣]. إضافة إلى غارات الخوازمية على بلاد الجركس[٤]، وغزو تيمورلنك وغيره لشمال القوقاز[٥].

---

(١) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ج١، ص١١.

(٢) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٩٨. وعلي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٢٢.

(٣) أنطون ضومط الدولة المملوكية، ص٢٥. وانظر كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٢٩.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٤٤.

(٥) Glubb, Soldier, p. 200.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان أغلب تجار المماليك من الأوروبيين النصارى واليهود، والقلة من الإيرانيين[١]. واشتهر من هؤلاء الأوروبيين تجار البندقية وجنوه. وقد اضطر الكثير من ملوك أوروبا وبابواتها إلى اتخاذ إجراءات مشددة ضد هؤلاء التجار بما يقومون به من بيع المماليك. وكان تجار البندقية وجنوه يذهبون إلى مناطق عدة لجلب المماليك الشباب مثل ثغر كفا وبيعهم في مصر. وقدرت أعداد المماليك الذين جلبهم تجار البندقية وجنوه كل عام بنحو ألفي مملوك تقريباً[٢]. أغلبهم من الجورجين والآص[٣] والأرمن واليونان والصرب والألبان[٤].

وكانت عملية بيع المملوك تتم عن طريق بيع الأب لابنه، والأخ لأخيه اعتقاداً منهم بأن الله سيرعى الأطفال أينما ذهبوا[٥]. وقد جرت العادة عند بيع المملوك سواء كان ذكراً أو أنثى أن يجرد من الثياب، ثم يطرح عليه عباءة من لباد. وحين يعلن عن ثمن المملوك، تزال العباءة عنه، ويجعلونه يسير ذهاباً وإياباً، ليتأكد المشترى من خلو المملوك من أي عيب جسمي، كما يقطع تاجر المملوك عهداً على نفسه برد ثمن المملوك لمشتريه إن مات بالطاعون خلال ستين يوماً[٦].

---

(١) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ج١، ص١٢.

(٢) علي إبراهيم حسن، قيام دولة المماليك البحرية، ص٢٣.

(٣) الآص وتسمى اللآن وهي بلاد واسعة تقع بالقرب من أرمينية، أغلب سكانها من النصارى تجلب منهم الرقيق (المماليك). ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٩. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦٢-٤٦٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦٠، ٤٦١. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٩٧.

(٥) طافور، رحلة، ص١٣٤.

(٦) المصدر ذاته، ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان التجار يأتون بالمماليك من جورجيا وأرمينية واليونان والصرب وألبانيا إلى مصر والقاهرة عن طريق البحر إلى دمياط والإسكندرية[١]، ثم يباعون في أسواق خاصة مثل سوق خان الخليلي وخان مسرور الذي كان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق[٢]. وبجوار خان مسرور حجرتان خصصتا في فترة حكم السلطان برقوق لبيع المماليك الأتراك والروم[٣]، وكان للمحتسب «دكة» مكان مرتفع يجلس عليه في السوق لمراقبة ما يباع ويشترى من المماليك، ظلت قائمة حتى سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م[٤].

وأطلق على تجار المماليك عدة ألقاب مثل الخواجا أو الخوجكي، وتعني التجار الأجانب[٥]. وقد تمتع هؤلاء التجار بمكانة متميزة عند السلطان برقوق، ولقوا منه التكريم والاحترام. فحين قدمت رسل فرنج جنوه بالخواجا علي أخي الخواجا عثمان بن مسافر أحد كبار تجار المماليك إلى الإسكندرية ومعه أقارب السلطان برقوق خلع عليه الخلع[٦].

ويساعد تجار المماليك شخص يسمى «دلال المماليك»[٧] في البحث عن المماليك وجلبهم[٨].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٦٣١. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦٠٠. وأنطون ضومط، الدولة المملوكية، ص٢٦. وعبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص١٣.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٢.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ص٣٧٤.

(٤) العريني، دولة المماليك، ص٨١.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٢، ١٥. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٩٨. البقلي، مصطلحات الصبح، ص٧٣، ١٢٤.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٤٠٣، ج٣، ق٢، ص٥٨٩.

(٧) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٥.

(٨) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكرت بعض المصادر العربية أسماء بعض تجار المماليك عند جلبهم بعض المماليك إلى مصر[١] مثل الخواجا عثمان بن مسافر الذي جلب السلطان برقوق من بلاد الجركس، وعمل لحسابه على جلب المماليك الجراكسة أثناء فترة توليه منصب أتابك العساكر في فترة حكم السلطان حاجي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م[٢]. والخواجا علي ابن مسافر الذي جلب عدداً كبيراً من المماليك من جنوه[٣] والخواجا الخليلي الذي جلب الأمير جركسي الخليلي[٤]، والخواجا كَزْلَك[٥]، والخواجا إسماعيل[٦].

واهتم السلطان برقوق اهتماماً كبيراً بشراء المماليك ولا سيما المماليك الجراكسة[٧]، فبلغ عدد مشترواته من المماليك عندما خلع من السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م نحو ألفي مملوك تقريباً[٨]، وبعد وفاته سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م وجد له حوالي من ٤-٦ آلاف مملوك[٩]. ويقدر ابن الصيرفي أعداد المماليك الذين اشتراهم السلطان برقوق من مختلف الأجناس من الأتراك والجركس والروم والبلغار والآص (اللآن) وغيرهم أثناء فترة حكمه بدفعات متفرقة بأكثر من عشرين ألف مملوك[١٠] عدا عن الجراكسة الذين كانوا في جيش السلطنة قبل وصول برقوق إلى السلطنة.

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ٢٢٠. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٣٤٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٠-٢٢٦. ومؤلف مجهول، تاريخ، ورقة ٦٣ب.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨٥، ٥٨٩. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٤٧ب.

(٤) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٥) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٤٦١. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٣٨.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٩٢.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٤١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧-١٠٨.

(٨) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٨٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٩.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٣. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٩٥. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٨٨.

(١٠) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الهدايـا:

وتعد الهدايا من المصادر التي جُلب عن طريقها أعداد ليست قليلة من المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق. فقد اعتاد الأمراء المماليك، وملوك وسلاطين الدول المجاورة لدولة المماليك في هذه الفترة مهاداة السلطان برقوق في مناسبات مختلفة، وتتضمن في أغلب الأحيان عدداً من المماليك والجواري. رغبة في توطيد علاقات الود والصداقة بين الدولتين. ومحاولة بعض الأمراء كسب ودّ ورضى السلطان عليهم. ففي ١٨ ربيع الأول سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م قدّم الأمير بيدمر نائب الشام هدية للسلطان برقوق كان من ضمنها مماليك حسان الوجوه[١]، كما قدم الأمير تنم الحسني نائب الشام أيضاً سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م عشرة مماليك وعشر جوارٍ جراكسة[٢]، وقدم الأمير تغري بردي اليشبغاوي للسلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م أكثر من عشرين مملوكاً، وخمسة طواشية (خصيان) بيض من بينهم خشقدم اليشبكي[٣] الذي صار سلطاناً سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م[٤]. وقدم الأمير دقماق المحمودي نائب ملطية ثمانية عشر مملوكاً[٥]. وقدم الأمير قلمطاوي الدوادار في السنة نفسها للسلطان برقوق هدية رمزية من ضمنها مملوك من الأتراك بديع الحسن[٦]. وأرسل ملك اليمن الأشرف محمد بن الأفضل عباس بن رسول هدية مع برهان الدين المحلي الكارمي تاجر السلطان برقوق عشرين مملوكاً وعشرة خدام، وأربعة عبيد، وست جوارٍ[٧].

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٥. وكرافولسكي، العرب وإيران، ص١٢٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٨٤.

(٣) المصدر ذاته، ج١٢، ص٧٥.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٧٦. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٩٤.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٥. وابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٩٤.

(٦) المصدر ذاته، ج١٦، ص٨٠.

(٧) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٥٦-٤٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح من خلال تتبع دراسة تطور مصادر الحصول على المماليك أن المورد الأساسي للمماليك كان من خلال الشراء من الأسواق الخارجية. أما الأسواق الداخلية فليس لدينا شواهد تاريخية كافية تبين حجم أعداد المماليك الذين تمّ شراؤهم من هذه الأسواق باستثناء شاهد تاريخي واحد وهو شراء السلطان برقوق للأمير ايتمش البجاسي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م بمائة ألف درهم من ورثة الأمير جُرجي الإدريسي نائب حلب[١]. وهذا لا يعني أنه لم يتم الشراء من الأسواق الداخلية.

وتأتي الهدايا كمصدر ثانوي للحصول على المماليك إذ يقدر إعداد المماليك الذين قدموا للسلطان برقوق على سبيل الإهداء قرابة ثمانية وثمانين مملوكاً. وهذه الأعداد من المماليك قليلة جداً إذا اعتبرنا أن هذا العدد من المماليك هو عدد حقيقي.

٣- عناصر الجيش:

وقد ضمّ الجيش المملوكي أثناء فترة حكم السلطان برقوق عناصر من مختلف الجنسيات كالجركسية، والتركية، والرومية، والتتارية، والبلغارية، والآص، وعناصر محلية أخرى مثل التركمان والأكراد والعربان.

ويمثل العنصر الجركسي أهم عناصر الجيش في فترة حكم السلطان برقوق، فقد عمل على جلب أعداد كبيرة من المماليك الجراكسة عندما تولى منصب أتابك العساكر أثناء فترة حكم السلطان حاجي تقدر بحوالي ألفي مملوك. وكان يفضلهم على بقية العناصر المملوكية الأخرى[٢]، ولا سيما المماليك الأتراك والروم[٣]، وقد تميزت فترة حكمه بجلب المماليك والأقارب من بلاد الجركس حتى شمل عجائز

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧-١٠٨. وكرافولسكي، العرب وإيران، ص١٢٤.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٩٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجراكسة والنساء من مختلف الأعمار[١]. ففي سنة ٧٨٢هـ/ ١٢٨٠م جلب والده من بلاد الجركس[٢]، وفي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وصلت سفينة من بلاد الجركس إلى ميناء الإسكندرية تحمل مماليك جراكسة من بينهم أقارب السلطان برقوق[٣]. وعندما تولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م أصبح غالبية الجيش من المماليك الجراكسة البالغ عددهم نحو ٤-٦ آلاف مملوك فضلاً عن المماليك الجراكسة الذين كانوا في الجيش قبل وصوله إلى السلطنة[٤]. وقد حاول السلطان برقوق التخلص من المماليك الأتراك، ولا سيما بعد قيام ثورة منطاش والناصري سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م التي تعد أخطر الثورات التي قام بها المماليك الأتراك في هذه الفترة. وكانت سبباً في خلعه من السلطة وإعادة الأمير حاجي إليها[٥].

واعتمد السلطان برقوق على العنصر الجركسي في إخماد ثورة منطاش والناصري، واستعادة سلطته مرة ثانية سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٦]. وظل العنصر الجركسي الركيزة الأساسية للجيش في الدولة. إذ ارتفع عددهم في نهاية حكمه حسب تقدير ابن الصيرفي بنحو عشرين ألف مملوك[٧]. وظلّ كذلك حتى ثار الأمير علي باي الخازندار -رأس نوبة الأمراء وأحد المماليك الجراكسة الذي اعتزّ بهم السلطان برقوق- ودبر مؤامرة لخلع السلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م وهو في طريقه إلى حفل فتح الخليج. ولكن أخبار المؤامرة تواترت إلى السلطان برقوق فأخذ حذره وعمل على إفشال خطة الأمير علي باي، ثم قبض عليه وخنقه[٨].

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٥. وابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٤.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٤٠٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٠٩.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٩. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٩٥. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٨٨.

(٥) أنظر الفصل الأول حركة منطاش ويلبغا الناصري.

(٦) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج١، ص١٣٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٤٩-٦٥١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٣-٣٤٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٧) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩٩.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٣-٩٠٧. والعيني، عقد الجمان (حوادث ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م- ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) ورقة ٩ - ١١ أ، ب. وانظر الفصل الأول حركة علي باي الخازندار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى أثر خيانة الأمير علي باي الخازندار ندم السلطان برقوق على الإكثار من المماليك الجراكسة والإعتماد عليهم في الجيش، وعدم الإلتفات إلى نصيحة زوجته خوند أزد التي حذرته من الإكثار منهم. وجعل عسكره من أربعة أجناس بنسب متساوية تتر، وجركس، وروم، وتركمان[١]. ويبدو أن السلطان برقوق اقتنع بهذه النصيحة بعد ثورة علي باي حتى أنه قال لزوجته «الذي كنت أشرت به عليّ هو الصواب، ولكن كان مقدراً ونرجو الله تعالى إصلاح الأمر من اليوم»[٢].

وبرغم أن السلطان برقوق وعد زوجته بأن يغير من سياسته نحو مشترواته الجراكسة، وأخذ في ترقية بعض العناصر مثل الأرمن والروم[٣]، ولكن هذه العناصر لم يكن لها الغلبة في الدولة لعاملين: أولهما أن عدول السلطان برقوق عن إعتماده على العناصر الجركسية جاء في أواخر سلطنته، وثانيهما أن الدولة امتلأت بالمماليك الجراكسة من مشترواته الذين شغلوا الوظائف الكبرى في الجيش المملوكي حتى صار أكثر الأمراء والجند من الجراكسة[٤]. وهؤلاء بدورهم شجعوا الهجرة من بلادهم الأصلية إلى دولة المماليك الثانية[٥].

وقد تابع السلطان الناصر فرج سياسة والده السلطان الظاهر برقوق في عدم الاعتماد على المماليك الجراكسة وقرب المماليك الروم لأن أمه خوند شرين كانت رومية[٦]. وتزوج ابنة الأمير تغري بردي اليشبغاوي الرومي، وأبعد المماليك

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص٨٨، ١٠٨.

(٢) المصدر ذاته، ج١٢، ص٨٨.

(٣) المصدر ذاته، ج١٢، ص٩٨.

(٤) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٥٠٠.

(٥) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص١١٣.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٦٨.، السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجراكسة[١]. وترتب على ذلك انقسام الجيش إلى طائفتين جراكسة وروم، مما ادى بالسلطان الناصر فرج التخلي عن الحكم نتيجة ازدياد كراهية المماليك الجراكسة له[٢].

أما العنصر التركي فكان العنصر الأساسي الذي اعتمد عليه سلاطين دولة المماليك الأولى، واستمر كعنصر ثان في دولة المماليك الثانية الجراكسة. وبالرغم من محاولات السلطان برقوق للتخلص من العناصر التركية بعد القضاء على ثورة الناصري ومنطاش بالنفي والقتل والاعتقال، إلا أن ذلك لا يُعني اندثار أو زوال العنصر التركي نهائياً من الجيش[٣]، وانما ساعدت هذه المحاولات في تقليص أعداد العناصر التركية في الجيش، بدليل ما يذكره القلقشندي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م): «أما في زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان برقوق من جنس الشركسي، رغب في المماليك من جنسه وأكثر من المماليك الجراكسة حتى صار أكثر الأمراء والجند منهم وقلّت المماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبقى منهم إلا القليل من بقياهم وأولادهم»[٤].

ويبدو أن أعداد العنصر الرومي في الجيش لم يكن كثيراً. فالمصادر المعاصرة لفترة حكم السلطان برقوق لم تذكُر أنهم قاموا بأي نشاط سياسي أو عسكري في الدولة، إلا بعد وفاة السلطان برقوق واعتلاء السلطان الناصر فرج بن برقوق السلطنة سنة ٨٠٢ هـ/١٣٩٩م. بسبب ميل السلطان الناصر فرج إلى المماليك

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٢٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٦-١١٧٧. وحكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص١١٣.

(٣) حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك، ص٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥٦، ٤٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروم[١]. وفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م تأزمت الأمور بين السلطان الناصر فرج والمماليك الجراكسة عندما طالب الأمراء الجراكسة السلطان فرج تسليمهم بعض الأمراء والمماليك الروم[٢]. ولأنهم خشو من تقدم المماليك الروم عليهم[٣]، وحاول أحد المماليك الجراكسة إغراق السلطان فرج في الماء سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م لولا أن أنقذه أحد المماليك الروم[٤]. فأعلن بعد ذلك السلطان الناصر فرج ميله للروم وذم المماليك الجراكسة[٥].

وأوردت بعض المصادر المعاصرة لفترة حكم السلطان برقوق عرضاً أسماء عدد من المماليك الروم أثناء الترجمة لهم عند توليهم بعض المناصب الإدارية والعسكرية مثل: الطواشي بهادر الرومي[٦]، وتغري بردي اليشبغاوي الرومي[٧].

أما العناصر الكردية والتركمانية والعربان، فهي عناصر محلية شاركت في الجيش المملوكي أثناء فترة حكم السلطان برقوق كعناصر مساندة للعناصر الأخرى الجركسية والرومية والتركية أثناء الفتن والثورات والاضطرابات الداخلية[٨].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٦٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٢٥.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٣، ص١١٧٤. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٣٨١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٧.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٣، ص١١٧٧. وابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٧٣٣.

(٦) بهادر بن عبد الله الشهبي سيف الدين الطواشي الرومي (ت ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٣٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١١٩.

(٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٣٤.

(٨) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأطلق عليها أكراد الطاعة وتركمان الطاعة[١]، وعربان الطاعة[٢]، تميزاً لها عن بقية العناصر الكردية والتركمانية الخارجة عن حكم السلطان برقوق في أوقات مختلفة كعرب آل مهنا بزعامة الأمير نعير آل مهنا[٣]، وسولي بن دلغادر أمير التركمان[٤].

ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م شارك أكراد الطاعة وتركمان الطاعة المقيمة في نيابات بلاد الشام كدمشق وطرابلس وحماة في قتال العناصر التركمانية الخارجة عن الطاعة بزعامة الأمير صارم الدين بن رمضان نائب أذنة[٥]، وبني أوزر وابن برناص لاعتدائهم على حجاج بيزنطة ونهبهم[٦]. كما ساهمت العناصر الكردية في بلاد الشام في صد الهجمات الفرنجية عن المدن الساحلية على البحر المتوسط كمدينة بيروت واللاذقية[٧]. وعندما أعلن الأمير منطاش والأمير نعير آل مهنا خروجهما على السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م استعان السلطان برقوق بتركمان وعربان الطاعة في قتالهما، وتمكنوا من قتل عدد كبير من عساكرهما، واستولوا على ما معهما من الأموال[٨]. كما ساندت العناصر التركمانية المماليك الجراكسة سنة ٧٩٧هـ/ ١٤٩١م في القضاء على تمرد عرب آل مهنا بزعامة الأمير نعير وقتل نحو آلاف من عربانه[٩].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج١، ص٥٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس،ج١، ص٩٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٦٣.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٤٦٥.

(٤) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٣٥-١٣٧. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٠٢.

(٥) أذنة من المدن الأرمنية الواقعة على الحدود الشمالية للأعمال الحلبية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٤.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٠٤.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٤٩٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٨٦.

(٨) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٨٩.

(٩) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٣٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- فرق الجيش:

تألف الجيش في دولة المماليك من ثلاث فئات رئيسية هي: المماليك السلطانية، وأجناد الحلقة، ومماليك الأمراء[١].

أ- المماليك السلطانية:

تعدّ المماليك السلطانية من أهم فرق الجيش في دولة المماليك وأعظمها شأناً وأرفعها مكانة، وأكثرها إقطاعاً[٢] وتقسم المماليك السلطانية إلى ثلاث فئات:

١- **المماليك المشتروات**: وهم المماليك الذين يشتريهم السلطان القائم في الحكم لتدعيم مركزه في السلطة. ويطلق عليهم المماليك الأجلاب أو الجلبان[٣]. وهؤلاء هم الأصل في تكوين فرقة المماليك السلطانية لما تميزت به هذه الفئة من المماليك من التدريب والتعليم في الطباق[٤]. التي أُنشئت في فترة حكم السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م بقلعة الجبل في القاهرة لإقامة المماليك السلطانية[٥]. كما بنيت طباق أخرى في فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون في ساحة الإيوان سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، وسنة ٧٢٩هـ/ ١٣٤٨م[٦]. وتتألف الطباق من اثنتي عشرة طبقة، تشتمل على عدة مساكن تتسع لألف مملوك[٧]. واستمرت هذه الطباق طوال فترة حكم دولة المماليك الثانية[٨].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٦٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥-١٦. والبقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٦.

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٢. وليون الإفريقي، وصف أفريقيا، ص٦٠٥.

(٤) الباز العريني، المماليك، ص٨٤. وانظر الباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩١. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٢٦.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٣.

(٧) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٢٧. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٢-٢١٤. وابن الفرات، تاريخ، م٩، ج١، ص٨٨.

(٨) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١٠. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجري تعليم المماليك في الطباق في دولة المماليك بشكل عام بعد أن يشتري السلطان مماليكه من تاجر المماليك (الخواجا)، حيث ينزل كل منهم في طبقة جنسه[١]، ويطلق على هؤلاء المماليك (المماليك الكتابية)[٢]. ويقسم تعليم المماليك في الطباق إلى قسمين: الأول ديني، والآخر عسكري أو حربي. فيتعلم المملوك في القسم الأول قبل سن البلوغ القرآن الكريم وآداب الشريعة الإسلامية والصلاة والخط وبعض الفقه. وعندما يبلغ المملوك سن البلوغ يتعلم الفنون العسكرية على يد معلمين من المماليك المتخصصين مثل لعب الرمح ورمي السهام وغير ذلك من الفنون العسكرية[٣].

وأجرى سلاطين المماليك على المماليك الكتابية في الطباق مخصصات من اللحم والأطعمة والحلاوات والفواكه والكسوة والرواتب من الذهب والفضة[٤]. وحرص الطواشية[٥] في مراحل تعليم المماليك الكتابية في الطباق على فصل المماليك صغار السن عن المماليك البالغين تفادياً لانتشار الفساد بين المماليك[٦].

وعندما تولى السلطان برقوق السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م حرص على استمرار تعليم المماليك الكتابية حسب ما كان متبعاً في دولة المماليك الأتراك الأولى إلى أن عزل من السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. حيث حدثت تطورات وتغيرات على تربية المماليك في الطباق بعد عودته إلى السلطنة مرة ثانية. إذ

---

(١) أنطون ضومط، الدولة المملوكية، ص٢٨. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠١.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٢١٣. والباز العريني، المماليك، ص٨٤-٨٥.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ص٢١٤. وعلي إبراهيم حسن، المماليك البحرية، ص٢٧-٢٨.

(٥) الطواشية، وهم الذين يتولون إدارة المماليك السلطانية. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢٢.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سمح السلطان برقوق للمماليك بعد التعليم والتدريب بالنزول من الطباق من قلعة الجبل والإقامة في القاهرة، والزواج من نساء القاهرة وغيرها[١]. وفي فترة حكم السلطان الناصر فرج بن برقوق تلاشت النظم التي كانت متبعة في تعليم المماليك في الطباق نهائياً وانقطعت مخصصاتهم من اللحم وغيرها، وخصص لهم بدلاً من ذلك مبلغ عشرة دراهم. وصار غذاؤهم في الغالب من الفول المسلوق لعجزهم عن شراء اللحم[٢].

وكان يقضي المملوك في الطباق في فترة حكم السلطان برقوق مدة سنتين على العادة التي جرى عليها سلاطين دولة المماليك الأتراك الأولى[٣].

وبعد انقضاء المدة المقررة لإقامة المماليك في الطباق والانتهاء من التعليم والتدريب يجري تخريج المماليك من الطباق بعد سن البلوغ بعتقهم. والعتاقة التي يحصل عليها المماليك هي عبارة عن شهادة تمنح للمملوك، وتعني أنه أصبح حراً وجندياً مدرباً[٤]. يحصل بعدها المملوك على الخيل والقماش من قبل السلطان[٥] من اسطبل الجوق الذي اختص بصرف خيول المماليك الكتابية المتخرجين من الطباق[٦]. وقد يحدث أن يتوفى السلطان أو بعض الأمراء ولديه بعض المماليك الكتابية في الطباق دون عتق. ففي مثل هذه الحالة يتولى السلطان الجديد إعادة شراء هؤلاء المماليك من بيت المال ثم يعتقهم. فالسلطان الظاهر برقوق اشترى

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٤.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٢١٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٩.

(٤) الباز العريني، المماليك، ص١٣٢. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٧.

(٥) القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٢٣أ. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص١٧٠.

(٦) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمير أيتمش البجاسي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م -وهو يوم ذاك رأس نوبة الأمراء وكبير أمراء مصر- من ورثة الأمير جُرجي الأدريسي نائب حلب بحكم أن الأمير جرجي لما مات لم يكن أيتمش ممن أعتق من المماليك، فأخذه بعد موته الأمير بجاس وأعتقه من غير أن يثبت قضية البيع والعتق. فعندئذٍ اشتراه السلطان برقوق بمائة ألف درهم وأعتقه وأنعم عليه بأربعة آلاف درهم وبإقطاع، ثم خلع السلطان برقوق على القضاة والموقعين الذين سجلوا قضية البيع والعتق[١].

وطرأ تطور وتغير على جلب المماليك وتعليمهم في الطباق ولا سيما في فترة حكم دولة المماليك الثانية. فالسلطان برقوق جلب أهله وأقاربه من كبار السن وضمهم إلى المماليك السلطانية دون التعليم في الطباق لتجاوزهم سن التعليم[٢].

ومن المماليك المشتروات يختار السلطان من يقوم على خدمته بالقصر السلطاني ويطلق عليهم (المماليك الخاصكية) وتوكل إليهم مهمة حمل التقاليد إلى نواب بلاد الشام، وتولي إمرة بعض المناطق في بلاد الشام[٣]. كما يتمتع المماليك الخاصكية بامتيازات عديدة، كالدخول على السلطان في أوقات خلوته[٤]، والحصول على العطايا الجزيلة[٥]، والترقية السريعة[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٤٠٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٠٩.

(٣) أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص٣٧١. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٧.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٦٢.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٦. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦٠٥.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أعداد المماليك الخاصكية فقد تعرضت إلى الزيادة والنقصان. فبلغت أثناء فترة حكم الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً[١]. في حين ارتفعت في فترة حكم السلطان برقوق إلى ثمانين خاصكياً، ثم ارتفعت إلى نحو ألفي خاصكي أثناء فترة حكم السلطان الناصر فرج بن برقوق، ثم خفضها السلطان المؤيد شيخ إلى ما كانت عليه في فترة حكم السلطان برقوق[٢].

٢- **المماليك القرانيص**: يطلق مصطلح المماليك القرانيص أو القرانصة على مماليك السلطان المعزول أو المتوفى الذين انتقلوا إلى خدمة السلطان الجديد، وهم يعدون من ضمن أمراء الخمسات، ويسمون أيضاً بالمماليك «قديموا الهجرة»[٣].

نشأت فئة المماليك القرانصة نتيجة تحول المماليك الأجلاب أو المشتروات لسلطان ما بعد وفاته أو عزله عن السلطنة إلى مماليك قدامى تمييزاً لهم عن المماليك الجدد الذين يشتريهم السلطان الجديد، وتعد المماليك القرانيص أشد خطراً وقوة، لأنهم كانوا يشكلون في بداية عهد السلطان الجديد القوة الحقيقية له. والقرانيص لا يشكلون فرقة عسكرية واحدة، وذلك لانتساب كل فئة منهم إلى السلطان الذي أعتقهم، وهي فئات منفصلة يغلب عليها العداء، وكان لا يجمعهم سوى عامل مشترك واحد هو عداؤهم للمماليك الأجلاب[٤].

---

(١) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٦٢.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١١١-١١٢.

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٥.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 88.

(٤) أنطون ضومط، دولة المماليك، ص٣٢.

Ayalon, Studies, p.p. 217-220.

وانظر كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٢٤-١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعد فرقة المماليك الظاهرية التابعة للسلطان برقوق والمماليك الذين ورثهم أول فئات المماليك القرانيص التي نشأت في دولة المماليك الثانية، وتميّزت بصراعها مع السلطان الناصر فرج بن برقوق طوال فترة حكمه[١]. ونظراً لكثرة تهديد المماليك الأشرفية الأتراك (القرانيص) للسلطان برقوق فقد لجأ إلى التخلص منهم بوسائل متعددة كالقتل والحبس والنفي، وإرسال بعضهم إلى القتال في الأقاليم وبلاد الشام[٢].

٣- **المماليك السيفية أو (مماليك الأمراء)**: وهم مماليك الأمراء الذين يستولي عليهم السلطان نتيجة وفاة أساتذتهم، أو مصادرتهم أو تقاعدهم، أو تولي أحد هؤلاء الأساتذة السلطنة[٣]. ومن هؤلاء المماليك، مماليك الأمير منطاش الذي قبض عليهم السلطان برقوق ثم عرضهم وأفرج عنهم، بعد إعلان الأمير منطاش العصيان عليه والفرار من مصر سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م[٤]. ومماليك الأمير كمشبغا الحموي[٥] الذين استولى عليهم السلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بعد اعتقاله الأمير كمشبغا الحموي في أواخر محرم من السنة نفسها. واختار عدداً منهم لنفسه وفرّق البقية على الأمراء[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٨٣-١٨٤، ٢٣٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص٩٨٧-٩٨٩، ١٠٦٠-١٠٦٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٥١-٤٥٢.

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٦. وعبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص١٤٨. والباز العريني، المماليك، ص١٣٠-١٣١.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 87.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٤١.

(٥) توفي بسجن الإسكندرية بعد أن اعتقله السلطان برقوق سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص٩٧٥.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أعداد المماليك السلطانية فقد اختلفت من وقت لآخر كغيرهم من عناصر الجيش المملوكي، غير أنهم بصفة عامة كانوا أقل عدداً في دولة المماليك الثانية عنهم في دولة المماليك الأولى، فبلغت في فترة حكم السلطان برقوق نحو خمسة آلاف إلى ستة آلاف مملوك[١]، وقل هذا العدد في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق[٢].

ب- **مماليك الأمراء:**

وتأتي فرقة المماليك الأمراء في المرتبة الثانية في الجيش، ويطلق عليهم أجناد الأمراء أو مماليك الأمراء، وهم يتبعون لأمرائهم الذين يتولون الإنفاق عليهم وتجهيزهم والاشتراك بهم في القتال والحملات العسكرية إلى جانب السلطان[٣]، ويمتلك الأمير من المماليك ما تسمح به رتبته العسكرية وثروته وقوته في الدولة[٤]. ويذكر ابن شاهين (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م): «أن عدد مماليك الأمراء في مصر ثلاثة آلاف مملوك، وفي دمشق ثلاثة آلاف مملوك، وفي كل من حلب وطرابلس وصفد وغزة ألف مملوك»[٥]. وهذا يشير إلى عدم التزام الأمراء باقتناء العدد المسموح به من المماليك الذي تنص عليه رتبتهم العسكرية[٦]. فعلى سبيل المثال يستطيع أمير مائة تقدمة ألف أن يمتلك مئة مملوك كحد أدنى، يشتريهم من أمواله الخاصة. أما الحد الأعلى لامتلاك الأمراء للمماليك فكان مرتبطاً بالأوضاع السياسية في الدولة، وقوة الأمراء وثرائهم[٧]. فالسلطان الظاهر برقوق كان يخشى الأمير يلبغا الناصري لمعرفته بقوته وكثرة مماليكه وقدرته على تهديده ومنافسته على

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٣٨. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٩٥. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٨٨.

(٢) إبراهيم طرخان، المماليك الجراكسة، ص٢٢٦.

(٣) Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 85.
Ayalon, The system of payment in Mamluk, p. 44.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦١-٦٢.

(٥) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٤.

(٦) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص١٥٤.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلطة[١]. وعندما استكثر الأمير الطنبغا الجوباني نائب دمشق من شراء المماليك واستخدامهم سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م اعتقله السلطان برقوق وسجنه بالإسكندرية لأنه أعلن العصيان على السلطان وضرب حاجب حجاب دمشق[٢].

واهتم الأمراء بتربية مماليكهم، وعززوا ولاء هؤلاء المماليك لهم بإغداق الأموال عليهم. فالسلطان برقوق عندما عرض المماليك الأشرفية -مماليك الأشرف شعبان- سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وعزلهم عن وظائفهم، وقطع رواتبهم، وعين عوضهم من مماليكه الذين اشتراهم ورباهم؛ علل ذلك بأنهم قد خانوا أستاذهم الملك الأشرف، وأعانوا على قتله بشيء يسير أخذوه من المال، بعدما عاشوا في نعمته دهراً طويلاً. «فلا خير فيهم»[٣].

ج- أجناد الحلقة:

تعد فرقة أجناد الحلقة من أهم فرق الجيش، وقد أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي، وتميزت عن غيرها من الفرق العسكرية الأخرى من حيث المكانة الاجتماعية والعسكرية في الدولة، وكانت في بعض الأحيان مساوية للمماليك السلطانية من حيث المكانة العسكرية[٤]. غير أن هذه الفرقة أخذت بالتراجع في فترة حكم دولة المماليك الثانية وأصبحت أقل فرق الجيش أهمية[٥]، بسبب دخول عناصر من غير الجند من المتعممين وغيرهم بواسطة النزول عن الإقطاعات[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٩.

(٤) Ayalon, The system of payment in Mamluk, p. 45.

(٥) Ayalon, The system of payment in Mamluk, p. 45.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٦. وأحمد صادق، تاريخ مصر، ص٤٠٦. وكرافولسكي، العرب وإيران، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالسلطان الظاهر برقوق اعتمد على أجناد الحلقة كقوة ثانوية إلى جانب المماليك السلطانية في صد هجمات تيمورلنك على بلاد الشام سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م. فقد اختار نحو ثلاثمائة فارس لمساعدة الأمير سودون المظفري[١] نائب حلب[٢]. وعندما زاد تهديد تيمورلنك لبلاد الشام سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م عرض أجناد الحلقة لاختيار عدد منهم للسفر لقتال تيمورلنك، وأجبر أصحاب الإقطاعات الكبيرة من أجناد الحلقة على السفر[٣]. وفي ربيع الآخر من السنة نفسها عرض السلطان برقوق أجناد الحلقة الذين عينوا للسفر، واختار منهم نحو أربعمائة فارس للسفر معه، وعندما عرض رأس نوبة أجناد الحلقة مرة أخرى، اختار منهم نحو مائتي فارس وترك عدداً آخر في القاهرة لحمايتها[٤].

وتقدر أعداد أجناد الحلقة في مصر بنحو أربعة وعشرين ألف جندي موزعين على الأمراء مقدمي الألوف لكل أمير ألف جندي. وفي دمشق اثنا عشر ألف، وحلب ستة آلاف، وفي طرابلس وصفد وغزة ألف جندي مهمتهم الرئيسية الحفاظ على القلاع[٥].

٥- الرتب العسكرية:

اقتبست دولة المماليك نظام رتبها العسكرية عن المغول الذين قسموا رتبهم إلى أمراء ألوف وأمراء مائة. وأمراء عشرات[٦]، وقسمت دولة المماليك رتبها العسكرية إلى أربعة أقسام رئيسية هي إمرة مائة تقدمة ألف، وإمرة طبلخاناة، وإمرة عشرة، وإمرة خمسة. واستمر هذا التقسيم طوال فترة حكم دولة المماليك الأولى والثانية وجزء من فترة حكم الدولة العثمانية.

---

(١) من مماليك الأمير قطلوبُغا المظفري. تولى عدة وظائف أثناء حكم السلطان برقوق أهمها: نائب حماة، ونائب حلب، وأتابك حلب. قتل سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٨٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٦٨.

(٢) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٨٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٧.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٠٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٢.

(٥) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٤-١٠٥.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- إمرة مائة تقدمة ألف:

تعد رتبة إمرة مائة وتقدمة ألف من أعلى الرتب العسكرية في دولة المماليك. ويسمى أصحاب هذه الرتبة أمراء المئين مقدمي الألوف. ويكون في خدمته مائة مملوك، وربما زاد الواحد عشرة أو عشرين مملوك، ويتقدم صاحب هذه الرتبة على ألف جندي من أجناد الحلقة في أوقات الحرب[١]. ويتميز أمراء المئين مقدمو الألوف بدق الطبول على أبوابهم وهي عبارة عن أحمال طبلخاناة[٢]، وطبلين كبيرين وزمرين وأربعة أنفرة[٣].

ومن أمراء المئين مقدمي الألوف يختار السلطان كبار موظفي الدولة، كنواب السلطنة في مصر وبلاد الشام[٤]، وأتابك العساكر[٥].

ويلي أتابك العساكر في الرتبة أمير مجلس الذي يتولى حمل سلاح السلطان في القتال، ويشرف على السلاح خاناه، وأمير مجلس، ويتولى الإشراف على مجلس السلطان والأطباء والكحالين (أطباء العيون)، وأمير دوادار كبير الذي يبلغ الرسائل عن السلطان، وأمير آخور كبير الذي يشرف على الإسطبلات السلطانية. ورأس نوبة النوب- وكانت قبل ذلك أقل رفعة من الحجوبية[٦]، وحاجب الحجاب وهي من الوظائف التي طرأ عليها التغيرات في فترة حكم السلطان برقوق،

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٥. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤. وليون الإفريقي، وصف أفريقيا، ص٦٠٣. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٠٤.

(٢) مجموعة طبول وأبواق ومزامير مختلفة الأصوات تدق في القلعة ووقت القتال. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨-٩.

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣.

(٤) المصدر ذاته، ص١١٣. والقلشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١١٥.

(٦) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٥أ. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصبح في الدولة خمسة حجاب بدلاً من أربعة حجاب[١]. وشاد الشراب خاناه الذي يتولى الإشراف على أطعمة وأشربة السلطان[٢]، وأمير جاندار الذي يستأذن على دخول الأمراء للخدمة عند السلطان، ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر، وينفذ أمر السلطان في تعزير أو قتل أحد الأمراء المماليك، والمسؤول عن الزردخاناة[٣]. ورأس نوبة الأمراء، الذي كان له الأمر والنهي على المماليك السلطانية والبالغ عددهم أربعة أمراء: واحد مقدم ألف، وثلاثة طبلخاناة[٤].

واختلفت أعداد من يحملون رتبة أمير مائة تقدمة ألف من وقت إلى آخر، فقد بلغت في فترة حكم دولة المماليك الأولى الأتراك أربع وعشرين أميراً في حين خُفض العدد في فترة حكم السلطان الظاهر برقوق إلى ١٨ أو ٢٠[٥] أميراً بسبب تخصيص السلطان برقوق عدة إقطاعات لديوان المفرد الذي يتولى صرف رواتب ومخصصات مماليكه المشتروات[٦].

أما في نيابات بلاد الشام، فقد بلغت أعداد أمراء المئين كالتالي: دمشق ١٢ أميراً، وحلب ما بين ٣ - ٦ أمراء، وطرابلس وحماة ٢ أمير. والإسكندرية ٣ أمراء[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٢٣-٣٢٤. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١١٩.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٥.

(٣) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٠-٢١.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١١٨-١١٩.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢ب. وانظر كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٤٢.

(٦) ابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢١.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 86.

(٧) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٢-١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد امتازت رتبة أمراء المئين مقدمي الألوف في فترة حكم السلطان برقوق باستقرار نسبي، ولم يطرأ على هذه الرتبة سوى تطورات وتغيرات ضئيلة جداً؛ كارتفاع عدد الحجاب من ثلاثة حجاب إلى خمسة حجاب. وانخفاض أعداد من يحملون رتبة أمير مائة تقدمة ألف إلى ١٨ - ٢٠ أميراً.

ب- إمرة طبلخاناة:

وتأتي في الدرجة الثانية من حيث الرتبة، إذ يكون تحت إمرة طبلخاناة أربعون فارساً كحد أدنى، ويندرج تحت رتبة أمير طبلخاناة من تأمّر ستين أو سبعين أو ثمانين فارساً[١]. ولا تكون هذه الرتبة لأقل من أربعين فارساً[٢].

وأطلق مصطلح إمرة طبلخاناة على أصحاب هذه الرتبة من الأمراء، لأحقيتهم في دق الطبول أمام بيوتهم[٣]. إذ يدق أمام بيت كل أمير طبلخاناة ثلاثة أحمال طبلخاناة ومزماران، ثم صارت طبلين وزمرين[٤].

ومن أمراء الطبلخاناة تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشاف، وولاة الأعمال وأكابر الولاة في مصر[٥] مثل دوادار ثان، أمير آخور ثاني، ورأس نوبة ثاني، وحاجب ثان، وخازندار ثان فضلاً عن شاد الشراب خاناه، وأمير جاندار[٦]، ومقدم المماليك والزردكاش[٧]، وأمير شكار، ونائب القلعة في القاهرة وغيرها[٨].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٥. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٣ ب.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص١٥. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٠٨.

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٠٨.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

(٦) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٤.

(٧) الزردكاش: الذين يصنعون الأسلحة. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢٢.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١، ٢٣، ٢٦، ٢٧. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٧ب، ١٢٨أ. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أعداد أمراء الطبلخاناة فقد تراوحت بين الزيادة والنقص[١]، فقد تراوحت أعدادهم في مصر أربعين أميراً. في خدمة كل أمير من أصحاب هذه الرتبة أربعون فارساً[٢]. أما نيابات بلاد الشام فهي كالتالي: ٢٠ أميراً في دمشق، ١٠ أمراء في حلب، ١٠ أمراء في طرابلس، ٤ أمراء في حماة[٣]. وفي صفد ٣ أمراء، وفي غزة ٢ أمير[٤].

جـ- إمرة عشرة:

وهي الرتبة الثالثة في جيش دولة المماليك ويكون في خدمة صاحب هذه الرتبة عشرة فرسان من المماليك، وربما كان منهم من له عشرون فارساً، ويعتبر من أمراء العشرات[٥].

ومن أمراء هذه الرتبة يكون موظفو الطبقة الثالثة في دولة المماليك، مثل دوادار ثالث، وأمير آخور ثالث، ورأس نوبة ثالث، والحاجب الثالث، واستدار الصحبة، وسبعة حجاب، وعشرة رؤوس نوبة[٦].

وليس ثمة ضابط لعدد أفراد أمراء هذه الفئة، بل تتفاوت زيادة ونقصاناً كما في أمراء الطبلخاناة[٧]. أما في نيابات بلاد الشام فقد تراوحت أعداد أمراء

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٥. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٣ ب.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣.

(٣) المصدر ذاته، ص١٣١-١٣٤.

(٤) المصدر ذاته، ص١٣٢-١٣٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.
Ayalon, The system of payment in Mamluk, p. 46.

(٦) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٥.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العشرات والعشرينات[١] كما يلي: دمشق ٦٠ أميراً، حلب ٢٠ أميراً، طرابلس ٣٠ أميراً، حماة ٢٠ أميراً. وفي مصر ٥٠ أميراً، وفي الإسكندرية ٢٠ أميراً مع أمراء العشرات والخمسات[٢].

د- إمرة خمسة:

وهي الرتبة الرابعة في جيش دولة المماليك، وينبغي أن يكون في خدمة صاحب هذه الرتبة خمسة مماليك. وأعداد الأمراء الذين يحملون هذه الرتبة في مصر قليلة جداً، وغالبيتهم من أولاد الأمراء المتوفين. وذلك رعاية لسلفهم[٣].

ومن أصحاب هذه الرتبة يكون صفار الولاة وموظفي الدولة، مثل: نقيب الجيش، الذي يشرف على عرض الجند وإحضار من يطلب منهم، والنظر نيابة عن السلطان في الخصوم، وأمير طبر الذي يشرف على فئة الطبردارية من المماليك السلطانية، وأمير علم الذي يشرف على الطبول السلطانية، وأمير مشوى الذي يشرف على ما يشوى من اللحم والطيور للسلطان، وأمير منزل الذي يشرف على الفراشين، والخازن الذي يشرف على الأشربة من السكر والحلوى، وحمل سجادة الصلاة وفرشها للسلطان وقت الصلاة[٤].

أما أعداد أفراد هذه الرتبة فهي كالتالي: في مصر ٣٠ أميراً[٥]، وفي نيابات بلاد الشام ٦٠ أميراً، يضاف إليها أمراء العشرات[٦].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٥-٢١٦. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٣ب.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣١-١٣.
Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p.p. 86-87.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٠٨.

(٤) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٩ أ. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٣٤-١٣٥.

(٥) إبراهيم طرخان، المماليك الجراكسة، ص٣٣٢. والباز العريني، المماليك، ص١٤٠. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٨.

(٦) الباز العريني، المماليك، ص١٣٩. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح من خلال تتبع دراسة تطور الرتب العسكرية في دولة المماليك عدم إحداث أي تغير على الرتب العسكرية طوال فترة حكم دولة المماليك الثانية.

٦- نظام الترقية والتقاعد.

أ- الترقية:

يخضع نظام ترقية المماليك في وظائف الدولة وما يتبعها من الانتقال من رتبة إلى أخرى لاعتبارات مختلفة. ويستفاد من تتبع دراسة ترقية أمراء السلطان برقوق أن التدرج الطبيعي في الرتب من اعتبارات الترقية، وتبدأ من إمرة خمسة وفيها يكون المملوك قد قضى قبلها مدة في الطباق، حيث يتلقى التدريب على الفروسية والرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل على يد مقدم المماليك فضلاً عن تعلم الفقه والأدب والحشمة. فإذا بلغ المملوك سن البلوغ أعتقه السلطان، ومنحه خيلاً وقماشاً وإقطاعاً. ثم يبدأ المملوك بالترقية من رتبة إلى أخرى حسب سلم الرتب العسكرية في الدولة (من إمرة خمسة إلى إمرة عشرة، ثم إمرة طبلخاناة، ثم إمرة مائة تقدمة ألف) وربما يتمكن من الوصول إلى السلطنة[١].

ويشترك المماليك السلطانية ومماليك الأمراء في الترقية إلى رتب الإمرة. غير أن المماليك السلطانية أسرع في الترقية من مماليك الأمراء لقرب المماليك السلطانية من السلطان. وتعد المماليك الخاصكية أسرع فئات المماليك السلطانية ترقية[٢].

---

(١) إبراهيم طرخان، المماليك الجراكسة، ص٣٣٢. والباز العريني، المماليك، ص١٤٠. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٨.

(٢) الباز العريني، المماليك، ص١٣٩. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثيراً من السلاطين الذين لم يرثوا السلطة عن آبائهم، جاؤوا عن هذا الطريق، ومثال ذلك المؤيد شيخ المحمودي الجركسي[١] الذي تولى السلطنة سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، فقد اشتراه السلطان برقوق من التاجر الخواجا محمود شاه الجركسي بمبلغ ٣٠٠٠ درهم، ورقاه إلى رتبة أمير خمسة، وجعله في خدمته، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة، ثم إمرة طبلخاناة، وعينه بوظيفة رأس نوبة، وصار من أمراء الألوف، وولي نيابة السلطنة في طرابلس، والشام، وبعد وفاة السلطان الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م اشترك في قتال السلطان الناصر فرج بن برقوق إلى أن قتل. وقدم المؤيد شيخ بعد مقتل الناصر فرج صحبة الخليفة المستعين بالله من دمشق إلى مصر، وفوض إليه الخليفة جميع أمور الدولة «من ولاية وعزل وأخذ وعطاء» ثم تولى السلطنة سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م[٢].

ومن الأمراء المشهورين الأمير برسباي[٣] الذي بعثه الأمير دقماق نائب ملطية هدية للسلطان برقوق الذي أنزله بالطباق من القلعة حتى بلغ سن البلوغ، وأعتقه وأخرج له خيلاً وقماشاً، وأصبح من المماليك الجمدارية[٤]، ثم من المماليك الخاصكية. وبعد أن انضم إلى الأمير نوروز الحافظي[٥] والأمير المؤيد شيخ في قتال السلطان الناصر فرج، وقتله، وتولي المؤيد شيخ السلطنة، أنعم عليه السلطان المؤيد بإمرة عشرة، ثم بإمرة طبلخاناة، ثم بإمرة مائة تقدمة ألف، وتولى عدة مناصب مثل كاشف الجسور، ونيابة طرابلس. وعندما قام بعض الأمراء بالثورة

---

(١) أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م). ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٥٩. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص١٦٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٢٤٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤. حياة الحجي، المؤيد شيخ، ص١٠-١١.

(٣) برسباي بن عبد الله أخذ صغيراً من بلاد الجركس (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م). ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٨٨-١٨٩. والنهروالي، الأعلام في بيت الله الحرام، ص١٣٩. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٥٤.

(٤) مجموعة من المماليك تسير أمام السلطان في المواكب. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٤.

(٥) قتل على يد المؤيد شيخ سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م) أصله من مماليك السلطان برقوق. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م في نيابة طرابلس غضب السلطان عليه وسجنه مدة طويلة، ثم أطلق سراحه وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق؛ فلما توفي السلطان ططر، وتولى إبنه الصالح السلطنة سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م خلع الأمير برسباي الصالح من السلطنة سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م وتولى السلطنة مكانه[١].

وأما الأمير جقمق، فقد سبي صغيراً من بلاد الجركس، وجلبه التاجر الخواجا كَزْل، واشتراه منه العلاي علي بن الأتابك إينال اليوسفي، وأهداه إلى السلطان برقوق، فأنزله بالطبقة وصار من المماليك السلطانية، ثم من الخاصكية. وفي فترة حكم السلطان الناصر فرج قبض عليه وسجنه حتى تولى المؤيد شيخ السلطنة وأمر بالإفراج عنه وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناة. وعندما تولى الأمير ططر السلطنة أنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف. وفي فترة حكم السلطان برسباي تولى عدة وظائف كحاجب الحجاب، وأمير آخور، وأمير سلاح. وفي أواخر حكم السلطان برسباي تولى منصب أتابك العساكر، وأصبح نظام الملك[٢] للسلطان العزيز بن برسباي بسبب صغر سن الأخير، ثم عزله وتولى السلطنة مكانه[٣].

والإعتبار الثاني للترقية الانتقال السريع من رتبة إلى أخرى دفعة واحدة كالانتقال من رتبة جندي إلى رتبة أمير مائة تقدمة ألف. ويعد السلطان الظاهر برقوق من المماليك الذين ارتقوا بهذه الطريقة، إذ ارتقى من الجندية إلى إمرة طبلخاناة دفعة واحدة لاشتراكه في الثورة ضد السلطان الأشرف شعبان، دون الانتقال إلى رتبة إمرة خمسة ثم إمرة عشرة[٤].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٨٢-٥٨. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٨١-٨٢. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٥٥.

(٢) نظام الملك من الألقاب التي تطلق على كبار أمراء الدولة مثل الوزير وكاتب السر، وأتابك العساكر. ويقصد بذلك أنه يكون به انتظام الدولة والتئامها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٣٣. والبقلي، مصطلحات صبح الأعشى، ص٣٤٨.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٩٩-٢٠٠. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٦٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٦-٤٧٧. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٨٦. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما استولى الأمير منطاش على الحكم سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م ارتقى الأمير إبراهيم بن قطلقتمر من إمرة عشرة إلى رتبة أمير مائة دفعة واحدة[١]. كما أنعم على عدة من أمراء بلاد الشام بإمرة مائة دون المرور بإمرة عشرة. وأنعم على الأمير أينبك بإمرة طبلخاناة دفعة واحدة، ثم رقاه إلى إمرة مائة تقدمة ألف[٢]. لوقوفهم إلى جانبه في الثورة ضد السلطان برقوق.

ومن الاعتبارات الأخرى التي لها أهمية في الترقية أيضاً ما يرتبط به المماليك معاً من صلات الزمالة في الرق والعتق والعمل والخدمة. ويطلق على هؤلاء المماليك الخشداش أو الخشداشية إذ يعمل السلطان على ترقية مماليكه الذين ساعدوه في الوصول إلى السلطنة بدلاً من مماليك السلطان المعزول أو الذين قتلوا. ويوزع عليهم الإمرة والإقطاعات والوظائف المختلفة[٣]. فالأمير كمشبغا بن عبد الله الحموي لم يصل إلى وظيفة أتابك العساكر في مصر أثناء حكم السلطان برقوق إلا لكونه خشداشة. فكلاهما كان مملوكاً للأمير يلبغا العمري أتابك العساكر في سلطنة الأشرف حسين بن شعبان[٤]. وترقى مأمور بن عبد الله القلمطاوي إلى إمرة مائة تقدمة ألف في مصر لأنه خشداش السلطان برقوق كذلك[٥].

وثمة اعتبار آخر يتم فيه الترقية كالفتن والثورات بعد موت أو قتل أوسجن عدد من الأمراء؛ وما ينتج عن ذلك من وجود إمريات شاغرة في الدولة. ففي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م رقى السلطان برقوق الأمير أحمد بن هُمز التركماني

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٣.

(٢) المصدر ذاته، ج١١، ص٢٢٣.

(٣) الباز العريني، المماليك، ص٥٩. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٥٩.

(٤) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٥٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٧.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى رتبة أمير طبلخاناة عوضاً عن الأمير علي بن الأمير منجك بسبب وفاته[١]. ورقى عدد آخر من الأمراء إلى رتبة إمرة مائة تقدمة ألف عوضاً عمن قتل أو سجن من الأمراء في بلاد الشام بعد ثورة يلبغا الناصري سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[٢].

ورغم ذلك فإن رتب بعض الأمراء توقفت عند حد معين، كالأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله التمان تمري[٣]، وأحد الأمراء المقربين من السلطان برقوق وندمائه. واستنكر ابن تغري بردي على السلطان برقوق في عدم ترقيته، وعلل ذلك مشككاً، «ولعله كان راضياً بما هو فيه»[٤]. وربما بسبب عدم قدرته على تحمل أعباء الخدمة العسكرية لقربه من بلاط السلطان ومنادمته له.

أما عدد السنوات التي يقضيها المملوك لارتقائه من رتبة إلى أخرى، فغير محدودة. فمثلاً بعد أن أتم المؤيد شيخ تعليمه بالطباق، وأخرج له السلطان برقوق خيلاً وقماشاً، وجعله من المماليك الجمدارية، ثم نقله بعد مدة قصيرة إلى الخاصكية وبعد مدة أخرى أصبح ساقياً، وصارت له مكانة عند السلطان برقوق. ثم صار أمير عشرة سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م، ثم أمير عشرين ثم أمير أربعين وبذلك أصبح أمير طبلخاناة. ولما تعين الأمير أيتمش البجاسي للوصاية على السلطنة بعد وفاة السلطان برقوق، أعطي للأمير شيخ سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م إمرة مائة تقدمة ألف، وهي أعلى الرتب العسكرية في دولة المماليك. وهذا يعني أن الأمير شيخ المحمودي استغرق في سلم الرتب العسكرية المملوكية بعد تأميره نحو ثماني سنوات[٥].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٠١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٠٠.

(٣) الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله التمان تمري، وهو من أول الأمر إلى آخره كان إلى جانب السلطان برقوق ومن ندمائه (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥٦. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٨٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥٦.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٢٤٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- التقاعد:

لفظة التقاعد من الألفاظ التي لم تكن تستخدم في دولة المماليك الأولى أو الثانية، وهي لفظة حديثة. ولكن هناك عدة ألفاظ استخدمت في دولة المماليك للدلالة على التقاعد من الجيش مثل (الطرخان) وهي لفظ تركي أطلقه المغول على الأشخاص الذين يعفون من الخدمة في الجيش[١]. كما أطلقت لفظة (بطال) على الأشخاص الذين أعفوا من الخدمة العسكرية وأخرجت عنهم إقطاعاتهم ووظائفهم لسبب من الأسباب[٢]. كما أطلقت لفظة (تعطل عن الخدمة) للدلالة على التقاعد من الخدمة العسكرية. ذكر المقريزي قال: «وفي سنة خمس وسبعين وسبعمائة، استقر الأمير تلكتمر حاجب الحجاب مدة لطيفة، ثم تعطل ولزم داره، حتى مات في حادي عشرين ربيع الآخر»، سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م[٣].

والتقاعد عن الخدمة في الجيش لم يحدد بفترة زمنية وإنما يخضع لاعتبارات مختلفة مثل: عدم القدرة على مواصلة الخدمة بسبب المرض أو كبر السن، والنفي، والاعتقال، أو بناءً على طلب الأمير نفسه. ويترتب على الأمير في مثل هذه الحالة أن يلزم بيته حتى يرتب له السلطان ما يمكنه من العيش حياة كريمة من مال أو إقطاع. وفي مثل هذه الظروف يكتب السلطان لهؤلاء الأمراء مكاتبه تسمى بالطرخانيات أو (الطرخانية) وهي: «أن يصير الشخص مسموحاً له بالخِدَم السلطانية: يُقيم حيث شاء، ويرحل متى شاء: تارة بمعلوم يتناوله مجاناً، وتارة بغير معلوم». وتتضمن هذه الطرخانية أن يقيم الأمير أو المملوك حيث يشاء في بلاد السلطنة حسب ما تقتضيه المراسيم الشريفة، على أن يضاعف للأمير الإحسان، ويعامل بوافر البر وجزيل الامتنان، ولا يطلب للخدمة في الليل أو النهار[٤].

---

(١) Poliak, The infkuence of Chigizkan's Yasa, p.p. 862-876.

(٢) إبراهيم طرخان، النظام الإقطاعي، ص٤٧٣-٤٧٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٢٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٥١.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص٥١-٥٥. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ٢٩٥ أ، ب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م طلب الأمير سودون الشيخوني نائب السلطنة من السلطان برقوق إعفاءه من منصبه كنائب للسلطنة بسبب كبر السن والمرض وعدم القدرة على القيام بمهامه. فأعفاه السلطان ولزم بيته بعد أن رتب له طرخانية[١]. كما استعفى الأمير شهاب الدين أحمد بن يوسف الدين الحاج آل ملك من الخدمة سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م ولبس عباءة، واكتفى بالعيش بما يتحصل له من أوقاف أبيه (الأوقاف الذرية) حتى توفي في العام نفسه[٢]. كما استعفى الأمير سيف الدين تلكتمر[٣] من منصبه ولزم بيته حتى توفي[٤]، وكذلك الأمير شيخ الصفوي[٥] الذي استعفى من نيابة السلطنة في غزة، وطلب الإقامة في القدس، ورتب له السلطان برقوق نصف قرية بيت لحم ونصف قرية بيت جاله[٦] ليعيش حياة كريمة[٧].

وهناك اعتبارات أخرى للتقاعد وهي إجبار السلطان بعض الأمراء على ترك الخدمة العسكرية (التقاعد الإجباري) لفتح شواغر جديدة لأمرائه المقربين. فالسلطان برقوق عندما تولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م عرض المماليك السلطانية، وأجبر خمسة منهم على ترك الخدمة العسكرية، وجعلهم طرخانة،

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٩٩-٤٠٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٢٧. وابن حبيب، درة الأسلاك، ورقة ١٨٦ أ.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٥٤-٧٥٥.

(٣) الأمير سيف الدين تلكتمر، تولى عدة وظائف في دولة المماليك مثل رأس نوبة، وأمير مجلس، واستدار، واستقر حاجب الحجاب في فترة حكم السلطان برقوق (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م). المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٢٨.

(٥) يذكر ابن إياس أن أمره انتهى إلى الخراب بعد أن اشتغل باللهو عن النظر في أحوال المملكة. بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٥٩.

(٦) بيت جاله: أحد القرى الفلسطينية الواقعة بالقرب من بيت لحم وعين كارم. جورج بدران، أطلس العالم، ص٦١، خريطة رقم ٤.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرسل البقية إلى الأمير سودون الشيخوني نائب السلطنة، وعين عدداً من أصحاب الإقطاعات الكبيرة مقدمين في أجناد الحلقة، وجعل عدداً آخر من جملة أجناد الحلقة. «وطلب أسماء من قبض من المماليك الأشرفية البالغ عددهم عشرة آلاف مملوك، فوجد من بقي منهم خمسمائة مملوك، منهم أربعمائة مملوك بأيديهم إقطاعات من الحلقة، ومئة مملوك لهم جوامك (رواتب)، فأمر السلطان أن يلتزم الأربعمائة مملوك أصحاب الإقطاعات في الحلقة دورهم وأكل إقطاعاتهم» وقطع جوامك مئة مملوك وعين بدلاً منهم من مماليكه المشتروات[١]. وبذلك تمكن السلطان برقوق من التخلص من العناصر غير القادرة على الخدمة العسكرية وتوفير إقطاعات جديدة لأمرائه ومماليكه؛ وتعيين عناصر جديدة من مماليكه في الوظائف الهامة في الدولة.

ويشكل النفي والاعتقال اعتباراً آخر للتقاعد في دولة المماليك الثانية؛ ولا سيما في أثناء الاضطرابات السياسية للتخلص من المناوئين لحكم السلطان. ففي سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م نفى السلطان برقوق الأمير يلبغا الصغير الخازندار وسبعة مماليك إلى بلاد الشام بطالين بسبب إثارة الفتن[٢]. ونفى الوالي بكتمر إلى بلاد الشام في العام نفسه[٣]، والأمير طبج المحمدي أحد أمراء الألوف[٤]، والأمير بلوط الصُرغتمشي نائب الإسكندرية[٥]. وفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م قبض على ستة عشر مملوكاً من مماليك الأمير الكبير أيتمش ونفاهم إلى بلاد الشام وتتبع من بقي من المماليك الأشرفية ونفاهم من مصر[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٩.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥١٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٧.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٢١٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٧.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٢٦.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٣٠.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥١٢، ٥٢٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أماكن إقامة المتقاعدين من الجيش؛ فكانت موزعة في مناطق مختلفة من السلطنة، كدمشق[١]، والكرك[٢]، وصفد[٣]، والقدس[٤]، والإسكندرية[٥]، والصعيد[٦]، فضلاً عن بيت الأمير المتقاعد نفسه[٧]. أينما كان.

وهناك نوعان من التقاعد: الأول تقاعد دائم، يظل فيه الأمير متقاعداً عن الخدمة حتى الوفاة. كالأمير شهاب الدين أحمد بن سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار (ت ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)[٨]. والأمير سيف الدين العلائي أمير آخور (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) في منفاه بالقدس[٩]. والأمير سودون الشيخوني نائب السلطنة (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩٥م)[١٠]. والنوع الآخر تقاعد مؤقت، إذ يمكن للأمير المتقاعد من العودة إلى الخدمة العسكرية مرة ثانية إذا اقتضت الحاجة إليه. فقد استعان السلطان برقوق بالأمراء والمماليك البطالين في قتال الأمير منطاش[١١]. وحين زاد خطر تيمورلنك على بلاد الشام استعان بمن يثق بهم من الأمراء والمماليك

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣٠.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٤١.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٩١٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٧١.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٧٣٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٦.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٧٣٦.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص٤٨.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٥٤-٧٥٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٢٣.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣٩.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٦٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠٠، ٤٤٣. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣١٥.

(١٠) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٠٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥١.

(١١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البطالين[١]. كما أعاد الأمير اشتقمر المارديني إلى نيابة الشام بعد أن كان يقيم بالقدس بطالاً[٢]. وفي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أفرج السلطان برقوق عن الأمير اسنبغا السيفي وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة[٣]. بعد أن زالت الإمرة عنه بسبب سجنه.

يلاحظ من تتبع تطور نظام التقاعد في دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق عدة أمور:

١- أن التقاعد في دولة المماليك يخضع إلى اعتبارات غير ثابتة قد تتغير في أي وقت حسب مزاج السلطان.

٢- عدم تحديد فترة زمنية للتقاعد.

٣- يشكل التقاعد الإجباري أغلب الاعتبارات شيوعاً في الدولة. للتخلص من العناصر غير المرغوب فيها في الجيش.

٤- السماح للأمير أو المملوك المتقاعد من العودة إلى الخدمة العسكرية حسب رغبة السلطان ومقتضيات الظروف السياسية.

٥- كان السلطان يرتب للأمير أو المملوك المتقاعد مورداً معيناً، يمكنه من العيش حياة كريمة حتى لا يضطر إلى المشاركة إلى جانب الخارجين عن طاعة السلطان في سبيل الحصول على ما يكفيه للعيش.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٨٥.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٨٧. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٦٥.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٠٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- مخصصات الجيش:

كان الجيش في دولة المماليك يتقاضى ثلاثة أنواع من المخصصات وهي: الإقطاعات، والمخصصات النقدية مثل نفقة البيعة (أو السلطنة)، ونفقة السفر (أو الحرب)، والرواتب الشهرية (الجوامك). ومخصصات عينية كالخيول والجمال والقماش والسلاح واللحم.

ويعد الإقطاع من أهم أنواع المرتبات التي يتقاضاها أفراد الجيش في دولة المماليك، فقد جرت العادة أن توزع الأراضي إلى إقطاعات بين السلطان وأمراء المماليك وأجنادهم. وهو نظام موروث من الدولة الأيوبية[١]. ويذكر المقريزي: «وأما ما كانت عليه أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا، فإن أراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه»[٢]. وقسمت أراضي مصر بموجب النظام الإقطاعي الأيوبي إلى أربعة وعشرين قيراطاً، واختص السلطان منها بأربعة قراريط، وعشرة للأمراء، وعشرة لأجناد الحلقة[٣]، واستمر المماليك يعملون بهذا النظام حتى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٦٧م عندما راك السلطان لاجين أول روك شامل لأراضي مصر، عندما أثيرت مشكلة أخذ الأمراء ناتج إقطاعاتهم دون إعطاء مماليكهم حصة منها[٤].

وجاء تعديل السلطان لاجين لأراضي مصر مجحفاً بحق الجيش، إذ جعل للجيش بأكمله أربعة عشر قيراطاً، وللسلطان أربعة قراريط وجعل لمن عساه

---

(١) إبراهيم طرخان، المماليك الجراكسة، ص٢١٥. وقاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٢٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٥٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٨٤٢. وإبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص٩٦.

(٤) الباز العريني، ص١٧٢-١٧٣. وسعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضرر من الأمراء والجند من قلة ناتج إقطاعه قيراطاً، وجعل للمماليك السلطانية تسعة قراريط[١]. فكان هذا التوزيع سبباً كبيراً في إضعاف قوة الجيش في مصر وتراجعه[٢].

وفي سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م راك السلطان الناصر محمد بن قلاوون أرض مصر الروك الثاني، بسبب استكثاره إقطاعات المماليك من أصحاب الأمير بيبرس الجاشنكير والمماليك البرجية (الجراكسة)[٣]. وألغى عدة مكوس كانت مقطعة للأمراء والمماليك، واقتصر الإقطاع على الأراضي[٤].

وقسمت الأراضي الإقطاعية إلى ثلاثة أقسام رئيسية من حيث الري والخصوبة ووفرة الإنتاج: القسم الأول، أجود الأراضي الإقطاعية إنتاجاً ويختص بها السلطان وكبار الأمراء على قدر مكانتهم ورتبهم. وتراوحت حصة الأمير من الأراضي المقطعة ما بين بلد واحد وعشرة بلاد. ويطلق على هذا النوع من الأراضي (البلاد النفيسة المتحصل). والقسم الثاني الأراضي متوسطة الجودة، وتقطع لفئة المماليك السلطانية إذ يشترك اثنان أو أكثر في بلد، ومنهم من ينفرد ببلد واحد. والقسم الثالث ما يقطع لفئة أجناد الحلقة والعربان والتركمان[٥].

وثمة مناسبات مختلفة تجري فيها عملية توزيع الإقطاعات على الأمراء والجند مثل: قيام سلطان جديد في السلطة، يعمل على إعادة توزيع الإقطاعات ما بين منح وزيادة وإنقاص ومناقلة، لمكافئة أمرائه ومماليكه وإبعاد خصومه بغض

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٨٤٢-٨٤٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٢-٩٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٥.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٦.

(٤) إبراهيم طرخان، المماليك الجراكسة، ص٢١٦.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٣-٤٥٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩-٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظر عن القدرة العسكرية[١]. ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م نقل السلطان برقوق إقطاعات المماليك الأشرفية لمماليكه المشتروات[٢]، وأقطع الأمير بوري صهر الأمير أيتمش البجاسي إقطاع الأمير جمال الدين بن عبد الله بن بكتمر الحاجب بسبب وفاته[٣]، ووزع إقطاعات الأمراء المقبوض عليهم سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م على عدد من الأمراء[٤]، ونقل إقطاع الأمير الطنبغا العثماني في السنة نفسها إلى الأمير تمراز الناصري رأس نوبة، ونقل إقطاع الأمير تمراز إلى الأمير شرف الدين موسى بن قماري أمير شكار[٥]. كما منح السلطان برقوق قريبه الأمير قجماس إمرة مائة وتقدمة ألف وما يتبعها من إقطاع دون استحقاق «وهو غتمي لا يحسن التلفظ بالشهادتين» فكان موظفو ديوانه يدخلون عليه والفقيه يعلمه الشهادة وقراءة الفاتحة وهو كالتيس بين يديه[٦].

وتعد مناسبة عرض الجيش من أهم المناسبات التي يجري توزيع الإقطاعات فيها. إذ يقوم السلطان باستعراض الجيش أكثر من مرة خلال فترة حكمه لمعرفة القادرين من الأمراء والمماليك على الاستمرار في الخدمة العسكرية والموالين له، وإبعاد العاجزين والمشكوك في ولائهم له، وتوفير إقطاعاتهم على من هم أكثر كفاءة وولاء للسلطان، وتوفير جزء من الإقطاعات لخزينة الدولة. لذلك كان عرض الجيش مناسبة غير محببة للأجناد[٧]. فحين أمر السلطان برقوق بعرض أجناد

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٠٠.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٠٠.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ٥١٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٨.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٨٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٩٤.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤١.

(٦) المصدر ذاته، ج٩، ص٥١-٥٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣١١.

(٧) إبراهيم طرخان، المماليك الجراكسة، ص٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلقة سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٩٧م وتوجهت رسله لمختلف الأقاليم، ودار نقباء أجناد الحلقة على المقيمين في القاهرة، سعى أمراء أجناد الحلقة لدى الشيخ سراج الدين البلقيني والشيخ برهان الدين بن جماعة لإلغاء السلطان برقوق هذا العرض لما يسبب لهم من الضرر، فاقتنع السلطان وأمر بإلغاء هذا العرض[١].

١- المخصصات النقدية:

اعتاد سلاطين المماليك صرف مخصصات مختلفة على جيوشهم، في أوقات غير منتظمة مثل: نفقة البيعة (السلطنة)، ونفقة الحرب (السفر)، والجامكية (الرواتب الشهرية).

١- نفقة البيعة:

عرفت نفقة البيعة في دولة المماليك الأتراك (الأولى) سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٢م) أثناء فترة حكم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، إذ كان يترتب على كل سلطان جديد يتولى منصب السلطنة، أن يثبت قواعد حكمه بتقديم مكافآت لأعيان الدولة وكبارها. ومن هذه المكافآت نفقة البيعة. وهي مقدار من المال ينفقه السلطان الجديد في الجيش حسب فئاتهم ورتبهم العسكرية ومكانتهم عنده، وعلى قدر تحمل الخزينة السلطانية[٢]. وكانت نفقة البيعة تدفع لإرضاء الأمراء والأجناد وأرباب الدولة، وتمكيناً لحاشية السلطان ليجعلهم يلتفون حوله[٣]. واستمرت هذه النفقة بعد ذلك إلى نهاية دولة المماليك. ففي سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م أنفق السلطان الأشرف خليل بن قلاوون على الجيش نفقة البيعة في أول جلوسه في السلطنة[٤]، وكذلك

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج١، ص٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٥٢.

(٢) حسام الناطور، السلطنة، ص١١٨.

(٣) Ayalon, The system of payment in Mamluk, p. 56.

(٤) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعل السلطان الناصر محمد بن قلاوون عندما تولى سلطنته الأولى سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م يقول العيني: «... والسلطان له شروط، أولها: أنه يطلب منك -أي من الوزير ابن السلعوس- أن تنفق على العسكر لأنه سلطان جديد»[١]. وسار على ذلك السلطان كتبغا، عندما تولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[٢]، والسلطان لاجين سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م[٣]، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون حين تولى السلطنة مرة ثانية سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م[٤].

واستمرت نفقة البيعة في دولة المماليك الجراكسة الثانية. ففي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وزع السلطان برقوق نفقة البيعة لأول مرة على مختلف فئات الجيش في الدولة دون استثناء، فكان لكل مملوك مئة دينار ذهباً[٥]. وعندما عُزل السلطان أمير حاجي عن السلطنة، وتمكن من العودة إليها ثانية وذلك في سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م وزع النفقة بأسلوب يختلف عما كان عليه في سلطنته الأولى، حيث اقتصر في توزيعها على خمسمائة مملوك، بسبب عدم قدرة الخزينة السلطانية تحمل جميع نفقات المماليك، فأعطى لكل مملوك ألفا درهم فضة[٦]، وقد بلغ عدد المماليك ٢٤٠٠٠ مملوك و٢٤ أمير برتبة أمير مائة تقدمة ألف[٧]، فبلغت النفقة على الأمراء والمماليك ١٠٠٠٠٠٠ (مليون) درهم فضة[٨]. واستمرت نفقة البيعة في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق والفترات التالية لحكمه. ففي

(١) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٢٣١.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٣١٥.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٥٢.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ص٤٥٢. تعرض العيني لنفقة البيعة في دولة المماليك الأولى الأتراك لكنه لم يحدد قيمة النفقة.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٢٢.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٤٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٢٢.

(٧) حسين مؤنس، سفارة بدروماتير، ص٤٥.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م وزع السلطان الناصر فرج النفقة على المماليك على فترات متقطعة، فبدأ أولاً بإعطاء خواصه من المماليك المشتروات، وأرباب الخدم في ٢١ شوال من السنة ذاتها، فأعطى لكل مملوك ستين ديناراً[١]. واستمر في النفقة على المماليك السلطانية حتى ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، فأعطى لكل مملوك ثلاثة آلاف وأربعمائة درهم[٢]، ثم كلف السلطان فرج القاضي سعد الدين بن غراب بتتمة النفقة، فأعطى لكل مملوك من المماليك ألف درهم[٣]، ويبدو أن النفقة لم تكتمل، إذ احتاج في ٤ ذي القعدة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٧م مبلغ مئة ألف درهم[٤]، فاقترض من أموال الأيتام، وأعطى المماليك السلطانية خمسة آلاف لكل واحد، فضلاً عما أنفقه على الأمراء، فبلغ مجموع النفقة مئتي ألف دينار[٥].

٣- نفقة السفر (الحرب):

وهي نفقة غير منتظمة تدفع للأمراء والمماليك والأجناد قبيل تسيير الحملات للقتال. وتكون في أغلب الأحيان مقرونة بمخصصات عينية كالخيول والجمال والقماش والسلاح وغير ذلك. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أنفق السلطان برقوق في المماليك استعداداً للسفر إلى حلب لقتال يلبغا الناصري، فأعطى للأمير أيتمش مئة ألف درهم فضة وعشرة آلاف دينار ذهباً، وأنفق في أمراء الألوف مئة ألف درهم وخمسة آلاف دينار، وخصص للأمير أيدكار -أحد كبار

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٧٤-١٧٥. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٧٧ ب. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٤، ص٢٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص١٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٤٠.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٠.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ق٢، ص٦٢٤.

(٤) سعر صرف الذهب مئة درهم كل مثقال. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٥٦.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٥٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣١٦. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٧١٥. وراجع حسام الناطور، السلطنة (نفقة البيعة)، ص١١٨-١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمراء- ستين ألف درهم، ولعدد من الأمراء خمسين ألف درهم وأربعمائة دينار[١]. وفي السنة نفسها أنفق في المماليك نفقة ثانية فأعطى ألف درهم لكل مملوك[٢]، وفي ١٨ ربيع الآخر سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م اختار السلطان برقوق خمسمائة مملوك للاشتراك في القتال، وأنفق فيهم ألف درهم فضة، وأعطى لكل مملوك من المماليك الكتابية مئتي درهم فضة[٣] وحين زاد خطر الناصري وصار الأمراء والمماليك تتحول عن السلطان برقوق أنفق السلطان برقوق في المماليك السلطانية ومماليك الأمراء وأجنادهم خمسمائة درهم فضة، واستدعاهم طائفة بعد الأخرى، وأعطى لكل مملوك بيده، وصار يحرضهم على القتال معه[٤]. كما أنفق في مماليك أمراء الطبلخاناة والعشرات فأعطى لكل مملوك أربعمائة درهم[٥].

وفي سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م أنفق السلطان برقوق في المماليك المشتروات، فأعطى لكل مملوك ألفي درهم وللمستخدمين ألفاً وسبعمائة درهم، استعداداً لمواجهة خطر تيمورلنك على بلاد الشام، فبلغ مجموع النفقة على المماليك عشرة آلاف ألف (١٠) ملايين درهم فضة ينضاف إليها نفقة الأمراء[٦].

---

(١) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٨. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ١٨٦-١٨٧. والباز العريني، الفارس المملوكي، ص٦٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٤-٥٩٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦١.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٠٠-٦٠١.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٠٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٨٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٧٦.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٤، ٥٢٦. ج٤، ص٤٢. ج١٣، ص١٠٧. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الجامكية (الرواتب الشهرية):

أجرى سلاطين دولة المماليك رواتب منتظمة على الجيش تسمى (الجامكيات)[١]. والجامكية مصطلح فارسي يعني (إعطاء كسوة منتظمة)[٢].

وتعتبر الجامكيات من أهم المخصصات النقدية التي دفعت بانتظام للجيش في دولة المماليك، وهي رواتب شهرية توزع على الجيش في بداية النصف الثاني من كل شهر هجري. حسب طبقات الجيش في اليوم الأول من الموكب الذي يستمر ثلاثة أيام ابتداءً من يوم الخامس عشر وحتى السابع عشر[٣]. فقد بلغت جامكية مماليك السلطان برقوق حوالي ٩٠٠,٠٠٠ درهم فضة في كل شهر[٤]، وبلغت جامكية مماليك السلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م حوالي (٢٠٠,٠٠٠,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) درهم فضة في كل شهر[٥].

ب- المخصصات العينية

اعتاد السلطان برقوق كغيره من سلاطين المماليك صرف مخصصات عينية على الأمراء والأجناد في مناسبات معينة. تشمل الخيول والجمال، والكسوة، والخلع والتشاريف، والسلاح، والعلف، ومخصصات نقدية.

١- الخيول والجمال:

لقد جرت عادة سلاطين المماليك أن تنعم على أمرائها بالخيول في السنة مرتين: الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله في أواخر فصل الربيع، إذ ينعم على خواصه من الأمراء بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم، وتكون خيول الأمراء المقدمين مسرجة ملجمة بكنابيش ومزركشة، وخيول الأمراء الطبلخاناة عُرياً من غير قماش. والمرة الثانية عند نزوله إلى لعب الكرة بالميدان، وتكون خيول

---

(١) Mo'nes, Djamakiyya, vol. 2, p. 413-414.

(٢) Ayalon, The system of payment in Mamluk, p. 51.

(٣) Ibid, p. 51.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ق١، ص٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمراء المقدمين والطبلخاناة مسرجة ملجمة بفضة قليلة بلا كنابيش.ينضاف اليهم، أمراء نواب بلاد الشام حسب مراتبهم. وليس لأمراء العشرات في ذلك حظ إلاّ ما يتفقدهم به السلطان على سبيل الإنعام[١]. كما ينعم السلطان على المقربين له من الأمراء المقدمين والطبلخاناة بعدد كبير من الخيول تصل في بعض الأحيان إلى مئة فرس في السنة. وربما أنعم على بعض مقدمي الحلقة ، وكل من مات له فرس من مماليكه، وكبار السن من الأمراء عند خروجه إلى الصيد ونحوه[٢].

وثمة مناسبات أخرى كان ينعم فيها السلطان بالخيول والجمال على الأمراء والمماليك مثل الخروج إلى القتال. فقد أنعم السلطان برقوق على الأمير بيدمر الخوارزمي نائب الشام بثمانية جنائب من الخيل والقماش المذهب[٣]، وللأمير الطنبغا الجوباني فرس بسرج وكنبوش مذهب[٤]، ووزع على الأمراء والمماليك أثناء قتال يلبغا الناصري عدداً كبيراً من الخيول والجمال، فأعطى لكل مملوك من أصحاب الجوامك «الرواتب» جملين، ولكل إثنان من أصحاب الإقطاعات ثلاثة جمال[٥]. ويقدر المقريزي أعداد الجمال والخيول التي فرقها السلطان برقوق على المماليك عند الانتهاء من قتال الناصري بـ ١٠,٠٠٠ جمل، و ٢٥٠٠٠ فرس، بالإضافة إلى ما يزيد عن ١٠٠,٠٠٠ فرس وجمل كانت مع السلطان وكبار الأمراء[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٦. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٠٠، ٢٠١، ٢١٦.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص٥٦. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٠٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٥١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٤-٥٩٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٨٨.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨١٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الكسوة:

اعتاد السلاطين في دولة المماليك صرف الكسوة على المماليك وكبار الأمراء وكبار أصحاب المناصب من أرباب الأقلام في كل سنة كسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم[١]، أما أمراء الشام فلا حظّ لهم من الإنعام في أكثر من قباء[٢] واحد في الشتاء[٣]. ففي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م ضرب السلطان برقوق الأمير جمال الدين الاستادار لتأخيره كسوة المماليك السلطانية عن وقتها الذي تصرف فيه[٤].

وتتألف ملابس الأمراء والمماليك من قسمين: الأول خاص بفصل الصيف وهو قماش من الفوقاني[٥] الأبيض، وتشد فوق أقبيتهم حياصة[٦] من الفضة المطلية بالذهب، وتُرصع في خلع السلطان لكبار أمراء المئين بالجواهر، والقسم الآخر خاص بفصل الشتاء. ويتكون من فوقانيات ملونة من الصوف النفيس والحرير الفائق، تحتها فراء السنجاب[٧]. كما يلبس كبار الأمراء السمور[٨]، والوشق[٩]،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٦-٥٧.

(٢) القباء: ثوب يلبس فوق الملابس. ماير، الملابس المملوكية، ص٤٦.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٣٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٤٨٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠٣.

(٥) ملابس بيضاء تصنع من قماش رخو يسمى نصافي. ماير، الملابس المملوكية، ص٤٦.

(٦) الحياصة: حزام مصنوع من معدن ثمين. ماير، الملابس المملوكية، ص٤٦.

(٧) السنجاب: حيوان أكبر من الفأر وبره غاية في النعومة ويتخذ من جلده الفراء النفيسة التي يلبسها كبار الأمراء والأعيان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٥٤-٥٥.

(٨) السمور: حيوان برّي متوحش له فراء غالي الثمن. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٥٣.

(٩) الوشق: من الحيوانات ذات فراء ثمين اعتاد أمراء المماليك على لبسه. ماير، الملابس المملوكية، ص٤٦-٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقاقم[١]، والفنك[٢]، ومعظمهم يلبس الملابس المطرزة على الكمين من الزركش والحرير الأسود المرقوم[٣]. كما يلبس الأمراء والمماليك في أرجلهم الخفاف البيضاء في الصيف، والصفراء في الشتاء[٤].

٣- مخصصات عينية أخرى:

كما جرت عادة السلطان برقوق أن ينعم على الأمراء بمخصصات عينية أخرى في مناسبات مختلفة. كاللحم والعلف[٥]، والسلاح والمؤن أثناء الحرب[٦]. كما أنعم على بعض كبار الأمراء احتفاءً بقدومهم إلى القاهرة من مراكز نياباتهم، كاحتفائه بقدوم الأمير تنم الحسيني نائب الشام سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م. والإنعام عليه بخمسة بقج قماشاً، فضلاً عن رواتب تكفيه ومن ومعه من الأمراء والمماليك مدة إقامته في القاهرة[٧]، أو إشعاراً لبعض الأمراء بالرضا لتقديمهم الولاء والطاعة، كالأمير جلبان الكمشبغاوي الذي قدم من دمياط إلى القاهرة طائعاً، فصفح عنه السلطان «وألبسه خلعة الرضا»، وأنعم عليه بإقطاع الأمير فخر الدين إياس الجرجاوي، وجعله أتابك العساكر بدمشق، وأرسل إليه ثمانية خيول، منها فرس بقماش مذهب[٨].

---

(١) القاقم: وهو حيوان صغير الحجم يشبه الدب له شعر أبيض ناعم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٥٤.

(٢) الفنك: حيوان صغير له وبر جميل أبيض يخالطه بعض الحمرة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٥٤.

(٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٨٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٥-٨٧٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢-٤٣.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٨٨.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٣.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٨٩-٨٧٠.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- الإدارة العسكرية:

يعدّ ديوان الجيش وديوان المفرد من أهم المؤسسات الإدارية والمالية التي تشرف على إدارة الجيش في دولة المماليك.

أ- ديوان الجيش (أو ديوان الإقطاع):

ويعتبر ديوان الجيش من أهم الدواوين التي تشرف على الإقطاعات في دولة المماليك[١]، ويقسم إلى قسمين: الأول خاص بمصر ويسمى ديوان الجيش المصري، والقسم الآخر خاص ببلاد الشام ويسمى ديوان الجيش الشامي[٢].

ويشرف على إدارة الجيش في مصر عدد من الموظفين وعلى رأسهم ناظر الجيش الذي يتولى النظر في أمر الإقطاعات بمصر وبلاد الشام والكتابة عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ توقيعه[٣].

ومن أشهر من تولى نظر الجيش في مصر أثناء فترة حكم السلطان برقوق القاضي عبد الرحمن بن محب الدين الشافعي[٤] (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)[٥]، كما تولى القاضي موفق الدين الأسلمي (ت ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) نظر الجيش سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م إلى جانب نظر الخاص، والذخيرة، واستيفاء الصحبة[٦] والقاضي جمال الدين

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٣. وابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٦٧.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٧٣.

(٤) التقي عبد الرحمن ابن ناظرِ الإمام المحب محمد بن يوسف الحلبي الأصل القاهري كانت له عناية بالعلم. ابن حجر السعقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٧١. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٧٠.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٠٨.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمود العجمي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[١]، وشرف الدين محمد بن الدماميني سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م، بعد شراء المنصب بنحو أربعمائة ألف درهم فضة[٢]. وفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م تولى منصب نظر الجيش القاضي سعد الدين بن غراب (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) إلى جانب نظر الخاص[٣].

أما في بلاد الشام فلكل نيابة من نياباتها ناظر جيش، يتولى كل نائب من نواب بلاد الشام كتابة المربعات[٤] التي تنشأ من الشام وتسجيل المناشير التي تصدر إليه من مصر في الديوان[٥].

ويساعد ناظر الجيش في الإدارة أربعة موظفين وهم: صاحب ديوان الجيش، ويتولى كتابة ما يخرج من الديوان من وثائق وينوب عن ناظر الجيش في مختلف صلاحياته[٦]. ومستوفي الجيش الذي يتولى كتابة الكشف من هذا الديوان بعد توقيع السلطان وناظر الجيش وإخراج الاستحقاقات، وهما مستوفيان واحد في مصر والآخر في بلاد الشام[٧]. وينظر مستوفي العرب في شؤون إقطاعات العرب[٨]، ومستوفي الرزق «الذي يكتب في الرزق الجيشية[٩]، مستقل في ذلك لا يكتب غيرها»[١٠].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٠.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٧٢.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦٣.

(٤) المربعات: أوراق خاصة بمنح الإقطاعات. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٩٢.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص٩٦.

(٦) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٣. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٦ ب. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٧٣.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١. والخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٦ ب. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٧٣.

(٨) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٧ أ.

(٩) الأراضي التي تُمنح لبعض الأمراء المتقاعدين. بولياك، النظم الإقطاعية، ص٩٦-٩٧.

(١٠) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٧ أ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسجل في ديوان الجيش جميع فئات الجيش من المماليك السلطانية والأمراء ومماليك الأمراء وأجناد الحلقة، إذ يقوم كاتب الجيش بتسجيل كل فرد وابتداء إمرته ومقدار إقطاعه وكيفية انتقاله إليه[١]. ويضيف كاتب الجيش كل جماعة من أجناد الحلقة إلى مقدم مشهور من أعيان أجناد الحلقة يسمى مقدم الحلقة، ويشرف عليهم نقيب يكون ملماً بمساكنهم، لدعوتهم عند الحاجة[٢]، ويضيف كل جماعة من الأمراء الطبلخاناة والعشرات ومقدمي الحلقة إلى مقدم من أمراء المئين يسمى مقدم ألف، حيث يخصص للأمراء وأجناد الحلقة ورقة يعين فيها اسم كل أمير ورتبته وعدد المضافين إليه، وكذلك مقدمي الحلقة[٣].

ويكتب كاتب الجيش أوراقاً أخرى تتضمن أسماء أمراء الميمنة والميسرة. والمقدم في الجيش، وأسماء الأمراء الذين يرافقون السلطان في رحلات الصيد والركوب إلى المتنزهات، ولعب الكرة في الميدان[٤]. أما المماليك السلطانية، فتضاف كل مجموعة من كل فئة إلى مقدم منها سواء من أصحاب الوظائف أم من المماليك الكتابية، وتكون تبعيتهم مباشرة لمقدم المماليك السلطانية[٥].

ويسجل مماليك الأمراء في ديوان الجيش رغم تسجيلهم في دواوين أمرائهم[٦]، وعندما يتسلم الأمير إقطاعه يقدم لكاتب الجيش بيانات تفصيلية عن مماليكه؛ تتضمن أسماءهم ومخصصاتهم وإقطاعاتهم، وما حدد لهم من رواتب ومخصصات.

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٠٣.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 94.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٤) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٠٦.

(٥) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٠٤-٢٠٦.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٢-٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتولى إعدادها كاتب يسمى كاتب عدة الأمير[١]، ثم ترفع الأسماء لكاتب الجيش لعرضها على السلطان واعتمادهم أمام الأمير. وفي حالة اعتماد اسم المملوك في ديوان الجيش يكتب أمام اسمه أوصافه بدقة بما في ذلك العلامات الفارقة إن وجدت[٢].

ويتولى ديوان الجيش الإشراف على إصدار الوثائق الخاصة بمنح الإقطاعات، كما يتولى ناظر الجيش تدقيق الأوراق الخاصة بالروك (المسح)، ومقدار الإقطاع وحفظها بالديوان وكتابة الوثائق المختلفة بمساعدة كتاب الجيش بأمر السلطان. مثل المثال الذي ينص على الإقطاع الممنوح من حيث إصداره جديداً أو منقولاً، واسم المقطع ومقدار إقطاعه، وتاريخ اعتماده، وأخذ توقيع السلطان وناظر الجيش عليه، وحفظ المثال في الديوان بعد كتابة تاريخ حفظه[٣].

ثم تكتب وثيقة أخرى تسمى المربعة تتضمن البيانات التي وردت في المثال، ويكتب فيها رتبة الأمير وعدد مماليكه وموقع إقطاعه ومساحته وألقاب السلطان. ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء لكتابة المنشور بمقتضاها[٤]. ثم يتسلمها كاتب السر ومن دونه من كتاب الديوان[٥]. أما كبار الأمراء فيتولى كتاب الدست كتابة مناشيرهم، ثم يوقع السلطان عليها[٦].

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٠٧.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ص٤٧. والنويري، نهاية الأرب، ص٢٠٨.

(٤) المصدر ذاته، ص٤٧. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٧. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص١٦١-١٦٢.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٣٩.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما نيابات بلاد الشام، فإن نائب السلطنة يتولى إبلاغ السلطان بمن يموت من الأمراء لإقامة غيره ممن في خدمته من الأمراء. أما أجناد الحلقة فلنائب السلطنة إقامة عوض من يموت منهم، ويكتب مثالاً على نحو ما يكتب في الديار المصرية، ثم مربعة يرسلها لديوان الجيش في مصر لتدقيقها وكتابة توقيع السلطان عليها، لإصدار المربعة والمنشور من الديوان[١].

ب- ديوان المفرد:

يعدّ ديوان المفرد الذي استحدثه السلطان برقوق سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م[٢] من المؤسسات الإدارية الهامة المختصة بالإشراف على رواتب (جوامك) وعليق المماليك السلطانية (الخاصكية) والبيوت السلطانية وما يلزمها[٣]. حيث خصص السلطان برقوق لديوان المفرد نحو مئة وستين بلداً، مثل فارسكو[٤] والمنزلة[٥]. يضاف إليها بعض القرى والمستأجرات والرسوم من الكشاف والولاة[٦]. كما يقدر متحصل ديوان المفرد ما يزيد على أربعمائة ألف دينار عيناً، وثلاثمائة ألف إردب قمح وفول وشعير[٧].

ويقوم الاستادار بالإشراف على ديوان المفرد[٨]، فهو يقوم بالإشراف على البيوت السلطانية من مطابخ السكر والشراب خاناه والحاشية والغلمان والكساوي والنفقات[٩] إضافة إلى الأملاك والذخيرة[١٠]. وينوب عن الإستادار

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٧. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٢.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٤٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٨.

(٤) فارسكو: من قرى مصر قرب دمياط وهي من كور الدقهلية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٨.

(٥) المنزلة: بلدة مصرية واقعة على بحيرة المنزلة. المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص١٨٩.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٤. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٧.

(٧) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٠٧.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥٣.

(٩) ابن طولون، نقد الطالب لزغل المناصب، ص٦٠.

(١٠) ابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موظف يسمى ناظر ديوان المفرد الذي يتولى الإشراف على الشؤون المالية الواردة من مباشري البلاد المخصصة لديوان المفرد، وحساب الجوامك والعلائق المقررة وموجب الزيادة والنقص فيها، والإشراف على تحصيل الأموال المستحقة لديوان المفرد، وعمارة بلاد ديوان المفرد، وإقامة الجسور السلطانية فيها، وتزويد ورش صناعة المراكب الخاصة بالديوان بالأخشاب والحديد وغيرها حتى لا يتوقف مركب عن العمل وغير ذلك من مصالح الديوان[١].

وثمة صاحب ديوان المفرد الذي ينوب عن ناظر الديوان في غيبته[٢]. ومستوفيه[٣]، وشاهدان لضبط متحصل الديوان ومصروفاته[٤]؛ وعامل الباب والشونة الذي يتولى الإشراف على ضبط ما يكتب ويصرف من غلال[٥].

كما استحدث السلطان برقوق سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م ديوان المماليك مع ديوان المفرد، ويتولى إدارته موظف يسمى (كاتب ديوان المماليك)[٦] أو أمير ديوان المماليك السلطانية، الذي يشرف على ضبط أعداد المماليك السلطانية ومن يُدرج معهم من أولاد الناس، والسلطان والخدم والحريم[٧]، واستدعاء المماليك من الطباق حسب مراتبهم عند صرف الجامكية، والكسوة والأضحية عليهم. ويساعد كاتب ديوان المماليك عدد من الموظفين مثل الكُتّاب والشهود[٨].

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٤٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٨. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٢.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 93.

(٢) ابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٣.

(٣) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٧ أ.

(٤) ابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٣.

(٥) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٧ أ، ب.

(٦) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٣٨ أ. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٣.

(٧) ابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٣.

(٨) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ٣٨ أ. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح من تتبع دراسة تطور ديوان المفرد بأنه من المؤسسات الإدارية العسكرية الخاصة بالمماليك السلطانية؛ أنشأه السلطان برقوق بهدف الإشراف على رواتب المماليك الخاصكية والبيوت السلطانية وما يلزمها. فضلاً عن الإشراف على الأملاك الخاصة بالديوان مثل عمارة البلاد التابعة للديوان، وإقامة الجسور السلطانية وصيانتها، وتزويد ورش صناعة المراكب الخاصة بالديوان بما يلزمها من الخشب والحديد حتى لا تتوقف المراكب عن العمل. كما استحدث السلطان برقوق ديوان خاص بالمماليك أطلق عليه اسم ديوان المماليك وهو تابع من الناحية الإدارية لديوان المفرد بهدف الإشراف على الأعداد المتزايدة من المماليك السلطانية (الخاصكية) وضبط أعدادها وتنظيمها عند صرف الجامكية والكسوة والأضحية عليهم.

ج- عرض الجيش:

اعتاد سلاطين المماليك استعراض الجيش قبل خروجهم إلى القتال. حيث يقوم نقيب الجيش بالإشراف على عملية العرض وأجناد الأمراء باليوم الذي حدد من قبل السلطان للعرض[١].

ويبدأ الاستعداد لاستعراض الجيش برفع راية السلطان المسماة الجاليش وهي راية في رأسها خصلة كبيرة من الشعر تعلق على المكان الذي تدق آلة الحرب أمامه، وتتكون من طبول ومزامير ونفير أمام مقر السلطان[٢]. ثم يتولى الدوادار عملية العرض بدار نائب السلطنة حسب فئات الجيش، فيبدأ بالمماليك السلطانية[٣]، ثم أجناد الحلقة[٤]، ويليهم مماليك الأمراء الألوف وأجنادهم[٥]. وفي دمشق يتولى نائب السلطنة عرض الجيش بدار السعادة[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٦-٤٥٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣١٠-٣١١. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٣٤.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٣.

(٤) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٨٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٧٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٧.

(٦) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١١٥-١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد انتهاء الدودار من عملية عرض الجيش يتولى السلطان بنفسه عملية العرض ثانية، حيث يقوم بتفقد لباس الجند وخيولهم وأسلحتهم، والإنفاق عليهم على حسب رتبهم العسكرية[١].

كما تجري عملية عرض الجيش في دولة المماليك عندما يتولى سلطان جديد السلطنة. فالسلطان برقوق حين تولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م قام باستعراض الجيش من أجل اختيار من يصلح من المماليك للخدمة في الجيش والتخلص من غير القادرين على الخدمة. ففي ٢١ شوال سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م أصدر أمراً بعرض المماليك الأشرفية وجعل خمسة من أمرائهم دون إمرة (طرخانات) ورتب لهم ما يكفيهم ليعتاشوا منه، كما أرسل عدداً آخر منهم إلى الأمير سودون الشيخوني نائب السلطنة من أجل العرض وعين أصحاب الإقطاعات الكبيرة مقدمين في أجناد الحلقة، والبقية من أجناد الحلقة، وقطع رواتب عدد آخر، وعين بدلاً منهم من مماليكه المشتروات[٢].

أما المدة الزمنية التي تستغرقها عملية عرض الجيش فهي غير محددة، فقد ذكر المقريزي: «أن المدة التي استغرقها السلطان برقوق في عرض الجيش قبل خروجه لقتال تيمورلنك سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م استمرت أربعة أيام في الأسبوع وهي: السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء»[٣].

---

(١) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١١٥-١١٦.

(٢) المصدر ذاته، ص١١٥-١١٦. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٢٩٧. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- قضاء العسكر:

تعدّ وظيفة قضاء العسكر من الوظائف الإدارية الدينية الخاصة بالجيش وهي رفيعة القدر، وعرفت في أثناء حكم الدولة الأيوبية. كما عرفت ذلك دولة المماليك في مصر وبلاد الشام. ففي مصر ثلاثة قضاة للعسكر: شافعي وحنفي ومالكي. مهتهم الجلوس مع القضاة الأربعة بدار العدل، والسفر مع السلطان في سفره[١]. أما بلاد الشام فقد اقتصر الأمر على قاضيين للعسكر أحدهما يمثل المذهب الشافعي والآخر يمثل المذهب الحنفي[٢].

وأما الحجابة، فموضوعها الإنصاف بين الأمراء والجند. فتارة يقوم حاجب الحجاب بهذا الأمر بنفسه وتارة أخرى بمراجعة النائب. ويقدم إليه من يعرض ومن يرد من الأمراء والجند، وعرض الجند. وقد جرت العادة أن يكون خمسة حجاب من مقدمي الألوف وهما حاجب الحجاب ونائبه، وحاجب الحاجب[٣].

٩- أسلحة الجيش:

احتفظ الجيش في دولة المماليك بأسلحتهم في أماكن خاصة تسمى السلاح خاناة، وتعني بيت السلاح، أو الزردخاناة، أو بيت الزرد[٤]. وكان يتولى الإشراف على إدارة السلاح خاناه السلطانية أميران برتبة مقدم ألف، أحدهما: السلحدار الذي يحمل سلاح السلطان[٥]، وأمير السلاح الذي يتولى إدارة السلاح خاناه وما يستعمل منها إلى السلاح خاناه السلطانية، ومقدم السلاح دارية من المماليك السلطانية[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص١٩٩. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٤٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١١٩.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص١١. ومؤلف مجهول، خزائن السلاح، ص٥.

(٥) المصدر ذاته، ج٥، ص٤٢٤. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٣٨.

(٦) المصدر ذاته، ج٤، ص١١. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي السلاح خاناه يعمل عدد من الموظفين مثل الزردكاش الذي يقوم بصناعة الأسلحة، والصنّاع الذين يعملون على إصلاح الأسلحة والأدوات المستخدمة في القتال كالعجلات والمدافع (النفاطات) وأدوات نقب الأسوار. فضلاً عن الغلمان والفراشين لخدمة القُماش في السلاح خاناه[١].

وقد لاقت السلاح خاناه اهتماماً كبيراً من قبل السلطان برقوق، فقد حرص على تزويد السلاح خاناه بالأسلحة وأدوات القتال، وجدّد السلاح خاناه بالإسكندرية[٢]، ودمشق. وكان من مظاهر اهتمامه بالسلاح خاناه إصدار الأمير الطنبغا الجوباني نائب دمشق بأمر من السلطان برقوق أمراً يقضي بنظم عبارات تدل على الشجاعة تنقش على أسنة الرماح[٣]. وحرص على جمع الأسلحة من مختلف نيابات السلطنة وإيداعها في خزائن السلاح بقلعة الجبل في القاهرة[٤].

واحتوت السلاح خاناه على العديد من الأسلحة التي يستخدمها الجيش في القتال كالسيوف[٥]، والرماح بمختلف أنواعها الطويلة والقصيرة[٦]، والطبر (الفأس) والسكاكين[٧]، والأقواس العربية والفارسية[٨]، والنشاب. والنبل[٩]،

---

(١) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢٢. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١١.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١١٣.

(٣) المصدر ذاته، ج١٢، ص١١٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٢.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦١.

(٧) المصدر ذاته، ج٢، ص١٥٠.

(٨) المصدر ذاته، ج٢، ص١٥٠.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والدبوس (آلة حديدية ذات أضلاع متعددة) والعصا والبيضة الحديدية (الخوذة)[١]، والمِفغَرة[٢]، والدروع والقرقلات[٣]، والترس[٤]، والمنجنيق، والحبال والخطاطيف (الكلاليب)، والمكاحل، وقوارير النفط، والستائر الواقية التي تستخدم لحماية الجند عند نقب الأسوار[٥].

- **الخلاصة:**

اهتم السلطان برقوق بجلب عناصر جديدة للجيش. فقد ركز اهتمامه على جلب العنصر الجركسي الذي ينتمي إليه لتكون دولة نواتها المماليك الجراكسة. إضافة إلى العناصر الأخرى التي كانت موجودة في دولة المماليك الأتراك؛ واستمر وجودها أثناء فترة حكم السلطان برقوق كالأتراك، والروم، والأكراد، والتركمان، والعربان.

وتمكن السلطان برقوق من الحصول على المماليك الجراكسة من مصادر مختلفة أهمها: التجارة التي تشكل المصدر الأساسي لجلب المماليك الجراكسة، حيث شجع تجار الرقيق الأجانب (الخوجكية) على جلب أعداد كبيرة منهم من بلاد الجركس. وقد اشتهر من هؤلاء التجار عثمان بن مسافر الذي جلب السلطان برقوق نفسه وعمل لحسابه حين تولى السلطنة في جلب المماليك الجراكسة من بلاد

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٥١. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٨.

(٢) المِفغَرة: تشبه البيضة الحديدية أطرافها مسدودة خلف الرأس والأذنين والأنف، مصنوعة من الزرد. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٥١.

(٣) القرقلات: درع مصنوع من صفائح حديدية ملبس من الداخل بالقماش. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٥٢. وابن صصري، الدرة المضيئة، ص٧-٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٥٢. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٣.

(٥) المصدر ذاته، ج٢، ص١٥٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجركس، وعلي بن مسافر الذي جلب عدداً كبيراً من أقارب السلطان برقوق. ويمثل الإهداء مصدراً ثانوياً للحصول على المماليك فقد اعتاد كبار الأمراء والمماليك وسلاطين وملوك الدول المجاورة لدولة المماليك تقديم هدايا رمزية للسلطان برقوق تتضمن في أغلب الأحيان عدداً من المماليك.

كما اهتم السلطان برقوق بتربية هؤلاء المماليك وتدريبهم وتعليمهم دينياً وعسكرياً، وأسكنهم في أماكن خاصة وأجرى عليهم الرواتب (الجوامك). غير أن بعض التطورات والتغيرات أحدثت على تربية المماليك بعد عزل السلطان برقوق من السلطنة وعودته ثانية سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م فقد عمد إلى جلب عناصر مملوكية من كبار السن تجاوزوا سن التعليم في الطباق مما كان له أثر سلبي على قدرة هؤلاء المماليك العسكرية أثناء القتال، فضلاً عن عدم القدرة على الانضباط العسكري.

أما فرق الجيش فقد قسّمت إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي المماليك السلطانية، وأجناد الحلقة، ومماليك الأمراء. واستمر هذا التقسيم طوال فترة حكم دولة المماليك الأولى (الأتراك) والمماليك الثانية (الجراكسة) دون إحداث أي تغيّر على هذا التقسيم.

وبعد وفاة السلطان برقوق ظهرت فرقة جديدة نواتها المماليك الظاهرية تسمى القرانيص وتميزت فيما بعد بصراعها مع السلطان الناصر فرج بن برقوق، وكانت سبباً في تخلي السلطان فرج عن السلطنة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الرتب العسكرية فقد اقتبسها سلاطين المماليك عن المغول واستمرت طوال فترة حكم دولة المماليك الأتراك والمماليك الجراكسة دون إحداث أي نوع من التطور أو التغير.

أما نظام الترقية فقد خضع لعدة اعتبارات: منها التدرج الطبيعي في الرتبة من إمرة خمسة إلى إمرة عشرة إلى إمرة طبلخاناة إلى إمرة مائة تقدمة ألف. والانتقال السريع من رتبة إلى أخرى دفعة واحدة كالانتقال من رتبة جندي حلقة إلى رتبة أمير مائة تقدمة ألف. أو ما يرتبط به المماليك معاً من صلات الزمالة في الرق والعتق والعمل والخدمة أو ما يسمى بصلة الخشداشية أو الحشداش، فضلاً عن الفتن والثورات أو بعد وفاة أو قتل أو سجن بعض الأمراء لوجود شواغر في المناصب العسكرية في الدولة.

كما خضع نظام التقاعد أثناء فترة حكم السلطان برقوق لاعتبارات متعددة: كعدم القدرة على مواصلة الخدمة العسكرية بسب المرض أو كبر السن أو النفي أو الإعتقال، أو بناءً على طلب الأمير نفسه.

ويقسم نظام التقاعد إلى قسمين رئيسيين هما: تقاعد مؤقت يسمح للأمير بالعودة إلى الخدمة العسكرية حسب رغبة السطان. وتقاعد دائم يبقي الأمير متقاعداً حتى وفاته.

أما مخصصات الجيش، فكان يتقاضى الجيش أثناء فترة حكم السلطان برقوق ثلاثة أنواع من المخصصات هي: الإقطاعات، ومخصصات نقدية غير ثابتة توزع على الجيش حسب الظروف مثل: نفقة البيعة أو السلطنة، ونفقة الحرب أو السفر وتوزع على الأمراء قبل خروجهم للقتال. والجوامك (الرواتب الشهرية) والخيول والجمال والسلاح والقماش.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما اهتم السلطان برقوق بالإدارة العسكرية إذ يُعد ديوان الجيش أو ديوان الإقطاع من المؤسسات الإدارية التي تشرف على توزيع الإقطاعات في دولة المماليك، ويقسم إلى قسمين: الأول خاص بمصر ويسمى ديوان الجيش المصري، والقسم الآخر خاص ببلاد الشام ويسمى ديوان الجيش الشامي. ويشرف على إدارة الجيش عدد من الموظفين على رأسهم ناظر الجيش الذي يتولى النظر في أمر الإقطاعات، وصاحب ديوان الجيش، الذي يتولى كتابة ما يخرج من الديوان من وثائق وينوب عن ناظر الجيش في مختلف صلاحياته.

أما ديوان المفرد فهو من الدواوين الخاصة، استحدثه السلطان برقوق سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م للإشراف على رواتب وعليق المماليك السلطانية (الخاصكية) والبيوت السلطانية.

كما استحدث السلطان برقوق سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م ديوان المماليك وهو تابع لديوان المفرد، ويتولى الإشراف على ضبط أعداد المماليك السلطانية ومن يُدرج معهم من أولاد الناس، والسلطان والخدم والحريم، واستدعاء المماليك من الطباق عند صرف الجامكية، والكسوة والأضحية عليهم.

كما اهتم السلطان برقوق باستعراض الجيش عندما تولى السلطنة حتى يتمكن من التخلص من العناصر المناوئة لحكمه وتوفير شواغر لمماليكه الخاصكية في الدولة. كما قام باستعراض الجيش قبل الخروج إلى القتال. وتفقد أسلحتهم وخيولهم ولباسهم.

وأولى القضاء عناية خاصة حين عين للجيش ثلاثة قضاة: أحدهم شافعي، والثاني حنفي، والثالث حنبلي، ومهمتهم الجلوس مع القضاة الأربعة في دار العدل، ومرافقة السلطان في سفره. أما بلاد الشام ففيها قاضيان أحدهما يمثل المذهب الشافعي والآخر المذهب الحنفي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

الحياة الإقتصادية في عهد السلطان برقوق

١- الزراعة:

أ- الأراضي الزراعية.

ب- الري.

ج- الإنتاج الزراعي.

د- الثروة الحيوانية.

٢- الصناعة.

٣- التجارة.

٤- الأسواق التجارية.

٥- الأسعار والعوامل المؤثرة فيها.

٦- واردات الدولة (الضرائب):

أ- الخراج.

ب- الجوالي.

ج- ضريبة المراعي.

د- المبادلات التجارية

هـ- ما يستخرج من المعادن.

و- المواريث الحشرية.

ز- ما يتحصل من النقود من دار الضرب.

ح- المكوس.

٧- السياسة النقدية.

٨- الأوزان والمكاييل والمقاييس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة الإقتصادية في عهد السلطان برقوق

اهتم سلاطين المماليك بالزراعة اهتماماً بالغاً. باعتبارها المصدر الأساسي الذي تعتمد عليه الدولة في الإنفاق على المماليك. فقسموا الأراضي الزراعية إلى إقطاعات بين السلطان ومماليكه وأمرائه وأجنادهم، وأنشأوا الترع والقنوات والسدود لتوفير المياه للأراضي الزراعية. وأقاموا المقياس على النيل لمراقبة زيادة ونقص المياه.

كما اهتم سلاطين المماليك بالتجارة الداخلية والخارجية، فأقاموا علاقات تجارية داخلية بين مصر ونيابات بلاد الشام، كما أقاموا علاقات تجارية مع بعض الدول، وسمحوا للتجار الأجانب بإنشاء مراكز تجارية خاصة بهم لتسهيل تجارتهم. كما أقامت الدولة الفنادق والخانات والأسواق من أجل تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية.

غير أن الأوضاع الاقتصادية في دولة المماليك تأثرت بالتطورات السياسية الداخلية والخارجية كالفتن والثورات والحروب، والعوامل الطبيعية مثل: فيضان النيل وانحساره، وانحباس الأمطار، وموجات البرد والصقيع، والأوبئة والطواعين، وتأثرت كذلك بزيادة العرض والطلب على السلع، وسياسة الاحتكار، وظلم رجال الدولة والولاة.

كما اعتمدت دولة المماليك على واردات أخرى حتى تتمكن من الإنفاق على المماليك كالخراج (ضريبة الأراضي)، والجوالي، وضريبة المراعي، وضريبة المبادلات التجارية، وما يستخرج من المعادن، والمواريث الحشرية، والمكوس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتبعت سياسة نقدية محددة، حيث عرفت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق ثلاثة أنواع من النقود وهي الدنانير الذهبية، والدراهم الفضية، والعملات النحاسية، كما تعاملت بالعملات الأجنبية كالدنانير المشخصة (الافرنتي).

١- الزراعة:

عرفت سلاطين المماليك أهمية الزراعة لأنها الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها في الإنفاق على المماليك. فقسموا أراضي مصر الزراعية بموجب النظام الإقطاعي الأيوبي إلى أربعة وعشرين قيراطاً، منها أربعة قراريط من نصيب السلطان، وعشرة للأمراء، وعشرة لأجناد الحلقة[١]. واستمر المماليك يعملون بهذا النظام حتى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٦٧م عندما راك السلطان لاجين أول روك شامل لأراضي مصر حين أثيرت مشكلة أخذ الأمراء ناتج إقطاعاتهم دون إعطاء مماليكهم حصة منها[٢]. فقد جعل للجيش بأكمله بما في ذلك المماليك السلطانية أربعة عشر قيراطاً، وللسلطان أربعة قراريط، وجعل لمن عساه يتضرر من الأمراء والجند من قلة متحصل إقطاعه قيراطاً[٣]. وفي سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م راك السلطان الناصر محمد بن قلاوون أرض مصر الروك الثاني، بسبب استكثاره إقطاعات المماليك من أصحاب الأمير بيبرس الجاشنكير والمماليك البرجية (الجراكسة)[٤].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٨٤٢. وإبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص٦٩. وسعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص١٨٦.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٨. والباز العريني، المماليك، ص١٧٢-١٧٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٨٤٢-٨٤٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٢-٩٣.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ق١، ص١٤٦. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقسمت الأراضي الزراعية إلى ثلاثة أقسام رئيسية من حيث الري وخصوبة الإنتاج ووفرته: القسم الأول: ويضم أجود الأراضي الإقطاعية إنتاجاً ويختص بها السلطان وكبار الأمراء على قدر مكانتهم ورتبهم. وتراوحت حصة الأمير من الأراضي المقطعة ما بين بلد واحد وعشرة بلاد. ويطلق على هذا النوع من الأراضي (البلاد النفيسة المتحصل). والقسم الثاني الأراضي متوسطة الجودة، وتقطع لفئة المماليك السلطانية إذ يشترك اثنان أو أكثر في بلد. ومنهم من ينفرد ببلد واحد. والقسم الثالث وتقطع لفئات أجناد الحلقة والعربان والتركمان[١].

وحُددت الأراضي الزراعية في مصر استناداً إلى نوع المحصول وإمكانية استغلالها لأكثر من دورة زراعية على مدار العام:

١- أراضي الباق: وهو أثر زراعة الأرض بالقرط والفول. وتعد من أجود الأراضي الزراعية وأعلاها قيمة وأوفرها سعراً. وتصلح لزراعة القمح والكتان.

٢- ري الشراقي: وهو يتبع أرض الباق في الجودة، لأن الأرض قد ظمئت في السنة الماضية واشتدت حاجتها إلى الماء، فلما رويت حصل لها من الري بمقدار ما حصل لها من الظمأ، وكانت مستريحة فصارت أكثر إنتاجاً.

٣- البرايب (البروبية): وهو أثر زراعة القمح والشعير، وتأتي بعد أرض الباق من حيث الجودة. لأن الأرض تضعف بزراعة هذين الصنفين. ويجب أن تزرع قرطاً وقطاني ومقاثي لتستريح الأرض وتصبح في السنة التالية من ضمن أرض الباق. ويسمى ذلك بالدورة الزراعية.

٤- البقماهية: وهو أثر زراعة الأرض بالكتان[٢].

٥- الشتاني (أو الشتوني): وهو ما روي من الأراضي التي لم تزرع في السنة الماضية.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٢-٤٥٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩-٥٠.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٤٧. والقلشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٦-٥١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- شق سمش (السلايح): وهو ما روي من الأراضي وبوّر[١] ثم حرث وعُطل.

٧- البرش أو النقاء: وهي الأراضي التي أُزيلت منها بقايا المزروعات في السنة الماضية.

٨- الوُسّخ المزدرع: وهو عبارة عن كل أرض لم يستحكم وسخها، ولم يقدر المزارعون على استكمال إزالته منها فحرثوها، وزرعوها وطلع زرعها مختلطاً بوَسَخها.

٩- الوُسّخ الغالب: وهي كل أرض بقيت فيها مخلفات النباتات التي زرعت فيها من قبل، ولم يقدر المزارعون على إزالته لكثرته، فبقيت بدون زراعة، وهي تباع مراعي للبهائم.

١٠- الشراقي: الأراضي التي لم تصل إليها المياه لقصور نهر النيل وعلو الأرض، أو سُد طريق الماء عنه.

١١- المستبحر: وهو كل أرض واطئة، ولا تصريف للماء فيها، فتنتهي مدة المزارعة قبل تصريف الماء بالنّضوُج.

١٢- السباخ: الأراضي التي ترتفع فيها نسبة الملوحة، ويتعذر زراعتها بالحبوب، وهي من أردى أنواع الأراضي. ولكن ربما يزرع في الأجزاء التي تقل فيها نسبة الملوحة بالهليون والباذنجان، والكتان، وقصب السكر[٢].

ب- وسائل الري:

اهتمت دولة المماليك خلال هذه الفترة بالري، فأقيمت الجسور لحبس مياه النيل عن الأراضي الزراعية. وهو عبارة عن أكوام من التراب ومخلفات الأعشاب. وهي على نوعين: الأولى الجسور السلطانية وتختص الدولة بتعميرها في كل سنة على نفقة الديوان بالوجهين القبلي والبحري، ولها جراريف (التي يجرف بها

(١) بوّر (البور) وهي الأراضي التي لم تزرع أو الخراب. ابن منظور، معجم لسان العرب، ج١، ص٢٨٦. مادة بوّرَ.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٩.، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢. ص٣٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التراب لإقامة الجسور) ومحاريث وأبقار مرتبة على أغلب القرى بكل عمل من أعمال مصر[١]. ويقوم بالإشراف عليها موظف يسمى (كاشف الجسور). وربما أضيفت هذه الوظيفة إلى أحد الأمراء في بعض الأعمال[٢].

وللجسور السلطانية كاتب خاص يتولى الإشراف على ما يترتب على كل قرية من الجراريف والأبقار[٣]، وخولةٌ (رؤساء العمال) ومهندسون لكل عمل يقومون في خدمة الكاشف في عمارة الجسور إلى حين الإنتهاء من عمارتها[٤].

والنوع الآخر من الجسور هو البلدية: وهي خاصة بكل بلد دون الآخر، ويتولى إقامتها المقطعون من الأمراء والأجناد من أموال البلاد الجارية في إقطاعاتهم؛ ولها ضرائب مقررة في كل سنة. ورغم التنظيم الدقيق للجسور البلدية إلا أنها أهملت أثناء فترة حكم السلطان برقوق بسبب كثرة الاضطرابات الداخلية والفتن والحروب وصراعات الأمراء، واقتصر على عمارة الجسور السلطانية على الشيء اليسير الذي ليس فيه فائدة كبيرة[٥].

وأقام المماليك المقياس على النيل في جزيرة الروضة[٦] لمراقبة زيادة ونقصان المياه، والتحكم في موعد فتح المياه إلى الأراضي الزراعية. والمقياس بناء صغير منعزل ومغلق، أقيم في وسطه عمود من الرخام مثمن الشكل، مغروس في

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٥. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢٩.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١٥. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢٩-١٣٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥١.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٥.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١٥. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٠.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١٥. وانظر ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٠.

(٦) جزيرة الروضة وتسمى جزيرة المقياس. ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حفرة مربعة ومغطاة عمقها سبعة عشر ذراعاً. تنفتح منها قناة داخلية تتصل مع مجرى النيل، فينحصر الماء عند انسيابه إليها. ويقسم العمود إلى اثنين وعشرين ذراعاً. ويقسم الاثني عشر ذراعاً الأولى من الأسفل إلى ثمانية وعشرين قسماً. يعرف كل قسم منها بالإصبع. والأذرع المتبقية تقسم إلى أربعة وعشرين إصبعاً[١].

وعندما يبدأ النيل بالزيادة في شهر حزيران، يدخل الماء في القناة ويصل إلى الحفرة. ويرتفع يومياً مقدار أصبعين أو ثلاثة أصابع، وفي بعض الأحيان نصف ذراع. ويشرف على قياس الزيادة في ماء النيل رجل يسمى صاحب المقياس تعينه الدولة، وجرت العادة أن يقوم بهذا الأمر في عصر كل يوم، ثم ينادي عليه من الغد بالزيادة في عدد الأصابع، من غير تصريح بما وصل إليه من الأذرع، إلا أنه يكتب في كل يوم رقاعاً لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام، مثل قضاة القضاة، وكاتب السر، وناظر الخاص، وناظر الجيش، والمحتسب، فيذكر زيادة النيل في ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع، ولا يطلع على ذلك عوام الناس ورعاعهم، منعاً للإشاعات حول ارتفاع الأسعار. فإذا وصل منسوب المياه ستة عشر ذراعاً صرح في المناداة في كل يوم بما زاد من الأصابع، وما صار إليه من الأذرع[٢]. وعندما يصل منسوب مياه النيل إلى أعلى ارتفاع له؛ كانت تضع الدولة الحراس على ضفتي النيل في جماعات تتكون الواحدة منها من عشرة مماليك، لهم علم خاص ومهمتهم حراسة فتحات المياه المعروفة لإدخال المياه إلى الأراضي الزراعية ومنع غير المماليك إحداث هذه الفتحات[٣].

---

(١) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨٨-٥٨٩. وسعيد صالح، التجارة الداخلية، ص٢٢٩.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٢٤-٣٢٥. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨٩.

(٣) قاسم عبده قاسم، ١٩٧٨م، النيل، ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستخدمت دولة المماليك عدة أنظمة لري الأراضي الزراعية، ويعد ري الحياض من أكثر هذه الأنظمة شيوعاً في مصر لتباين الأراضي الزراعية ما بين المرتفع والمنخفض، فكان الري يتم ضمن أربع مراحل: الأولى عند وفاء النيل ستة عشر ذراعاً -وهي أدنى حد للري- وغالباً ما يكون ذلك في شهر تموز، إذ يفتح سد الخليج فيجري الماء فيه إلى حد معين، حتى تروي كل الأراضي التي ضمن هذا الحد. والمرحلة الثانية تفتح يوم النيروز، أول شهر آب. وتسمى السدود النيروزية. والمرحلة الثالثة في السابع عشر من شهر آب (عيد الصليب). والمرحلة الرابعة تفتح السدود والترع والخلجان لري بقية الأراضي الزراعية[١].

وبعد اكتمال فتح السدود والترع والخلجان تنتشر المياه وتغطي وجه الأراضي الزراعية، وتصبح كأنها جزر لا يمكن الوصول إليها أو التنقل فيما بينها إلا بواسطة القوارب أو فوق ظهور الجواميس[٢]. وعندما يعلن المماليك المكلفون بحراسة السدود عن طريق النيران ليلاً تسد الفتحات من قبل، وعندما يتكامل ري ناحية من النواحي، يفتح الفلاحون السدود المحيطة بها لتصريف المياه الفائضة عن حاجة الأرض من خلال فتحات يعرفها مشايخ القرى، وذلك في أوقات محدودة[٣].

وبعد الانتهاء من تصريف المياه الزائدة عن الحاجة تترك الأرض دون زراعة حتى تقارب الجفاف، ثم تحرث وهي لا تزال رطبة، ثم تبذر بالبذور المختلفة[٤].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٥. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٩٣-٢٩٤. ج٢، ص٤١٠.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج١، ص٢٦٤.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ص٢٦٤.

(٤) قاسم عبده قاسم، النيل، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتروى بعض الأراضي الزراعية بطريقة السواقي التي تدار بواسطة الحيوانات لقربها من مجرى النيل. كأراضي الدلتا الواقعة بين فرعي النيل[١].

والأراضي التي تروى بطريقة الحياض تُغل محصولاً واحداً في السنة وتسمى المحاصيل الشتوية كالقمح، والفول والبصل وغيرها. أما الأراضي التي تروى بواسطة السواقي فتنتج محاصيل صيفية كقصب السكر، والبطيخ، والقطن، والفواكه، والخضروات[٢].

وتعتمد الزراعة في بلاد الشام في أغلب الأحيان على الأمطار باستثناء القليل منها يعتمد على السواقي[٣]. لذلك تعتمد الزراعة بالدرجة الأولى على مياه الأمطار المتساقطة. فالأمطار التي تتساقط في فصل الخريف تسمى (الوسمي) يبدأ فيه الفلاحون بإعداد الأرض وحراثتها ثم بذرها بالغلال، ثم إعادة حرثها مرة ثانية لتبدأ الحبوب بالنماء، ويبقى الزرع حتى تتساقط عليه الأمطار التي تسمى (الفاطم) وغالباً ما تتساقط في شهر نيسان، فيتكامل نماء الزرع[٤]. كما عرف الفلاح في بلاد الشام زراعة العفير -أي زراعة الحبوب قبل نزول الأمطار-[٥].

وعرفت بلاد الشام في فترة حكم دولة المماليك النمط الزراعي. وهو تقسيم الأراضي إلى قسمين: الأول يتم زراعته، ويترك القسم الآخر بدون زراعة بعد حراثة الأرض وتقليبها. ثم يزرع القسم الذي ترك قبل ذلك. ويترك القسم الذي كان مزروعاً[٦].

---

(١) قاسم عبده قاسم، النيل، ص٢١. ومصطفى القاضي، وسائل الري، ص٤١٢-٤١٨.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٥٣-٣٥٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٩٠. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٦٠٦-٦٠٧.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٦.

(٥) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٥٦.

(٦) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- الإنتاج الزراعي:

عرفت مصر وبلاد الشام أنواعاً مختلفة من المحاصيل الزراعية في فترة حكم السلطان برقوق كالغلال، والسكر، والفواكه، والزيوت.

١- الغـــلال:

تعد الغلال من أهم المحاصيل الزراعية في دولة المماليك. حيث تزرع في مناطق مختلفة كالصعيد، والفيوم[١]، وغوطة دمشق[٢]، وحلب[٣].

وكان من أشهر أنواع الغلال القمح، والشعير، والذرة، والأرز، والحمص، والعدس، والبازيلاء، واللوبياء، والسمسم[٤].

وهناك أنواع أخرى من الغلال تستخدم علفاً للحيوانات أو بذور (تقاوي) كالجلبان[٥]، والقرطم[٦]، والخروع، والسلجم، وبزر الكتان، والبرسيم[٧].

وتعد كميات الغلال التي تنتجها مصر وبلاد الشام كافية للاستهلاك المحلي. فيذكر الأسدي (ت ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) أن مدى استهلاك القاهرة من القمح تقدر بألف إردب في اليوم أي ما يعادل (٦٩٦٠٠ كغم)، منها خمسمائة أردب (٣٤٨٠٠ كغم) لأصحاب المؤن والرواتب السلطانية والأمراء وغيرهم من المدارس والخوانق وغيرها، ومنها خمسمائة أردب متعلقة بالطواحين والأفران والمقاعد التي يباع

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٣-٣٤٤.

(٢) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٠٠. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٦٦١. وابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٢٥٩.

(٣) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٠٠، ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٣-٣٤٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٧.

(٥) وهي الكرسنة تزرع في شهر آذار. ابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٢٦٥.

(٦) من الحبوب التي تستخدم علفاً للحيوانات، تزرع في شهر آذار. ابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٢٦٥.

(٧) السلجم، يشبه الكرنب واللفت، يزرع علفاً للماشية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ق٢، ص٣٤٤. هامش (١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها الخبز في الشوارع[١]. لذلك كانت تلجأ دولة المماليك في حالات معينة كالفتن والاضطرابات ومواسم القحط والجفاف إلى استيراد الغلال من مناطق متعددة لسد حاجتها المحلية مثل سواكن[٢]، واليمن[٣]، والمناطق المجاورة[٤]، وقبرص[٥].

٢- السكر:

يعد قصب السكر من أهم المحاصيل الزراعية التي كانت دولة المماليك تهتم بزراعته لكثرة استخدامه في إعداد المياه المحلاة التي اعتاد سلاطين المماليك على شربه في المناسبات والاحتفالات المختلفة[٦]. حيث تركزت زراعته في الأرياف المصرية، وضواحي الإسكندرية ودمياط[٧]، وطرابلس[٨]، والأغوار في بلاد الشام[٩]. وكان السكر على عدة أنواع منها السكر البياض النقي[١٠]، والسكر النبات[١١].

٣- الفواكه:

اشتهرت بلاد الشام بزراعة مختلف أنواع الفواكه كالمشمش، والتفاح، والتين، والعنب بأنواعه المختلفة، والكمثرى، والدراق، والشمام، والموز[١٢].

---

(١) الأسدي، التيسير والإعتبار، ص١٤٢-١٤٣. وسعيد صالح، التجارة الداخلية، ص٢٠٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٨٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٢.

(٣) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٣.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٨٨.

(٥) المصدر ذاته، ج١، ق٢، ص٦٨٨.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٧.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٨٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٢.

(٨) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٣.

(٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٨٨.

(١٠) المصدر ذاته، ج١، ق٢، ص٦٨٨.

(١١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٢٥.

(١٢) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٣. وابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما اشتهرت أرياف مصر وضواحيها بزراعة البطيخ الصيفي، والبطيخ العبدلي، والموز، والرمان، والنارنج[١].

كما عرفت بلاد الشام زراعة الحمضيات كالأترج، والحماض، والكباد، والليمون[٢].

واهتمت دولة المماليك بزراعة النباتات العطرية في مختلف مناطق مصر وبلاد الشام كالآس، والورد والبنفسج، والنرجس، والياسمين، والنسرين، واللينوفر[٣].

٤- النباتات الطبية:

اهتمت دولة المماليك بزراعة النباتات الطبية لاستخدامها في مجال صناعة الأدوية وهي:

أ- **البلسان أو البلسم**: وهو نبات يزرع بأرض المطرية من ضواحي القاهرة (عين شمس)، حيث يجمع ما يسيل من دهن البلسان، ثم يصفى ويطبخ على النار. ويحمل غالبيته إلى خزانة السلطان، وينقل جزء منه إلى القلاع في بلاد الشام والبيمارستان، ليستعمل في بعض صناعة الأدوية. وملوك الأوروبيين يستهدونه من السلطان برقوق ويهادونه بسببه، لاعتقادهم أنه لا يتم تنصير نصراني حتى يضع شيئاً من دهن البلسان في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها[٤].

---

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٥١٧. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص٢٣٠.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٤. وابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٣٢٤-٣٢٥. ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٤٤. وابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٨٩.

(٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص١٣. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣١١-٣١٢. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٢٨. وابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٣٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- **الأفيـــون**: وهو عصارة الخشخاش المصري والجوز يستخدم في صناعة الأدوية المخدرة. وينبت في دمياط[١].

د- الثروة الحيوانية:

وتشتمل الثروة الحيوانية في مصر وبلاد الشام على أنواع مختلفة من المواشي والطيور مثل الإبل، والبقر، والحمير، والأغنام[٢]. والدجاج، والأوز، والحمام[٣].

واعتمدت دولة المماليك في فترة حكم السلطان برقوق على استيراد الخيول من تونس والجزائر[٤]، ومكة[٥]، لاستخدامها في القتال، والأكل، حيث اعتاد سلاطين دولة المماليك على أكل لحوم الخيول[٦].

٢- الصناعة:

نشطت حركة الصناعة في دولة المماليك في مصر وبلاد الشام بوجود الموارد الأولية المستخدمة في الصناعة. فقد اشتهرت دولة المماليك بصناعة استخراج السكر من قصب السكر الذي تركزت زراعته في مصر والأغوار في بلاد الشام[٧]. كما اعتاد سلاطين المماليك أن ينعموا بكميات من السكر على كبار الأمراء في شهر رمضان[٨].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص٦٨. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٢٨.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٦. ج٤، ص٩١.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٤٧. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٧.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، ج٥، ص٥٧٠-٥٧١. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٢٢.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٤٧.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٧.

(٨) المصدر ذاته، ج٤، ص٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما عرفت مصر وبلاد الشام صناعة الدبس من المشمش، والزبيب من العنب[١]، واستخراج زيت الزيتون واستخدامه في صناعة الصابون، واستخراج زيت السيريج من السمسم[٢].

واشتهرت مصر بصناعة الخمور، حيث كانت تستهلك كميات كبيرة في الاحتفالات التي كانت تقيمها الدولة. وأشهر أنواع الخمور التمربغاوي الذي كان ينسب إلى الأمير تمربُغا المنجكي. وهو مصنوع من الزبيب، حيث يضاف إلى كل عشرة أرطال زبيب أربعون رطلاً من الماء، ثم يدفن في جرار بزبل الخيل لعدة أيام حتى يختمر. وقد شارك السلطان برقوق كبار الأمراء في الشرب منه، وخصص لذلك يوم الثلاثاء من كل أسبوع[٣]. كما اشتهرت مصر بصناعة نوع آخر من الخمور وهو البوزا المصنوعة من الدقيق[٤].

وتعد مادة النطرون من أهم المعادن المستخرجة من بركة النطرون بالبحيرة في مصر، إذ تبلغ مساحتها مئة فدان، وتقدر قيمة النطرون المستخرج منها بحوالي مئة ألف دينار في السنة[٥]. ويعتبر نطرون بركة النطرون أكثر جودة وقيمة من نطرون الخطارة بالشرقية[٦].

كما اشتهرت دولة المماليك باستخراج مادة النفط من سواحل بحر القلزم حيث تحمل إلى خزائن السلاح السلطاني. وكذلك الشب وهي كبريتات متبلورة مزدوجة تتكون من البوتاسيوم والألنيوم، تستعمل كمادة قابضة للبشرة ومثبتة للألوان في الصناعة[٧].

---

(١) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٢٤.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ق٢، ص٤٧٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢٦. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٠-٨١.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣١٢-٣١٣.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ص٣١٣.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ص٣١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- التجارة:

اعتمدت دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق في مصر وبلاد الشام على سد احتياجاتها من السلع الأساسية على المنتوجات المحلية. أما السلع الأخرى فقد كانت تسد أغلب احتياجاتها من بلاد الشام أو من الدول الأخرى. فاعتمدت القاهرة في سدّ حاجتها من الغلال كالقمح والشعير والكتان والمواشي والطيور من مناطق الصعيد، والثمار والأرز من المناطق الريفية الواقعة بين القاهرة ورشيد. والقطن والسكر والموز من الوجهين القبلي والبحري[١].

واعتمدت القاهرة على الإسكندرية في سدّ حاجتها من الغلال ولا سيما أثناء فترات القحط والجفاف. ففي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م وصلت من الإسكندرية عدة مراكب إلى ساحل بولاق محملة بالغلال، مما أدى إلى انخفاض الأسعار فيها[٢]. كما نقل تجار الغلال في السنة ذاتها الغلال من القاهرة إلى الإسكندرية لتحصيل سعر أعلى[٣].

كما قامت علاقات تجارية بين مصر ونيابات بلاد الشام، ولا سيما أثناء فترات القحط. فحين تعرضت أغلب بلاد الشام كحلب ونابلس والرملة والقدس لموجات من البرد والصقيع وتلفت أغلب المحاصيل فيها اعتمدت على مصر في سد حاجتها من القمح[٤]. وعندما زاد خطر تيمورلنك على بلاد الشام وارتفعت الأسعار فيها نقل التجار الغلال إليها من مصر تحسباً لحصار مرتقب من قبل تيمورلنك[٥]. أما مصر فقد استوردت بعض السلع كالثياب والأقمشة من حلب ودمشق وكذلك الموصل[٦].

---

(١) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٦٤-٥٦٥.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٥، ٤٣٩.

(٣) المصدر ذاته، م٩، ج٢، ص٤٣٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥٩. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٨١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٣٠.

(٤) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٣٨. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧٤.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعملت دولة المماليك على تنشيط التجارة الخارجية مع الدول الأخرى. فارتبطت بعلاقات تجارية مع دول الفرنج مثل جنوه والبندقية وغيرهما رغم حالة العداء المستمرة بين الطرفين. ففي سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م سمح السلطان برقوق لتجار بيزنطة بإنشاء مركز تجاري في الإسكندرية أسوة بغيرهم من طوائف الفرنج[١] وقد حافظت دولة المماليك على استمرارية النشاط التجاري مع جنوه والبندقية رغم العداء بين الطرفين. بدليل أن السلطان برقوق غضب على نائب الإسكندرية وطلب حضوره إلى القاهرة سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٢م بسبب مصادرة أموال بعض تجار جنوة والبندقية المقيمين في الإسكندرية[٢]. وفي ١٥ ربيع الآخر سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م دخل عدد من الفرنج إلى بلدة الطينة وأسرت سبعة أشخاص وقتلوا رجلاً واحداً، وأثناء مرورهم بدمياط باعوا الأسرى السبعة فيها[٣].

وكانت لدولة المماليك علاقات تجارية مع مكة ولا سيما في مواسم الحج. على أن النشاط التجاري بين دولة المماليك ومكة كان مرهوناً بالأمن وسلامة الطرق التجارية من تعديات البدو وقطاع الطرق: فكثيراً ما تعرضت القوافل التجارية المرافقة للحجاج لاعتداءات البدو وقطاع الطرق. ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م نشب قتال بين أمير ينبع والحجاج المغاربة لعدم قبولهم إعطاءه بعض السلع التي كانت تحملها القوافل، وأمسكوا به وقيدوه وأخذوا فرسه، فاعترضهم عرب أمير ينبع، وقتلوا عدداً كبيراً من الحجاج المغاربة. وحين أدرك عرب ينبع حجاج التكرور[٤] قاتلوهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً واستولوا على الأموال التي كانت معهم وأموال

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٢١. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٧-٤٨٨، ٥٨١.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٤٩٠.

(٤) التكرور وهي إحدى مدن مالي الحالية. وكان ملكها مسلماً. أنظر ابن فضل الله العمري، التعريف، ص٢٧. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٨، ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من كان معهم من حجاج الصعيد[١]. كما أخبر حجاج العراق بأن حجاج شيراز والبصرة والحسا تعرضوا لاعتداء عرب قريش ابن أخي زامل وأخذوا ما معهم من اللؤلؤ وغيره، وأشياء أخرى ذات قيمة عالية[٢]. وتعد الغلال من أهم السلع التجارية التي كان ينقلها الأمراء المماليك إلى مكة والحجاز في مواسم الحج[٣].

كما نشطت الحركة التجارية مع اليمن ودول المغرب العربي. فاستوردت العبيد والأحباش، واللؤلؤ، وخشب الصندل، واللبان، والحرير، والرخام، والبهار، والعاج، والتحف من اليمن[٤]. واستوردت الخيول العربية من المغرب وفاس، والجزائر وتلمسان[٥].

ولتنشيط الحركة التجارية أقامت دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق العديد من الأسواق والوكالات والفنادق والقيساريات والخانات لاستقبال السلع التجارية التي ترد إليها من الدول الأخرى وإعادة تسويقها. فكانت هذه الأسواق من خلال تجارها وسيطاً تجارياً ومشاركاً في تجارة السلع الشرقية والأوروبية[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٩.

(٦) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٣٤. وعبد الرحمن زكي، القاهرة، ص١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- الأسواق التجارية:

عرفت مصر وبلاد الشام أنواعاً مختلفة من الأسواق التجارية كالأسواق العامة التي تباع فيها أنواع مختلفة من السلع، والأسواق المتخصصة التي تختص ببيع نوع معين من السلع، والأسواق المؤقتة.

وتميزت الأسواق العامة باحتوائها على العديد من الدكاكين، تختص كل منها بنوع معين من السلع. فبعض هذه الأسواق كانت تختص ببيع اللحم المطبوخ، والبعض الآخر ماء الورد، والحلوى، والبيض المقلي والجبن المقلي[١]. ويعد سوق باب الفتوح في القاهرة من أشهر هذه الأسواق، تباع فيه مختلف أنواع اللحم، كلحم الضأن ولحم البقر، والخضروات. واشتهر سوق حارة برجوان في القاهرة ببيع مختلف أنواع السلع كاللحم، والزيت، والجبن، والخبز، واللبن، والطحين، واللحم المشوي، والعطور، والخضر. كما وجد في هذا السوق حانوت يختص ببيع حوائج المائدة كالبقل والكراث والنعناع. وقد خرب أغلب حوانيت هذا السوق سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م[٢]. وسوق المرحلين الذي يباع فيه جميع لوازم السفر وتجهيزات الجمال، واللحوم والحبوب، وكان هذا السوق كبيراً يستطيع أن يجهز أكثر من مئة حمل في اليوم[٣].

وهناك بعض الأسواق التي كان يباع فيها حاجات الناس اليومية مثل سوق الصنادقيين، الذي تباع فيه الصناديق والخزائن والأسرة وغيرها من المصنوعات الخشبية[٤]. وسوق الرواسين الذين يباع فيه مختلف أنواع الأطعمة[٥].

---

(١) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٥-٩٦.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٩٥.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ص١٠٢.

(٥) المصدر ذاته، ج٢، ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرفت مدن بلاد الشام الأسواق العامة، فقد وجد في دمشق أسواق اختصت ببيع أنواع مختلفة من المأكولات كالخبز واللحم والفواكه[١]. وتركزت الأسواق الرئيسية في مدينة دمشق حول القلعة والأبواب الرئيسية للمدينة كباب البريد، وباب الجابية، وباب الفرج، وباب الفراديسِ[٢].

أما مدينة حلب فقد عُرفت الأسواق فيها باسم الخانات، وهي كثيرة، تركزت بالقرب من الأبواب الرئيسية للمدينة، وتحت القلعة، وكان يباع فيها مختلف أنواع البضائع والسلع التجارية[٣]. غير أن هذه الأسواق تعرضت للخراب خلال الفتن والثورات.

كما توزعت الأسواق في مدينة القدس حول المسجد الأقصى[٤]، وعلى طول الشارع الأعظم الذي يمتد من باب المسجد الأقصى، وحتى باب المحراب المعروف بباب الخليل. ومن هذه الأسواق سوق الصاغة وسوق القماش، وسوق المبيضين، وسوق خان الفحم، وسوق الطباخين، وسوق الخان العظيم الذي كان وقفاً على مصالح المسجد الأقصى. وكانت أجرته أربعمائة دينار، يباع فيه مختلف أنواع البضائع[٥]. ومن أشهر أسواق القدس سوق القطانين المجاور لباب المسجد الأقصى من الجهة الغربية. وهناك ثلاثة أسواق تقع قرب باب الخليل تمتد من الشمال إلى الجنوب، وتتصل معاً بواسطة بعض المنافذ، وهي مسقوفة وفي أعلاها فتحات لدخول أشعة الشمس، مثل سوق العطارين، وسوق الخضر، وسوق القماش. وهذه الأسواق موقوفة على مصالح المسجد الأقصى[٦].

---

(١) البدري، نزهة الأنام، ص٦٢-٦٣.

(٢) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٣٨.

(٣) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٤٤، ٢٤٨-٢٥٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٤٣. وابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٥٨.

(٤) الحنبلي، الأنس الجليل، ص٢٥.

(٥) المصدر ذاته، ص٥٢-٥٤.

(٦) يوسف غوانمة، نيابة بيت المقدس، ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووجدت أسواق متخصصة في دولة المماليك تختص ببيع سلعة واحدة مثل سوق الفرائين الذي اختص أثناء فترة حكم السلطان برقوق ببيع مختلف أنواع الملابس لرجال الدولة كالسمور والقاقم والسنجاب[١]. وسوق الدجاجين الذي اختص ببيع الدجاج والأوز وطيور الزينة[٢]. وسوق المرحلين بالقرب من جامع الحاكم الفاطمي[٣]، وهناك أسواق اختصت ببيع لوازم الجند من الأسلحة ومعدات الركوب، مثل سوق السلاح الذي أنشئ في العصر الأيوبي بين القصرين الذي اختص ببيع أدوات القتال كالرماح والقسي والنشاب والسيوف والخناجر وغيرها. وبالقرب منه سوق المهامزيين الذي اختص ببيع المهاميز التي تستخدم في ركوب الخيل، وسوق اللجميين المجاور لسوق المهامزيين الذي تباع فيه أدوات اللجم وغيرها من المعدات الجلدية التي تستخدم لركوب الخيل، وكان بسوق اللجميين عدد من صناع الطلاء، والكفت (التطعيم بالمعدن)، وصناع السروج ولوازمها[٤].

وعرفت مدن بلاد الشام الأسواق المتخصصة. كسوق الزجاج، وسوق الورق، وسوق الساعات، وسوق الجلود في دمشق[٥]. وسوق الزيت، وسوق السمك، وسوق الحناء، وسوق القهوة، وسوق الصابون، وسوق الفحم في حلب[٦]. وعرفت القدس الأسواق المتخصصة كسوق الزيت، وسوق الصابون[٧].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٩٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٢. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٥.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٦-٩٧. وقاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٤٠.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، ج٢، ص٣٠٧.

(٦) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٤٨-٢٥٠.

(٧) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعدّ القيساريات من الأسواق المتخصصة في بيع سلع محددة، ولكنها ذات طابع خاص يميزها عن الأسواق الأخرى. والقيساريات عبارة عن مجموعة من الحوانيت تبيع سلعاً متماثلة، ولها باب يغلق ليلاً[١]. ويقوم حارس بحراستها، ويتولى فتح الأبواب في الصباح وإغلاقها في الليل[٢]، ولكل قيسارية عريف يشرف على إدارتها وإسكان التجار فيها[٣]. ومن أشهر هذه القيساريات قيسارية جهاركس[٤] ابن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الصلاحي[٥]. وقيسارية الشراب التي تقع في القاهرة بالقرب من قيسارية جهاركس. وكانت هذه القيسارية وقفاً على مصالح الصوفية بخانقاه سعيد السعداء. وظلت قيسارية الشراب عامرة بالحوانيت حتى سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م حيث تعرضت للخراب بسبب الفتن والثورات أثناء حكم السلطان الناصر فرج بن برقوق[٦].

وهناك بعض القيساريات التي اختصت ببيع نوع محدد من السلع لمدة محددة، كقيسارية ابن ميسرة الكبرى بالقرب من سويقة وردان، التي كانت مختصة ببيع القماش الجديد من الكتان الأبيض والأزرق والطرّح. ويمضي إليها التجار يومي الأحد والأربعاء لشراء الأصناف المذكورة[٧]. وقيسارية طشتمر المجاورة لسوق الوراقين وقد اختصت ببيع الأزرار. وقد تميزت هذه القيسارية بكثرة حوانيتها ومنظرها الجميل[٨].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩١. وسعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٤٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٥٩-٤٦٠.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٤٦٠.

(٤) من كبار الأمراء، بنى القيسارية بشارع القاهرة تجاه المرحلون الكبير سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٧.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٧.

(٦) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٠٧. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٦.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩١.

(٨) المصدر ذاته، ج٢، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعد وكالة باب الجوانية من أشهر الأسواق التي أقيمت لاستقبال السلع القادمة من بلاد الشام إلى القاهرة، كالزيت والرب والدبس. أما السلع الشامية التي ترد إلى القاهرة عن طريق البر فكانت عادة تدخل إلى وكالة قوصون[١].

أما الفنادق، فقد كانت ملحقة بالأسواق، وهي بناء كبير، يتألف من عدة طوابق يتكون الطابق الأرضي من عدة غرف يستقبل فيها التجار زبائنهم، ويتم فيها بيع السلع ذات القيمة العالية، كالتوابل والأحجار الكريمة والأقمشة. وتحتوي الفنادق على غرف تستخدم من قبل التجار لتخزين السلع الفائضة عن العرض[٢]وبعض الغرف كانت تستعمل كحوانيت لبيع الأقمشة الأجنبية كقماش بعلبك، والموصل، والأقمشة الإيطالية، مثل الكلساتات الموشى والمخمل والتفتا والبروكار، والأقمشة الصوفية المستوردة من أوروبا مثل أجواخ البندقية[٣]. ومن أشهر هذه الفنادق، فندق الوكالة الذي أنشأه الأمير بكتمر الساقي الناصري وأقام على مُلكه إلى وفاته ثم ملكه من بعد أولاده. ثم اشتراه السلطان برقوق سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م من أولاد الأمير بكتمر الساقي بمائتين وخمسين ألف درهم[٤]. وفندق الحصر الذي أنشأه الأمير تنكز الحسامي واختص ببيع الحصر الرفيعة والحصر القطبان القادمة من الفيوم. كما يباع فيه الرطب الأمهات والزيتون الأخضر[٥]. وهو موقوف على أولاده. وفندق الملك السعيد بدار الرمان أنشأه السلطان محمد بركة خان بن السلطان الظاهر بيبرس، ثم ملكه السلطان قلاوون الألفي. وأثناء فترة حكم السلطان برقوق أوقف على البيمارستان المنصوري. وتقدر أجرته بنحو ألفي درهم في الشهر[٦].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٥١. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٤.

(٢) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨١.

(٣) المصدر ذاته، ص٥٨٠-٥٨١.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ص٤٠.

(٥) المصدر ذاته، ص٤٠.

(٦) المصدر ذاته، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الأسواق المؤقتة فقد كانت تقام في مواقع التجمعات التي يجتمع فيها أعداد كبيرة من الناس في مناسبات معينة كالمولد النبوي، وبناء الجسور، أو شق الترع، أو بناء المدارس والجوامع[١]. كما أقيمت الأسواق المؤقتة في ميادين القتال والحروب لتزويد المقاتلين بما يحتاوجونه من الأسلحة والملابس والطعام والعلف[٢]. ومن أشهر هذه الأسواق، سوق الجيزة الذي كانت تباع فيه الماشية التي تجلب من جبال برقة يوم الأحد من كل أسبوع[٣].

٥- الأسعار والعوامل المؤثرة فيها:

تأثرت حركة الأسعار في دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق بعوامل عدة أهمها: العوامل السياسية كالفتن والثورات، وتهديد تيمورلنك لمصر وبلاد الشام، وعوامل طبيعية تتعلق بفيضان نهر النيل وانحساره، وانحباس الأمطار، وموجات البرد والصقيع، والأوبئة والطواعين، وزيادة العرض والطلب على السلع، وسياسة الاحتكار والطمع، واستغلال الإشاعات لرفع أو خفض الأسعار، وظلم الأمراء والمماليك، وطرح السلع على التجار بأكثر من سعرها.

فالظروف السياسية التي مرت بها دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق أثرت على حركة الأسعار وتداولها. فحالة الاستقرار التي عمت دولة المماليك بعد تولي السلطان برقوق السلطنة سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م أدت إلى انخفاض ملموس في أسعار السلع التجارية الأكثر تداولاً، كاللحم والخبز، نتيجة للقضاء على الفتن والاضطرابات التي رافقت عملية انتقال السلطة من المماليك الأتراك إلى المماليك الجراكسة. فانخفض سعر القمح من خمسة عشر درهماً للإردب إلى ثمانية دراهم. وانخفض الشعير من ثمانية دراهم إلى ستة دراهم للإردب الواحد[٤].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٠٥.

(٢) قاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٣٧.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٠٥. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦٠٧.

(٤) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص١١٧. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٠٩. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٩٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما لحم الضأن السليخ فقد أصبح كل عشرة أرطال[١] بثمانية دراهم، ولحم البقر كل رطل ونصف بدرهم[٢]. وفي النصف الأول من شهر ربيع الأول سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م استمرت الأسعار في الانخفاض، وأصبح كل رطلين ونصف من اللحم البقري بدرهم، وكل رطلين من لحم الضأن السميط بدرهم. أما الأسعار في بلاد الشام، فقد وصل سعر الخبز العادي كل رطلين بدرهم، والخبز النقي بأقل من ذلك[٣].

وبحلول سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٨م بدأت الأسعار بالارتفاع التدريجي نتيجة تبدل الظروف السياسية في مصر وحدوث بعض الفتن والاضطرابات، كمحاولة عدد من المماليك الأشرفية قتل السلطان برقوق بزعامة الأمير تمربُغا الحاجب وإثارة الفتنة بين الأمراء والمماليك[٤]. وزحف تيمورلنك نحو بلاد الشام[٥]، كما حاول أربعة من فقهاء دمشق قتل السلطان برقوق وتنصيب إمام قرشي في السلطنة[٦]. فارتفع رطل الفستق من ثمانية عشر درهماً إلى أربعة وعشرين درهماً[٧]. ورطل الفستق المقشر بخمسة وثلاثين درهماً[٨]. وفي دمشق بلغ إردب القمح بمائة وخمسين درهماً[٩].

---

(١) الرطل الكبير في مصر يساوي (٥٠٠) غم ويستخدم لوزن البضائع واللحم والخبز. هنتس، المكاييل، ص٣٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٠٩. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٣٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٨٧-٨٨. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٤٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٠.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤١. راجع الفصل الأول الفتن والثورات.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٦٥.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٥٤. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٢١. وراجع الفصل الأول الفتن والثورات.

(٧) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص١٨٨. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٩١.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٢٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٦.

(٩) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترتب على ارتفاع الأسعار في بلاد الشام نقل التجار للغلال من الإسكندرية إلى أسواق بلاد الشام لتحصيل أعلى سعر. فارتفعت غرارة[١] القمح في حلب والقدس ونابلس والأغوار إلى ثلاثمائة درهم[٢].

ويعد التهديد بالحروب مقارنة مع الظروف العادية من العوامل المؤثرة في ارتفاع الأسعار لما يتبع ذلك من إجراءات لتوفير المال لمواجهة هذه الحروب. فكان تهديد تيمورلنك لحدود دولة المماليك سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م عاملاً هاماً في ارتفاع الأسعار في بلاد الشام. مما دفع محتسب القاهرة إلى تحصيل زكاة أموال التجار مسبقاً لمواجهة خطره[٣]. وعندما اتجهت عساكر تيمورلنك من تبريز إلى سمرقند باتجاه بلاد الشام ارتفعت الأسعار وبيعت غرارة القمح في الرملة بثلاثمائة درهم[٤].

وعندما قام الأمير يلبغا الناصري ومنطاش بالثورة على السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م ارتفعت مختلف أسعار السلع وأصبحت غرارة القمح بمائتي درهم وأزيد، ورطل اللحم بأربعة دراهم. وعلق ابن صصري على ارتفاع مختلف الأسعار «وكل شيء غالٍ»[٥]. ولما دخلت عساكر الناصري ومنطاش مدينة حلب وازداد الطلب على مختلف السلع، ظلت الأسعار مرتفعة إلى حين غادرت العساكر المدينة. فبيع رطل الخبز بدرهمين، وفقد الشعير والتبن من أسواق حلب لازدياد

---

(١) مكيال دمشقي يعادل الإردب المصري وتعادل ثلاثة أرادب مصرية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠٥. وهنتس، المكاييل، ص٦٤.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٣٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٨٣.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٧٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٦٧.

(٥) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٧٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استهلاك خيول العساكر[١]. وظلت الأسعار مرتفعة في دمشق وغيرها حتى سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م[٢].

وحين استقرت الظروف الداخلية بعد إخماد ثورة الناصري ومنطاش انخفضت الأسعار في مصر، وصار رطل الخبز بدرهم، وسُر الناس لذلك[٣]. أما الأسعار في بلاد الشام فلم تنخفض حتى سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م بسبب كثرة تخوف التجار من تجدد ثورة الناصري ومنطاش، ووصل سعر الخبز إلى درهم لكل ثماني[٤] أواق[٥]، وإردب القمح بثلاثة وخمسين درهماً[٦].

وللعوامل الطبيعية أثر واضح في حركة أسعار السلع التجارية، لاعتماد الزراعة في مصر على النيل. لذلك أقيم المقياس على النيل لمراقبة زيادة ونقص مياه النيل، وتولى ذلك موظف رسمي من قبل الدولة[٧]. وفي العادة يبدأ النيل بالزيادة في الحادي عشر من حزيران والرابع من تموز خلال أربعين يوماً، ويعلن عن وفاء النيل في منتصف آب، حيث تفتح السدود. ويبدأ فيضان النيل بالتباطؤ بعد أن يصل أقصاه في ٢٦ أيلول، ثم يبدأ بالتراجع في شهر تشرين الثاني[٨]. فإذا وصل مقياس النيل في الحد الأدنى إلى خمسة عشر ذراعاً تعرضت مصر إلى القحط. وإذا تراوح بين عشرة أو اثني عشر ذراعاً، فإن هذا يشير إلى

(١) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٠٠.

(٢) المصدر ذاته، ص١٠١.

(٣) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١١٦.

(٤) الأوقية، أحد مشتقات الرطل وتساوي ١٢/١ من الرطل. هنتس، المكاييل، ص١٩.

(٥) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٣٢-١٣٣.

(٦) المصدر ذاته، ص١٣٧.

(٧) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٨٥٩.

(٨) المصدر ذاته، ص٨٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارتفاع الأسعار في مختلف السلع التجارية ولا سيما الغلال. وإذا وصل المقياس إلى ثمانية عشر ذراعاً، فسوف تتعرض الأراضي الزراعية إلى الغرق، وعندئذٍ يشتد الخوف على الناس[١].

وبعد مضي ثمانين يوماً على وفاء النيل يحدد محتسب القاهرة مختلف السلع الأساسية كالغلال والخبز، واستناداً لفيضان النيل، والمناطق التي رويت بشكل جيد، والأراضي التي نالها الماء بإفراط، وتلك التي لم تأخذ كفايتها من الماء حسب مستوى الأراضي الزراعية. وعلى أساس هذه المعطيات تثبت أسعار السلع أحياناً[٢].

وحين توقف النيل عن الزيادة عند أقل من خمسة عشر إصبعاً من أصل عشرين ذراعاً في ٢٢ شوال سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م ارتفعت مختلف أسعار الغلال، وصار إردب القمح بثلاثين درهماً، وإردب الشعير بعشرين درهماً. وفي بداية ذي الحجة من السنة نفسها ارتفع سعر إردب القمح إلى خمسين درهماً[٣]، وظلت الأسعار مرتفعة حتى منتصف شهر ذي الحجة رغم زيادة النيل إلى خمسة عشر إصبعاً من أصل عشرين ذراعاً. فبطة الدقيق بأكثر من اثني عشر درهماً[٤]وإردب الشعير بعشرين درهماً، وإردب الفول بثمانية عشر درهماً[٥].

---

(١) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٨٥٩.

(٢) المصدر ذاته، ص٥٩٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣٨. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٩١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٢٣. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٧٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٢٣.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٢٣-١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد توقف النيل عن الزيادة في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م ارتفعت الأسعار، وخاف الناس بسبب ذلك، ثم ازداد ثلاثين إصبعاً[١]. وعندما توقف عن الزيادة في ٦ ذي القعدة سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م إلى أحد عشر إصبعاً من أصل ثمانية عشر ذراعاً تعرضت الأراضي الزراعية إلى الغرق، وارتفعت الأسعار، وصار إردب القمح بأربعين درهماً، وإردب الفول والشعير بعشرين درهماً وأزيد[٢]. كما ارتفعت الأسعار في مصر سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م مقارنة مع السنة السابقة نتيجة غرق مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، فبيع إردب القمح بثمانين درهماً، والشعير والفول بأربعة وخمسين درهماً، وبطة الدقيق بثمانين درهماً، وكل رطلين ونصف من الخبز بدرهم[٣]. وعندما انحسرت المياه بصورة مفاجئة ارتفع سعر الخبز كل أربعة أرطال بدرهم بعد أن كان ثلاثة أرطال بدرهم، لعدم زراعة مساحات واسعة من الأراضي الزراعية بسبب ذلك[٤].

أما الأراضي الزراعية في بلاد الشام فتعتمد بدرجة كبيرة على مياه الأمطار، مما يعني تأثر الزراعة بكميات سقوط الأمطار من سنة إلى أخرى، وتأثرها بموجات البرد والصقيع. فعندما انحبس المطر في بلاد الشام في موسم سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م وتعرضت مناطق البلقاء والمناطق المجاورة لها بموجة البرد والصقيع ارتفعت الأسعار، ووصلت غرارة القمح إلى ثلاثمائة درهم وفي القدس والمناطق المجاورة لها بدرهم وأزيد. وأكل الناس الشعير، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الشعير، وصار كل عشرة أرطال من طحين الشعير بخمسة عشر درهماً

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٦٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٣.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٢٢. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢١٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٩١.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤١٤.

(٤) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأزيد، وتعرض الناس لشدة. أما مناطق دمشق وما حولها فقد وصل سعر إردب القمح فيها إلى مائة وثمانين درهماً، ورطل الخبز العادي بدرهم، والخبز النقي (الخالي من الشوائب) عشرة أواق بدرهم (الرطل الشامي يساوي اثنتي عشرة أوقية). أما حمل التبن فبيع بأكثر من عشرين درهماً[١]. كما بيعت غرارة القمح بالقدس بأكثر من اثني عشر ديناراً، وجرة الماء بنصف درهم[٢].

وحين أصابت موجة البرد سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م أغلب المناطق التي تنتج الغذاء الأساسي في بلاد الشام مثل بعلبك والزبداني وصفد وتلفت الكروم ارتفعت الأسعار بشكل عام لقلة الإنتاج. فارتفع سعر الدبس من مئتين وثلاثين إلى مائتين وخمسين درهماً. والزبيب من مائتين إلى ثلاثمائة درهم. وتلف محصول القمح والشعير وبيع لأصحاب الأغنام والمواشي[٣]. ولم يتمكن الفلاحون من زراعة البطيخ والخيار[٤]. وفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٦م ارتفع سعر اللحم من خمسة دراهم إلى سبعة دراهم. وصار زيت الزيتون بستة دراهم، وزيت الشيرج بثمانية دراهم، والخبز بدرهمين وأكثر[٥]. بسبب تساقط الثلوج وتلف المحاصيل الزراعية.

وعندما أصيبت الأبقار في القاهرة وضواحيها بمرض الحمى سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٤م انخفض سعر الأبقار بشكل عام، وصارت تباع البقرة بعشرين درهماً بعد أن كانت تباع بأكثر من خمسمائة درهم، ولما ازداد تفشي الحمي بالأبقار انخفض سعر البقر إلى خمسة دراهم، وأحياناً إلى درهم. ولم يجد من يشتريه خشية الإصابة

---

(١) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٧٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٨٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٥٣.

(٣) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٢٤.

(٤) المصدر ذاته، ص٢٦٦-٢٢٧. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٨١.

(٥) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٦٥٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالحمى. كما امتنع الطباخون في مناطق الأرياف عن بيع الطبيخ باللحم البقري، وامتنع أغلب الناس من شراء اللحم البقري وأكله[١].

وقد ترتفع أو تنخفض أسعار المواد الطبية كالفواكه والبطيخ بسبب انتشار الأمراض بين الناس كالطاعون. ففي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م ارتفع سعر البطيخ والكمثرى في القاهرة وضواحيها لاستخدامه في علاج الطاعون، وصارت البطيخة بثلاثين درهماً، ورطل الكمثرى بعشرين درهماً[٢]. أما في بلاد الشام، فقد انخفضت أسعار الغلال بشكل عام في دمشق وحلب وحماة وبعلبك والرملة وحوران والأغوار لتفشي الطاعون، وتناقص عدد السكان في تلك المناطق بشكل ملموس وأصبحت غرارة القمح بأقل من مائتي درهم بعد أن كان بثلاثمائة وستين درهماً والشعير بتسعين درهم بعد أن كان بمئة وسبعين درهماً، ورطل الخبز الصافي بدرهم[٣]. وبلغ قنطار البطيخ العبدلي في مصر بدرهم[٤].

وتعد سياسية زيادة عرض السلع في الأسواق بحيث تصبح كمية المعروض منها في الأسواق أكثر من حاجة الاستهلاك من العوامل الهامة التي تؤثر في انخفاض الأسعار، كما يؤثر قلة عرض السلع في ارتفاع الأسعار. ففي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م ارتفعت أسعار الغلال في مختلف أسواق القاهرة. وفُقد من حوانيت القاهرة سبعة أيام متتالية، وازدحم الناس على الأفران بسبب قلة عرض الغلال

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٧٦٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٦٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٥٤.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٣٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧٧. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٠-٢٩١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٩٠.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٤٦٨.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١٧. وابن حجر العسقلانيو أنباء الغمر، ج٣، ص٢١٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الأسواق، حتى وصل إردب القمح غير المغربل إلى مئة وخمسين درهم. والقمح النقي بأكثر من مائتي درهم، وبطة الدقيق بأربعة وأربعين درهماً وكل رطل وربع خبز بدرهم. وفي الأول من شعبان من السنة نفسها وصل سعر غرارة القمح إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً، ووصل إلى أربعمائة درهم، وغرارة الشعير بثمانين درهماً وأزيد. وقد ترتب على ارتفاع أسعار القمح ارتفاع آخر في أسعار الخبز لقلة وجوده في الحوانيت والأفران، وتزاحم الناس على شرائه[١]. ويذكر ابن صصري (ت ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م): «أن الناس كانت تقف صفاً خلف بعضهم البعض من مطلع الشمس حتى المغيب لتحصيل الخبز حتى صار يباع الخبز عجين أسود كل سبع أواق بدرهم، وغالبية الناس لم تتمكن من الحصول على الخبز لقلته، وتزاحم الناس على شرائه. وكان الرجل يقف نصف نهار أمام الفرن ويتعطل عن عمله بأكثر من درهمين ليحصل على حاجته من الخبز». أما بلاد الشام كنيابة حلب وحماة وطرابلس، فقد ارتفع رطل الخبز إلى ثلاثمائة درهم ونصف[٢].

وقد ترتب على الإرتفاع المستمر في السلع الأساسية أن لجأت دولة المماليك إلى فرض تسعيرة محددة للقمح والشعير والخبز من أجل وضع حد للإرتفاع المستمر في الأسعار. فسعرت الدولة سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م رطل الخبز العادي بدرهم، والخبز المعروك[٣] عشرة أواق بدرهم، وغرارة القمح بمائة وخمسين درهماً. وحين لم تضع التسعيرة الأولى حداً للإرتفاع المستمر في الأسعار بسبب قلة العرض، أعادت الدولة النظر في التعسيرة مرة أخرى، وحددت سعر الخبز العادي كل رطلين وثلث بدرهم، ورطل الخبز المعروك بدرهم. وهذا يشير إلى أن عملية

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥٦.

(٢) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٦٦-٢٧٧. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٦١٨.

(٣) عَرَكَ: ما يُقطع من الخبز أي يعرك عركاً ثم يعجن ثانية ويحكم عجنه.

Doze, (عَرَكَ) . p. 121.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسعير السلع الغذائية الأساسية كانت خاضعة لكمية السلع المعروضة في الأسواق، وأن العامل الأساسي في ارتفاع الأسعار وانخفاضها هو العرض والطلب. فقد لجأت الدولة مرة ثالثة لإعادة النظر في التسعيرة ولا سيما تسعيرة الخبز، إذ أصبح الخبز العادي كل سبعة أواق بدرهم، والمعروك كل تسعة أواق بدرهم، والشعير الجديد بأقل من مائة درهم للإردب[١].

وعندما زاد عرض السلع الأساسية في الأسواق، بدأت الأسعار بالانخفاض بشكل ملموس وتدريجي. فانخفضت أسعار الغلال بالقاهرة سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م لكثرة الجلب، فبيع إردب القمح بمائة وثلاثين درهماً، أي بمعدل انخفاض عشرة دراهم للإردب الواحد. وكل رطلين من الخبز بدرهم. ثم انخفضت أسعار القمح لتصل إلى مائة وعشرين درهماً، ومائة وعشرة دراهم للإردب[٢]. وتوالت الأسعار في الانخفاض في منتصف جمادى الآخرة من السنة نفسها لكثرة ما جلب التجار من القمح، حتى أصبح إردب القمح بخمسين درهماً، والشعير والفول بثلاثين درهماً. ويذكر ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م): «أن الأسعار ظلت في انخفاض مستمر»[٣].

وواصلت أسعار الغلال في الانخفاض حتى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٩٨/ ١٣٩٥م لكثرة جلب الغلال إلى الأسواق، حتى بيع كل أربعة أرطال خبز بثمانية دراهم. وعندما أحس تجار القمح والغلال بعدم استرداد رأس المال، نتيجة الانخفاض المستمر في الأسعار وارتفاع ثمن الشراء، وارتفاع تكاليف النقل، امتنعوا عن البيع، وتحولوا بمراكبهم إلى الإسكندرية. ولما رأى أصحاب الطواحين

---

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٦٦١.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٥. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٧٨. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٩٢. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥٦.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٨-٤٣٩. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٨١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأفران تحول المراكب إلى الإسكندرية خفضوا كمية الخبز المطروحة في الأسواق والحوانيت أملاً في ارتفاع الأسعار وصار الناس إذا أحْضر قفص فيه خبز إلى حوانيت الخبازين خطفوه من على رؤوس الحمالين[١].

لذلك تزايدت الأسعار مرة أخرى في أول شباط سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م لقلة جلب الغلال إلى مصر. وفقدان الخبز من أسواق القاهرة وضواحيها. وضاق الناس من هذا الحال بسبب ذلك، واقتتل الناس على الأفران، وصار يباع رطل الخبز بدرهم ونصف إن وجد، كما ارتفع القمح إلى مائة وخمسين درهماً للإردب، وثمانية وخمسين، وسبعين درهماً. أما إذا غربل ونقي من الشوائب العالقة به صار كل قدح بدرهمين وأزيد، وبطة الدقيق بأربعة وأربعين درهماً، وكل رطل وربع خبز بدرهم[٢]. فاستعانت العامة بالسلطان برقوق لاتخاذ بعض الإجراءات للتخفيف من حدة ارتفاع الأسعار المستمر. فأمر السلطان برقوق الأمير علاء الدين ابن الطبلاوي المحتسب بتسمير عدد من الطحانين وتجار الغلال على ألواح الخشب كإجراء تأديبي لتلاعبهم بالأسعار. وضرب محتسب القاهرة أربعة من كبار الطحانين في القاهرة بالسياط والعصي، وأصدر أمراً يقضي بالإكثار من الخبز[٣]، ولكن الإجراءات التي اتخذت بحق الطحانين والتجار كانت غير كافية، بدليل عدم اكتراثهم بما اتخذ بحقهم من إجراءات تأديبية إذ في اليوم التالي قطع الخبازون الخبز زنة كل رغيف بربع درهم، وتعذر وصول الخبز في كثير من الأحيان إلى حوانيت الخبازين أو الأفران، وارتفع سعر قدح القمح إلى درهم ونصف، ودرهم وسدس. وأصبح قدح الشعير بربع وسدس درهم بعد أن كان بعشرة فلوس[٤].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥٩. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٨١-٢٨٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٣٠.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٤-٤٣٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٨١-٢٨٢.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٩. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٤٢.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعدم قدرة المحتسب من السيطرة على ارتفاع الأسعار لجأ إلى الاختفاء، والإقامة في بيته خوفاً من تعرض العامة إليه بالضرب أو الرجم لارتفاع إردب القمح إلى مائة وعشرين درهماً، وإردب الشعير ستين درهماً[١]. كما لجأ التجار لاحتكار بعض السلع الأساسية رغبة في زيادة الرّبح مما كان له أثر واضح في حركة الأسعار واضطرابها. فابن النشو[٢] أحد كبار سماسرة وتجار الغلال كان يشتري الغلال ويعمل على تخزينه للحصول على سعر مرتفع، لذلك لجأت الدولة إلى تسعير الغلال على السماسرة والطحانين، فحدد محتسب القاهرة الخبز النقي بدرهم، ورطل الخبز الأقل جودة بدرهم، وكل رطل وثلث بدرهم، فاستكثر ابن النشو تحديد المحتسب للأسعار مدعياً الخسارة رغم اعتراف أحد أصحاب الأفران بالربح الوفير لبيعه رطلين وثلث من الخبز بدرهم، ورطلين ونصف بدرهم مما دفع العامة إلى رجم ابن النشو بالحجارة[٣]، وقتله.

وعندما منع أمير مكة التجار من جلب القمح من القاهرة إلى مكة سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٦م ارتفعت أسعار القمح بشكل عام. ولما تمكنت إحدى القوافل المحملة بالقمح دخول مكة انخفضت الأسعار وبيعت ويبة القمح بعشر دراهم بعد أن كانت ثلاثين درهماً[٤].

كما استغل بعض الناس إثارة الإشاعات حول ارتفاع الأسعار أو انخفاضها للاستفادة من ذلك. ففي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م أثيرت إشاعات عن انخفاض الأسعار

---

(١) ابن الفرات، م٩، ج٢، ص٤٣٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٦٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٣٠.

(٢) ابن النشو ناصر الدين محمد أحد كبار تجار الغلال مات مقتولاً سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م). ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٠٧-٢٠٨. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٣) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٣٨. وابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٦٤. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٧٨.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند دخول السلطان برقوق القاهرة، مما دفع تجار الغلال إلى بيع كميات الغلال المخزنة عندهم خوفاً من انخفاض الأسعار والخسارة فيه. وحقيقة الأمر أنه عندما دخل السلطان القاهرة ارتفعت مختلف أنواع السلع الأساسية كالحبوب والغلال والأطعمة. وصار إردب القمح بسبعين درهماً، والفول والشعير بحوالي أربعين درهم للإردب، وحمل التبن الأبيض بأكثر من عشرة دراهم[١]. وربما يكون وراء هذه الإشاعة بعض التجار لجعل الآخرين يبيعون ما عندهم من سلع فترتفع الأسعار، ويبيعون هم بسعر أعلى.

وظلت حركة الأسعار في تذبذب مستمر بين ارتفاع وانخفاض بسبب كثرة الإشاعات ولم تستقر على سعر. فصار إردب القمح بأربعين درهماً، ثم ارتفع إلى ستين درهماً وأزيد وأنقص وحمل الطحين بمائة وعشرين درهماً، ثم انخفض إلى سبعين درهماً، ثم ارتفع. وصار كل ثلاث أرطال خبز بدرهم، وقدح الأرز بدرهمين أو قريب من ذلك، بعد نصف درهم، وربع درهم، وقدح التمر بدرهمين، ورطل السكر بستة دراهم، وكل رطلين من الجبنة المقلية بدرهم ونصف، وبدرهم وربع، ورطل لحم البقر بدرهم، واللحم السميط بدرهم وربع، واللحم السليخ بدرهم ونصف، «ولم تستقر الأسعار على شيء»، كما ارتفعت أسعار المأكولات وغيرها وقل البيع والشراء لقلة المال مع الناس[٢]. وفي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م ارتفعت أسعار القمح إلى ستة وستين درهماً للإردب، وإردب الشعير والفول إلى ثلاثين درهماً[٣]، ثم انخفضت الأسعار مرة أخرى في ٢ محرم سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م وصار إردب القمح بستين درهماً[٤].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٩٩. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٤٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢٦، وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٣٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٩٩.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٩٩. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٤٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٣٨.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٠٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٣١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠٣.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٢٧. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد ظلم رجال الدولة من أمراء وولاة عاملاً مؤثراً آخر في ارتفاع الأسعار، ولا سيما بعد وصول كثير من موظفي دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق إلى مناصبهم عن طريق الرشوة[١]. ولتحصيل ما دفعوه على سبيل البذل والبرطلة من التجار أهملوا مراقبة أساليب التجار في التلاعب بالأسعار. فحين تولى القاضي بهاء الدين بن البرجي الحسبة في القاهرة ارتفعت أسعار الغلال، وصار إردب القمح بثلاثين درهماً بعد ثمانية وعشرين درهماً، وبطة الدقيق بأربعة عشر درهماً، وأقل من خمسة أرطال خبز بدرهم[٢]. وحين وصل سالم ابن شاد الدواوين بمصر إلى الأرياف سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م لتحصيل الأغنام وتوفيرها للمطبخ السلطاني أثناء إقامة السلطان في دمشق، ارتفع سعر اللحم، وصار الرطل بخمسة دراهم وأزيد[٣].

---

(١) راجع الفصل الأول البذل والبرطلة (الرشوة).

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٥٧.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- واردات الدولة (الضرائب):

تشكل الضرائب التي كانت تفرضها دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق، كالخراج، والجوالي، وضريبة المراعي، والمبادلات التجارية، وضريبة ما يستخرج من المعادن، والمواريث الحشرية، وما يتحصل على النقود من دار الضرب، والمكوس أهم واردات الدولة. فشكلت هذه الضرائب عاملاً أساسياً في ارتفاع الأسعار، بسبب ارتفاع الضرائب التي كانت تفرضها الدولة على الأراضي والسلع التجارية.

أ- الخراج (ضريبة الأرض):

هو مقدار من المال أو الحاصلات، يفرض على رقبة الأراضي التي صُولح عليها المشركون[١]. وتختلف باختلاف البلاد. فالوجه القبلي (الصعيد) يؤخذ أكثر خراجه من الغلال، كالقمح، والحمص، والفول، والعدس، والجلبان. ويتراوح ما بين إردبين إلى ثلاثة أرادب لكل فدان من الأصناف المذكورة. وقد يتعرض للزيادة والنقص، ويؤخذ مع كل إردب من الغلال درهم أو درهمان أو ثلاثة دراهم، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها في الزيادة والنقص في الأرادب والدراهم. وقد يؤخذ خراج بعض المناطق نقداً. أما الأراضي البور (التي لم تزرع) فيباع ما ثبت فيه من المراعي معجلاً، أو حسب أعداد المواشي الراعية من الإبل والبقر والغنم على حسب عُرف البلاد. أما الوجه البحري فأغلب خراج أراضيه يُؤخذ نقداً[٢].

وقد طرأت عدة تطورات على نظام تأجير الأراضي وذلك بين سنة ٧٩١هـ-٧٩٩هـ/ ١٣٨٨م-١٣٩٦م وسنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أصبح يؤجر الفدان الذي كان مزروعاً بالقرط والفول (أثر الباق) بأربعين درهماً،

---

(١) ابن جماعة، تحرير الأحكام، ص١٠٢. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٠-٥٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأراضي التي كانت مزروعة بالقمح والشعير (البرايب) بحوالي ثلاثين درهماً. ثم ارتفع السعر إلى أكثر من ذلك بسبب ارتفاع أسعار الغلال. حيث جاوز الفدان الذي كان مزروعاً بالقرط والفول بحوالي مائة درهم، والأراضي التي كانت مزروعة بالقمح والشعير بحوالي ثمانين درهماً. أما الأراضي التي أزيلت منها مخلفات الزراعة السابقة (البرش) فكانت تؤجر بنحو مائتي درهم[١]. أما في سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م فقد ارتفعت أجرة الأراضي. حيث صار يؤخذ عن كل فدان من الأراضي التي كانت تزرع بالقرط والفول حوالي أربعمائة درهم. وربما تصل الأراضي الجيدة إلى ستمائة درهم. والأراضي التي كانت تزرع بالقمح والشعير قريباً من ذلك. أما إذا كانت ضريبة الأراضي تؤخذ في بعض مناطق مصر من الغلال وحصل نقص في صنف من الأصناف فيؤخذ بدل ذلك من صنف آخر من الغلة. فكان يؤخذ بدل إردب القمح، إردبان من الشعير، وإردب ونصف من الفول، وإردب من الحمص، وإردب ونصف من الجلبان. ويؤخذ عن كل إردب ونصف من الشعير إردب من القمح. أو ثلث إردب فول، أو نصف إردب قمح، أو ثلثا إردب جلبان، ويؤخذ عن كل إردب فول إردب قمح، أو إردب ونصف شعير، أو ثلثا إردب حمص، أو إردب جلبان[٢].

وكانت ضريبة الأراضي بمصر تقدر تبعاً لحالة النيل. فكانت مساحة الأراضي الزراعية في القرية تقدر بمبلغ محدد، دون زيادة أو نقص ويكون الخراج على أساس ذلك[٣]. أو تقدر حسب مساحة الأراضي المزروعة، واختلاف الري فيها، بالزيادة والنقص في السنين.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢١.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٢٢.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتحصيل ضريبة الأراضي في دولة المماليك كان يخرج كاتب خراج الناحية يطلب موظفي الدولة بذلك البلد ويوزع الأراضي على الفلاحين بفدن مقدرة، ثم يكتب أوراقاً بذلك تسمى أوراق المسجل، توضع في ديوان صاحب الإقطاع. وعند نماء الزرع، يخرج المباشرون من ديوان الإقطاع، ويمسحون الأراضي المزروعة المسجلة بأسماء الفلاحين، ثم يكتب بذلك أوراقاً تسمى الفنداق[١]، ثم تجمع القبائل[٢] بأوراق تسمى تأريج القبائل[٣]، ثم تكتب أسماء الفلاحين في سجلات خاصة، ويقابل بين ما اشتملت عليه أوراق المسجل، وما اشتملت عليه المساحة. وفي الأغلب كان يزيد عن أوراق المسجل، ويجمع ذلك وتنظم به أوراق تسمى المكلفة[٤] يوقع عليها الشهود وحاكم العمل، ويحتفظ بنسخ منها في ديوان المقطع[٥].

وكانت ضريبة الأراضي الزراعية في بلاد الشام تؤخذ بعد أن يُلزم مباشر الخراج رؤساء البلاد بتكميل زراعة الأراضي وحراثتها. واصطلح على ذلك أن يقولوا: (أحمر وأخضر)، ويقصد بالأحمر الحراثة الكراب، والأخضر المزروعات الشتوية كالقمح والشعير والفول والحمص والعدس والكرسنة. والصيفية كالذرة والدخن والسمسم والأرز والقطن[٦].

---

(١) الذي تكتب فيه المساحات حال قياسها. النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٠.

(٢) الأراضي التي يقبلها أصحابها ، أي يضمنونها بمبلغ من المال يؤدونه في كل سنة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٦.

(٣) الأوراق التي يبسطها مباشر المساحة بما في السجلات ويختمها بما انتهت إليه المساحة. النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٠.

(٤) بعد نضوج الزرع وإثباته في أوراق مربوطة، تضم جميع هذه الأوراق ثم تنظم ويكتب فيها أوراق تسمى المكلفة، يسلم منها نسخاً لديوان المقطع. وهو من صلاحيات مستوفي الصحبة. النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٠.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٥-٥٢٦.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٧-٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد انتهاء الفلاحين من حراثة الأراضي وزراعتها، يكتب مباشر الخراج على رؤساء البلاد الذين يشرفون على الأراضي الزراعية أوراقاً تقضي بعدم ترك شيء من الأرض دون زراعة (بور)، واشترط في حالة ترك جزء من الأرض دون زراعة معاملتها كالأرض المزروعة. وبعد الانتهاء من الزراعة وابتداء الزرع بالنماء يخرج الوكلاء إلى الأراضي المزروعة لحفظ المزروعات ومراقبتها إلى حين موعد الحصاد، ونقلها إلى البيادر[١] لدرسها[٢].

وبعد الانتهاء من جمع المحاصيل في البيادر، تحفظ الغلال استعداداً لعملية الدِّراس، ثم يخرج المذرّي للإشراف على تنقية الغلال من الأقصال وتنظيفها، ثم يخرج والي العمل والمباشرون إلى الجهة المعنية، ويوزعون البيادر على ضريبة الناحية. وعادة ما تكون مقاسمة (أو مناصفة) في أراضي السقي (المروية)، ومثالثة ومرابعة في مختلف المناطق الخالية من السكان. ومسابعة ومثامنة في المناطق المجاورة لسواحل البحر والمتاخمة لبلاد العدو[٣]. وبعد الانتهاء من توزيع الأراضي على ضريبة الناحية، يأخذ المباشرون حصة الديوان من الغلال، ويقدر ما بقي من الأقصال ومخلفات النباتات، ثم يؤخذ منه حصة الديوان من نسبة المقاسمة ويكمّل على الفلاحين حسب ضريبة الناحية[٤]. والنتيجة لا يبقى للفلاح سوى ما يسد جوعه.

---

(١) الموضع الذي تُدرس فيه الحبوب.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٨.

(٣) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٥٨-٢٥٩. وطه الطراونة، مملكة صفد، ص١٧٩.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الجوالي:

وتسمى من الناحية الفقهية بالجزية. وكانت تفرض في كل سنة على غير المسلمين[١]. وتقسم إلى قسمين: الأول ما يؤخذ من الفسطاط والقاهرة، حيث كان السلطان يعين ناظراً يتولى جباية الجزية بتوقيع شريف، يساعده مباشرون وشادون وعمال وشهود، وحاشر أو (النشو)[٢]. وهو موظف رسمي للدولة من اليهود أو النصارى يعاون الناظر في جباية الجزية من طائفته لمعرفته بأحوالهم، والأسماء الواردة في الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ من الصبيان سن البلوغ، والقادمين إلى القاهرة ومصر، أو من يموت وله اسم في الديوان، ويُعلم كتّاب الديوان بما طرأ عليهم من تجديد[٣].

وكا نت دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق تحصل الجزية من أهل الذمة أعلاها خمسة وعشرون درهماً وأدناها عشرة دراهم، تحصل معجلة في شهر رمضان، ويخصص جزء من متحصلها في كل سنة إلى بيت المال. والباقي يوزع على القضاة وأهل العلم والدّيانة. أما خارج القاهرة، فقد كانت الدولة تقطع الجزية للأمراء فتجري في إقطاعاتهم. أما إذا كانت الجزية جارية في بعض الدواوين السلطانية مثل ديوان الخاص وديوان المفرد فإن المتحصل منها للديوان[٤]. حيث بلغت قيمتها ستين ألف درهم في السنة[٥]. ثم ألغى السلطان برقوق جبايتها سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م واستمرت كذلك حتى نهاية حكم السلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م[٦].

---

(١) ابن جماعة، تحرير الأحكام، ص٢٥٠. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٣٠.

(٢) يبدو أن والد ناصر الدين محمد ابن النشو قد عمل في هذه الوظيفة وأطلق عليه اسم النشو بسبب ذلك.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٠.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٣٠-٥٣١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٧. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١١.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٥. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٥٠٠. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- ضريبة المراعي:

أشار القلقشندي إلى وجود هذه الضريبة في مصر أثناء فترة حكم المماليك، حين كانت تؤخذ من أهل برقة والشرقية في مصر على المواشي كالغنم والإبل والبقر عند وصولهم إلى عمل البحيرة للرعي. وفي أغلب الأحيان كانت تقطع دولة المماليك ضريبة المراعي للأمراء[١]. أما مقدار هذه الضريبة؛ فقد ذكر المقريزي بأنها كانت تؤخذ في كل سنة من الإبل والخيل والغنم دون أن تحدد قيمتها. ثم ألغاها السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م لاستجلاب خواطر العامة أثناء ثورة يلبغا الناصري واستمرت كذلك حتى نهاية حكم السلطان برقوق[٢]. كما أشار النويري إلى وجود هذه الضريبة في بلاد الشام. ويذكر بأنها كانت ضريبة مقررة، تؤخذ مقابل رعي المواشي من نباتات الأرض[٣].

د- ضريبة المبادلات التجارية:

وهي ضريبة كانت تفرضها دولة المماليك على السلع التي يجلبها التجار المسيحيون واليهود إلى مصر عن طريق البحر بنسبة العشر ١/١٠. ويذكر القلقشندي: «والمفتى به في المذهب الشافعي أن يزيد الإمام في أخذ العشر، وأن ينقص عنه إلى نصف العشر للحاجة إلى زيادة جلب البضائع إلى بلاد المسلمين، وأن يرفع ذلك عنهم رأساً إذا رأى فيه المصلحة»[٤].

وكانت الدولة تأخذ الخُمس وهو ضعف العشر على ما يرد من مراكب اليهود والمسيحيين إلى الإسكندرية ودمياط للبيع أو التزود بما تحتاج إليه من السلع، وربما يزيد على الخُمس[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٣٤٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٧. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٤٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٢١.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٢. والطراونة، مملكة صفد، ص١٨٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٥١. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٦٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣١. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ- ما يستخرج من المعادن:

كانت دولة المماليك تفرض ضريبة على ما يستخرج من معدن النطرون من منطقة البحيرة من مصر، من بلدة الطرانة، ومنطقة الخطارة. وكان على معدن النطرون مرتّبُون من كتّاب الدست والدرج، والأطباء، وأطباء العيون (الكحالين) وجماعة من أصحاب الصدقات لاستخراجه، وينفقون على حمله إلى ساحل النيل، وبيعه للتجار ونقله في المراكب إلى الوجه القبلي. ويذكر القلقشندي: «أن قيمة النطرون تضاعفت، وعلا سعره»[١] لاحتكاره من قبل السلطان برقوق. وتقدر قيمة قنطار النطرون بنحو ثلاثمائة درهم. ويبدو أن السلطان برقوق جعل النطرون في أواخر سلطنته سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م خالصاً له وجارياً في الديوان المفرد تحت إشراف الإستادار. ويحمل إلى الإسكندرية والقاهرة، ثم يخزن في الشون السلطانية تمهيداً لبيعه[٢].

و- المواريث الحشرية:

كانت دولة المماليك تفرض ضريبة معينة على مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق كل المال ولا عاصب له، ويتولى الإشراف على المواريث الحشرية في مصر موظف يسمى (ناظر المواريث الحشرية) بتوقيع شريف من قبل السلطان، يساعده شاد، وكاتب، ومشرف، وشهود. وهي مضافة إلى نظر الوزارة. والمتحصل من المواريث الحشرية يحمل إلى بيت المال، وربما يكون عليها مرتبون من أرباب الجوامك. ويتولى كاتب الديوان كتابة اسم من يموت في القاهرة ومصر من حشري أو أهلي، وتفصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى. ويكتب نسخاً منها لديوان الوزارة، ولنظر الدواوين ومستوفي الدولة، وتسد وقت العصر. أما خارج مصر والقاهرة فقد كان للمواريث الحشرية عدد من المباشرين يتولون تحصيلها ونقلها إلى الديوان السلطاني[٣].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٨-٥٢٩. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٢٨-٥٢٩.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٣٢-٥٣٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٦٦-٨٦٧. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ز- ضريبة ما يتحصل على النقود من دار الضرب:

وهي ضريبة كانت تفرض على ما يجلب إلى مصر من التبر إلى دار الضرب في القاهرة والإسكندرية من بلاد التكرور[١].

ح- المكوس (المكس):

فرضت دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق المكوس على التجار عند نقل البضائع من بلد إلى آخر[٢]، حيث كانت تأخذ المكوس على الخضار والفواكه[٣]، والغلال[٤]، كما أخذت المكوس بثغر دمياط على ما يشتري الفقراء من الغلال من بين إردبين إلى ما دون ذلك[٥]، وعلى معمل الفراريج[٦]، بالنحريرية[٧] والمناطق المجاورة لها من بلاد الغربية ، وطرابلس[٨].

كما أخذت الدولة المكوس على الدريس، والحلفا، وضمان المغاني بمدينة الشوبك والكرك، ومنية ابن خصيب، ومنية غمر[٩]. وعلى ما يجلب من الملح والأملاك من حلب وعينتاب، والدقيق بالبيرة[١٠]، والنشا والنحاس، والجلود[١١]. كما أخذت الدولة مبلغ خمسمائة درهم على الشخص الواحد من القضاة وولاة الأعمال بمدينة طرابلس عند قدوم النائب إليها، أو بغلة بدل ذلك. وتسمى (مقرر النائب)[١٢].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٣.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٣١. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١١.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٧٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٢٢.

(٥) العيني، عقد الجمان (حوادث ٧٩٩- ٨٣٠هـ)، ورقة ١٩ أ، ب. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٥.

(٦) نوع خاص من الأفران لتفقيس البيض، يتكون من عدة طوابق، الطابق العلوي فيه ثقب من الأعلى، توقد فيه ناراً هادئة، وبعد ستة أيام من وضع البيض تبدأ الفراخ بالتفقيس. ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٩٢-٥٩٣.

(٧) وتعرف بالنحارية إحدى قرى كفر الزيات بمديرية الغربية بمصر. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١١١.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٥. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٩٣.

(٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١١٠-١١٢.

(١٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٣٢.

(١١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٩.

(١٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١١٠-١١٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تشدد الفقهاء في موقفهم من تحريم الضرائب والمكوس، فيذكر ابن جماعة: «وأما ما يؤخذ من الضرائب والأعشار من تجارات المسلمين المنقولة من بلد إلى بلد، وعلى ما يباع من أنواع الأموال فحرم شرعاً ولا يبيحه شرع ولا يجيزه عدل بل هو مكوس معينة وظلامات بينة»[١]. واعتبر القلقشندي المكوس من المظالم التي فرضتها الدولة على الناس، وقد عمت البلوى بها، وخرجت عن الحد، ودخلت الشبهة في أموال كثير من الناس[٢]. وعندما أنكر القاضي شهاب الدين أحمد بن الجندي الشافعي- أحد فقهاء ناحية دمنهور على الضامن ما يؤخذ من المكوس وقال: «لا يحل ولا يجوز» فضربه السلطان برقوق ومنعه من الإقامة في دمنهور[٣].

وأقامت دولة المماليك مراكز لتحصيل المكوس على سواحل بحر القلزم (السويس)، وعيذاب، والقصير من تجار الكارم على البضائع والسلع التي تنقل بواسطة السفن من الحجاز واليمن إلى قوص[٤]. ومراكز أخرى على الطريق البري لتحصيل المكوس على السلع الواصلة من بلاد الشام والعراق وغيرهما إلى مصر. وتعد قطيا مركزاً هاماً لتحصيل المكوس. فكانت تؤخذ الضرائب والمكوس على مختلف أنواع السلع المارة عبر هذه الطرق[٥]. ففي سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م حصلت الدولة من مركز قطيا مبلغ ستين ألف نصفية[٦] مكوساً على البضائع القادمة من بغداد؛ من ثياب بغدادية وحموية وموصلية ودمشقية، وسلع أخرى[٧].

---

(١) ابن جماعة، تحرير الأحكام، ص١٤٥.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٨. وانظر المقريزي، الخطط، ج١، ص١١١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٦.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٣٨.

(٦) قماش من نسيج الحرير والكتان. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٢٥.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الدولة تفرض المكوس على التجار حسب حاجتها في تغطية بعض النفقات. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م ألزم الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الغنام مباشري المكوس تحصيل مكوس المبيعات من التجار لتغطية نفقات الجيش أثناء ثورة يلبغا الناصري، فامتنع التجار عن دفع المكوس اعتماداً على المناداة بإبطال المكوس. غير أن السلطان برقوق ألزم المباشرين بمطالبة التجار والباعة بمكس ما تم بيعه من البضائع. فكثر بسبب ذلك اضطراب الناس، وتزايد طعنهم وهزؤهم بالدولة وعبروا عن ذلك «السلطان من عكسه عاد في مكسه»[١].

وتسامحت الدولة في بعض الأحيان في تحصيل المكوس وإزالة المظالم بصورة مؤقتة لتهدئة خواطر الناس أثناء الفتن والثورات. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أبطل السلطان برقوق سائر المكوس من مصر وأعمالها. وألغى مراكز تحصيلها لتهدئة الناس أثناء ثورة الناصري[٢]. وعندما انتهت الفتنة بخلع السلطان برقوق من السلطنة، وتسلم الأمير حاجي بن شعبان أعيدت المكوس إلى ما كانت عليه سابقاً[٣].

وحين عاد السلطان برقوق ثانية إلى الحكم، أبطل مختلف أنواع المكوس من مصر وبلاد الشام؛ فأبطل المكوس التي كانت تؤخذ من أهل البُرلس[٤] وشورى وبلطيم[٥] في كل سنة التي تقدر بحوالي ستين ألف درهم. وأبطل مكس ما يؤخذ في دمياط على ما يشتري الفقراء من القمح من إردبين إلى ما دون ذلك، كما أبطل

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٣-٦٠٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٧.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٠٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٩-٢٧٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٢٤.

(٤) بليدة صغيرة على النيل قرب البحر من جهة الإسكندرية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٥٢.

(٥) شورى وبلطيم من نواحي البرلس من أعمال نستروة وهما من المصايف. ابن دقماق، الانتصار، ج٥، ص١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكس معمل الفراريج بالنحريرية والأعمال الغربية، وما يؤخذ على الدريس والحلفا بباب القصر خارج القاهرة، وضمان المغاني بمنية ابن خصيب بالأشمونيين وزفتة بالأعمال الغربية في مصر[١]. ومكس النشا والنحاس والجلود[٢]. وما كان يؤخذ في كل شهر من البترداري. وما يأخذه السماسرة من الناس في كل شهر عند شراء الغلال وقيمته درهمان عن كل إردب سمسرة وكيالة[٣]. وكتب السلطان برقوق بذلك مراسيم شريفة ومساميح أودعها عند قاضي القضاة الشافعي[٤].

٧- السياسة النقدية:

عرفت دولة المماليك أثناء حكم السلطان برقوق ثلاثة أنواع من النقود هي: الدنانير الذهبية، والدراهم الفضة، والعملات النحاسية مثل: الدراهم النحاسية المضروبة على وزن الدرهم، وتسمى دراهم الفلوس أو دراهم من الفلوس، والفلوس وهي أصغر الوحدات النقدية في دولة المماليك. وأقلها قيمة في التعامل[٥].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١١٠-١١١. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٥-٩٤٦. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٦-١٠٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٥.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٣٢.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٧. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢١١. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٣٢.

(٥) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص٢٨٤-٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت النقود في دولة المماليك تضرب بدار الضرب بالقاهرة[١]، والإسكندرية[٢]، وقوص[٣]. وضربت الدنانير باسم السلطان برقوق في ماردين والموصل وسنجار وتبريز[٤]. وكان قاضي القضاة يشرف على دار الضرب وضبط عيارها[٥]، وقد عين السلطان برقوق بعض الأمراء للإشراف على دار الضرب. فذكر ابن الفرات «أن السلطان برقوق رسم للأمير علاء الدين بن الطبلاوي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م أن يتحدث في دار الضرب بالقاهر فتحدث فيها في تاريخه»[٦].

وتتم عملية ضرب النقود بسبك النحاس أو الفضة حتى تصبح سائلاً ثم تصب على شكل قضبان. وتقطع من أطرافها خمسة عشر درهماً، ثم تسبك، فإن خلص منها أربعة دراهم ونصف فضة حساباً على كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت إلى أن يصبح عيارها صحيحاً وهو ثلثان فضة، والثلث نحاس، وقد يزيد النحاس على الثلث بحيث يظهر النقد[٧]. وأما الفلوس، فتضرب من النحاس الأحمر والأصفر[٨]، ولا تخضع للتدقيق والفحص كما هو الحال بالنسبة للنقدين، الذهب والفضة، فقد وجدت بعض الفلوس غير المطبوعة، وداخلها كثير من النحاس المكسر من الأحمر والأصفر. وغالباً ما يعبر عنها «بالفلوس العتق»[٩]. إشارة إلى ما بها من غش، أو لحق بها من قطع أو مسح[١٠].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤١٠-٤١١. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٤. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٩٥.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ٣٤٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥١٤. وابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٧، ص٦.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٥٧. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠.

(٦) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤١٠-٤١١.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٥.

(٨) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٣٥.

(٩) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص٢٨٧.

(١٠) المرجع نفسه، ص٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يكتب على أحد وجهي النقود عبارة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كُلِه ولو كره الكافرون» وعلى الوجه الآخر اسم السلطان الذي ضرب في زمنه وتاريخ سنة ضربه[١].

أ- الدنانير:

عرفت مصر نوعين من الدنانير وهما الدنانير الهرجة، والمشخصة:

١- **الدنانير الهرجة**: وهي دنانير خالية من الغش، زنة كل دينار مثقال واحد كتب على أحد وجهيه «محمد رسول الله» وعلى الوجه الآخر «ضرب بالإسكندرية»[٢].

٢- **الدنانير المشخصة (الأفرنتي)**: وهي دنانير تجلب من بلاد الفرنجة، وبيزنطة وهي معلومة الأوزان، فكل دينار تسعة عشر قيراطاً ونصف مصري، واعتباره بصنج[٣] الفضة المصرية كل دينار زنته درهم وحبتي خروب يرجح قليلاً، وهي دنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولص الحواريين. وتسمى بالدنانير الأفرنتية أو الإفرنجية أو الدوكات[٤]. ذكر القلقشندي أن صرف الدنانير المصرية سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وما بعدها عشرون درهماً، والأفرنتي سبعة عشر درهماً أو ما يقارب ذلك[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٤. وانظر إبراهيم طرخان، المماليك الجراكسة، ص٣٠٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٠٧.

(٣) أوزان خاصة من الزجاج طبع عليها شكل الدرهم أو الدينار ونقوشه بتعيين أوزان النقود. عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق، ص٢١١. وهنتس، المكاييل، ص١١.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٠٧-٥٠٨.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ص٥٠٨-٥٠٩. والعيني، عقد الجمان (حوادث ٧٩٩-٨٣٠هـ)، ص٩٥.
Bacharch, Study, p.p. 162-164.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بلاد الشام تعاملت بالدنانير المصرية وزناً، والدنانير الأفرنتية عداً، ولم تختلف عنها في مصر، سوى أن الصنجة في أوزان الذهب في مصر تخالف الصنجة في بلاد الشام إذ تنتقص الصنجة في الدراهم الشامية عن الصنجة المصرية كل مائة درهم درهم واحد[١].

وقد ضربت الدنانير أثناء فترة حكم السلطان برقوق، ذكر القلقشندي قال: «في سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م عقد السلطان برقوق على ابنة حسين بن أويس وقد بلغ صداقها ثلاثة آلاف دينار، وكان صرف الدينار ستة وعشرين درهماً ونصف الدرهم»[٢]. ويبدو أن الدنانير الذهبية التي ضربت أثناء فترة حكم السلطان برقوق ثقيلة الوزن، وتجاوزت وزن المثقال، ويبدو أنها استخدمت في المعاملات التجارية الكبيرة، وقد تراوحت أوزانها ما بين ٦-١٦ و ١٨ غم، وأقطارها ما بين ٢٤-٣٠ ملم[٣]. كما وجدت بعض الدنانير التي تقل في وزنها عن المثقال، ووصلت إلى ٣,٦٧ غم[٤].

ب- الدراهم الفضية:

وتعرف بالدراهم النقرة وهي ثلثا فضة وثلث نحاس[٥]، تسك بدار الضرب بالسكة السلطانية، يكون منها دراهم صحاح، وقراضيات مكسرة، وزنة الدرهم أربعة وعشرون قيراطاً، وتقدر بست عشرة حبة خروب، فتكون كل خروبتين بدرهم، وهي أربع حبات من حب البُر المعتدل. وتكون الدراهم من الدنانير نصفه أو خُمسه، ربما سبعة أعشاره أي كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم[٦].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٧.

(٣) Lane-Poole, Catalogue, p. 192.
وسعيد صالح، التجارة الداخلية، ص٢٩٠.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٩٠.

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص١٤٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣٠.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ضربت الدراهم الفضة أثناء فترة حكم السلطان برقوق سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م وجعل اسمه فيها داخل دائرة[١]. وعندما أمر بتجهيز بعض العساكر إلى دمشق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أنفق فيهم ألف درهم فضة[٢]. وفي ١٣ ربيع الأول سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م وجد للأمير محمود الإستادار في مكان خَرِب زيران فضة نقرة زنة ذلك ألف ألف درهم ينقص قليلاً حملت إلى الدور السلطانية[٣].

ويذكر القلقشندي أن التعامل بالدراهم الفضية قد بطل في مصر باستثناء القليل منها بعد سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بسبب استهلاكها في صناعة السروج والآنية، وانقطاع الواصل من الفضة إلى مصر من بلاد الفرنجة، وقد قل التعامل بالدراهم الفضية لقلة وجودها[٤].

جـ- الفلوس:

تعد الفلوس أصغر وحدة نقدية تعاملت بها دولة المماليك. حيث لا يشترى بها شيء ذو قيمة عالية، وإنما اقتصر على استعمالها في نفقات الدور. فلما تولى الأمير جمال الدين محمود الاستادار أمور الأموال السلطانية، استكثر من سك الفلوس، وصارت الفرنج تحمل النحاس الأحمر إلى مصر رغبة في الربح، وبقي ضرب الفلوس عدة سنوات في مصر، والفرنج تأخذ ما بمصر من الدراهم إلى بلادهم، وأهل مصر تسك الفلوس حتى كادت تفقد منها[٥].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص١٤٣. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٥٧. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٦٠٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٠٠.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٥.

(٥) المقريزي، شذور العقود، ص٣٩. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقسم الفلوس إلى فئتين: مطبوعة وغير مطبوعة. فأما المطبوعة فكانت في أواخر حكم السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون. وكان درهم النقرة يساوي ثمانية وأربعين فلساً على اختلاف سكتها. وفي سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٦م -أي في سلطنة الناصر حسن- ضربت فلوس جديدة سميت (بالفلوس الجُدد)، زنة كل فلس مثقال، وكل فلس قيراط من الدراهم، مطبوعة بالسكة السلطانية، وبطل ما عدا ذلك من الفلوس، ثم بطل التعامل بالفلوس المطبوعة لنقص الوزن عن مثقال، وصارت ما دون الدراهم، وصار تكوينها غير مستدير، حيث كانت توزن بالقبان كل مائة وثمانية عشر رطلاً (بالمصري) بخمسمائة درهم. وأخذت قيمة الفلوس بالتناقص لصغر حجمها وتناقص وزنها حتى صارت كل مائة وأحد عشر رطلاً بخمسمائة درهم[١].

واستقرت الفلوس المطبوعة عند هذا الرقم وهو مئة وأحد عشر رطلاً بخمسمئة درهم لارتفاع سعر النحاس، وقلة الواصل منه إلى مصر، وحمل التجار الفلوس المضروبة من مصر إلى الحجاز واليمن وغيرها من الأقاليم للتجارة[٢].

أما الفلوس غير المطبوعة، فهي نحاس أحمر وأصفر مكسر أطلق عليها اسم الفلوس العتق، وزنة الرطل منها أثناء فترة حكم السلطان الناصر حسن بدرهمين نقرة. فلما سكت الفلوس الجدد. أصبح زنة الرطل منها بدرهم ونصف. ثم نفذت الفلوس المطبوعة من مصر نتيجة ارتفاع سعر النحاس وخلط النحاس المكسر بالفلوس الجدد[٣].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١١.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١١.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م ضربت فلوس جديدة بإشارة الأمير جركس الخليلي في قلعة الجبل بالقاهرة، وجعل اسم السلطان برقوق في دائرة. فتشاءم الناس منها، وقالوا: «بان السلطان تدور عليه الدوائر ويحبس، مما أبطل التعامل بها»[١].

كما اختلفت الفلوس المضروبة أثناء فترة حكم السلطان برقوق من حيث الوزن والحجم، فقد تراوحت أوزان الفلوس المضروبة في سلطنته الأولى (٧٨٤هـ-٧٩١هـ/ ١٣٨٢م-١٣٨٨م) ما بين ٢,٣٨ - ٢,٠٥ غم. وأقطارها ١٤-١٨ ملم[٢]. أما الفلوس المضروبة في الفترة الثانية لحكمه (٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٨م) فكانت بين ١,٥٠ - ١,٩٥ غم. وأقطارها ما بين ١٨-٢٥ ملم[٣].

وضربت بالإسكندرية فلوس جديدة بإشارة الأمير جمال الدين محمود الاستادار سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م ناقصة العيار عن الفلوس المضروبة بالقاهرة[٤]. وتعامل الناس بفلوس جديدة ضربت بدمشق سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م. كل حبة ثلاثة فلوس، منقوش عليها اسم السلطان وسنة ومكان ضربها[٥].

وفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م تعامل أهل دمشق بالفلوس التي ضربت بدمشق، كل درهم بأربعة وعشرين فلساً، وبطل التعامل بالفلوس العتق. والتعامل بها على

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٢. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٣٣٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٨١. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٠٧.

(٢) Berman, Islamic coins, p. 98.
وسعيد صالح، التجارة الداخلية، ص٣٠٣.

(٣) Balog, The coinage of the Mamluk, p.p. 268-274.
وسعيد صالح، التجارة الداخلية، ص٣٠٣.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣١٣. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٢٣. والمقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٨٤.

(٥) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوعين: فلوس عتق كل درهم بثمانين فلساً. وفلوس جدد ضربت حين كان السلطان برقوق بدمشق، كل درهم بثمانية وأربعين فلساً. وصار التعامل بها جميعاً بالميزان كل رطل بعشرة دراهم. مما «أصاب الناس ضررٌ عامٌ وتعطلت معايشهم»[١].

٨- الأوزان والمكاييل والمقاييس:

تعد الأوزان والمكاييل وحدات خاصة. كانت تستخدمها دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق لعمليات البيع والشراء. فيذكر المقريزي: «وكانوا يتبايعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم»[٢] مثل الرطل كقاعدة أساسية لأوزان الدولة والإردب مكيال مصر وغزة، والغرارة مكيال بلاد الشام.

يمثل الدرهم القاعدة الأساسية في تقدير قيمة الأوزان والمكاييل، ويختلف درهم الكيل في عياره عن عيار وزن النقود[٣]. وكانت صنجة دمشق تنتقص عن صنجة القاهرة درهماً واحداً من كل مائة درهم[٤]، وبحساب الفرق بين صنجة دمشق والقاهرة فإن الدرهم المصري المعتبر في الوزن يساوي ٣,١٢٥ غم، ودرهم دمشق يساوي ٣,٠٨٦ غم[٥].

---

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٦٠٣. والمقريزي، شذور العقود، ص٤١.

(٢) المقريزي، شذور العقود، ص٤.

(٣) هنتس، المكاييل، ص١١.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٧.

(٥) هنتس، المكاييل، ص١١-١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- الأوزان:

عرفت دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق أوزاناً متعددة: هي الرطل والأوقية والقنطار والمنّ والحمل.

١- الرطل والأوقية:

هناك اختلاف واضح في وزن وحجم الرطل كوحدة وزن بين مصر ونيابات الشام. فيعرف الرطل الذي يعتبر بوزنه في القاهرة والفسطاط وضواحيها (بالرطل المصري) وهو مائة وأربعة وأربعون درهماً، وأوقيته اثنا عشر درهماً[١].

واستخدمت النيابات الشامية أرطالاً مختلفة من حيث الوزن والحجم، فرطل دمشق يساوي ستمائة درهم دمشقي، وأوقيته اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية خمسون درهماً[٢]، ورطل نيابة حلب سبعمائة وعشرون درهماً، وأوقيته اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية ستون درهماً[٣]، ويتساوى رطل طرابلس برطل دمشق، وهو ستمائة درهم، وأوقيته اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية خمسون درهماً[٤]. أما نيابة حلب فرطلها يساوي سبعمائة وعشرون درهماً بالصنجة الشامية، كل أوقية ستون درهماً[٥]. أي ما يعادل حوالي ٢٢٢٢ غم[٦]. ورطل اللاذقية يساوي ٢١٠٠ غم[٧]، ورطل

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١١-٥١٢. والسيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠.

(٣) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٤٣.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٢٣.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٤٠.

(٦) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٩٢.

(٧) Ashtor, Levantine weights, p. 478.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيروت ٢٢٥٠ غم[١]، ورطل حمص ٨٦٤ درهماً[٢]. أما رطل غزة فيساوي سبعمائة وعشرين درهماً مصري، وهو اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية ستون درهماً[٣]. ورطل الرملة يساوي سبعمائة واثنين وثلاثين درهماً ويساوي ٢,٣٣١ غم[٤]، وعكا ٢٢٠٠ غم[٥]. أما القدس وصفد والكرك فكانت تتعامل برطل دمشق[٦].

ب- القنطار والمنّ والحمل:

يعد القنطار أكبر وحدة وزن في دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق، ويساوي مائة رطل. وهو متساوٍ في مختلف نيابات الدولة[٧].

أما المنّ فهو من الأوزان التي يوزن بها الطيب، ويساوي مئتين وستين درهماً وأوقيته ست وعشرون أوقية، وتساوي عشرة دراهم[٨].

وأما الحمل فهي وحدة وزن غير ثابتة متفاوتة الوزن والسعر، إذ بيع حمل التبن بمصر بعشرة دراهم[٩]، وعشرين درهماً[١٠]، وحمل الدقيق وهو ست بطات بمائة وعشرة دراهم[١١].

---

(١) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٧٦.

(٢) هنتس، المكاييل، ص٣٤-٣٥.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠٥.

(٤) هنتس، المكاييل، ص٢٠، ٣٣. ويوسف غوانمة، نيابة بيت المقدس، ص٩٦.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٣.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠٦، ٢٤٦، ٢٤٧.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١٢. وهنتس، المكاييل، ص٤٠.

(٨) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥١٧. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٢. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢١٥.

(٩) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٥٦. وابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٩٨-٣٩٩.

(١٠) المصدر ذاته، ج٣، ص١٧٨.

(١١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢٦. وانظر هنتس، المكاييل، ص٢٦-٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- المكاييل:

ا- الإردب، والويبة:

الإردب وحدة كيل يقسم إلى عدة أقداح، تختلف بالمقادير، فلكل ناحية في الدولة قدح خاص حسب إردبها. فالمستعمل في مصر القدح المصري، وهو قدح صغير تقديره بالوزن من الحب المعتدل مائتان واثنتان وثلاثون درهماً، وكل ستة عشر قدحاً تسمى ويبة، والإردب يساوي ستة وتسعين قدحاً[١]. ويبدو من رواية القلقشندي أن مقدار الإردب يختلف من منطقة إلى أخرى، ففي الوجهين القبلي والبحري أنواع مختلفة من الأرادب يبلغ مقدار الأردب في بعضها إحدى عشرة ويبة وأكثر[٢].

ب- الغرارة والمد:

وهي وحدة كيل للغلال في بلاد الشام على غرار الأردب في مصر. وهي اثنا عشر كيلاً، وكل كيل ستة أمداد، ينقص قليلاً عن ربع ويبة بالمصري. والفرق بين الغرارة والإردب، أن كل غرارة ومُد ونصف، تساوي ثلاثة أرادب مصرية تحريراً على الدمشقي[٣].

أما حلب وحمص، فإنها لا تتعامل بالغرارة كوحدة كيل للحبوب وإنما تتعامل بوحدة وزن تسمى (المكوك)، ومقداره صاع. ويساوي نصف ويبة. وبحساب ذلك فإن الغرارة تساوي مكوكين ونصف تقريباً[٤].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٢.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٥١٢. وانظر هنتس، المكاييل، ص٥٨-٥٩.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص١٥-١٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٨.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ص١٥-١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- المقاييس:

يعد الذراع الوحدة الأساسية لقياس القماش في القاهرة، وطوله ذراع اليد وأربعة أصابع مطبوقة. ويزيد عليه ذراع القماش بالفسطاط بعض الشيء، وربما زاد في بعض نواحي مصر[١]. ويستعمل الذراع لقياس أصناف أخرى غير القماش كالحصر وغيرها[٢]. ويزيد ذراع القماش في دمشق عن القاهرة بنصف سدس ذراع، أي ما يعادل قيراطاً[٣]. ويساوي ٦٣سم[٤].

وتتعامل غزة في قياس القماش بذراع القاهرة[٥]. وكذلك القدس[٦]، أما نيابة حلب فيزيد الذراع بها عن ذراع قماش مصر سدس ذراع، أي ما يعادل أربعة قراريط[٩]، ويساوي ٦٧,٩ سم[١٠]. أما نيابة طرابلس، فإن كل عشرة أذرع من القماش فيها تساوي أحد عشر ذراعاً مصرياً[١١]. ويساوي ٦٤ سم[١٢]. وتتعامل مكة في قياس قماشها بذراع القاهرة[١٣].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٤. وهنتس، المكاييل، ص٨٤-٨٥.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٤.

(٣) المصدر ذاته، ج٤، ص١٨٨.

(٤) يوسف غوانمة، نيابة بيت المقدس، ص٩٦.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠٥.

(٦) المصدر ذاته، ج٤، ص٢٠٦. وهنتس، المكاييل، ص٨٦.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢٣.

(١٠) هنتس، المكاييل، ص٨٥.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠.

(١٢) هنتس، المكاييل، ص٨٦.

(١٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمثل الفدان الإسلامي والرومي الوحدة الأساسية لقياس الأراضي الزراعية في مصر وبلاد الشام[١]. ويساوي أربعمائة قصبة حاكمية- نسبة إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي-. وتقدر طول القصبة ست أذرع هاشمية، أو ما يعادل خمسة أذرع نجارية مصرية[٢]، أو ثمانية أذرع بذراع اليد ويعادل ست قبضات بقبضة رجل معتدل. وربما تقدر القصبة بباعين من رجل معتدل[٣]. وبحساب ذلك تساوي القصبة ٣,٩٩ متر[٤]. كما عرفت بعض بلاد الوجه البحري وحدة قياس أطول قليلاً من القصبة الحاكمية تعرف بالسندفاوية[٥]. -نسبة إلى بلدة سندفا بالقرب من المحلة الكبرى في مصر-[٦].

أما الدور فتقاس بذراع العمل، وطوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل[٧]. ويساوي ٦٦,٥ سم[٨].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٣. ج٤، ص٢٢٣، ٢٤٧.

(٢) ويسمى ذراع النجار المصري ويساوي ٧٧,٥ سم. هنتس، المكاييل، ص٩١.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٣. هنتس، المكاييل، ص٩٤.

(٤) هنتس، المكاييل، ص٩٤-٩٥.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٣.

(٦) أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٨.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٣. ج٤، ص٢٤٣، ٢٤٧.

(٨) هنتس، المكاييل، ص٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

الحياة الإجتماعية في عهد السلطان برقوق

أ- فئات السكان:

١- المماليك.

٢- المتعممين.

٣- عامة الشعب.

٤- الأقليات الدينية:

أ- النصارى.

ب- اليهود.

ب- وسائل التسلية:

ج- المرأة في دولة المماليك.

د- حفلات الزواج.

هـ- الأعياد.

١- وفاء النيل.

٢- دوران المحمل.

٣- المولد النبوي.

٤- النيروز.

- الخلاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة الإجتماعية في عهد السلطان برقوق

تألف مجتمع دولة المماليك في مصر وبلاد الشام من فئات متعددة كالمماليك، والتجار والصناع، والمتعممين، والعوام (عامة الشعب). والأقليات الدينية كالنصارى واليهود. وعاش سلاطين دولة المماليك في مصر وبلاد الشام حياة مليئة بالحيوية والنشاط والبذخ والترف. في حين عاش أغلب فئات المجتمع الأخرى كالمتعممين وعامة الشعب حياة البؤس والظلم والحرمان. فمارس سلاطين المماليك والأمراء نشاطات اجتماعية متنوعة للترفيه عن النفس كالألعاب الرياضية مثل: المصارعة والكرة (البولو) والشطرنج. كما شجعوا الغناء والموسيقى ومجالس الطرب. كما حظيت نساء السلاطين والأمراء وكبار الأعيان بمكانة اجتماعية في الدولة، في حين عاشت نساء عامة الشعب حياة البؤس والفقر.

واهتم مجتمع دولة المماليك بالمظاهر الاجتماعية وإقامة الاحتفالات والأعياد والمناسبات، كالاحتفال بوفاء النيل (كسر الخليج)، ودوران المحمل، وإحياء المولد النبوي الشريف، وعيد النيروز.

أ- فئات السكان:

تألف المجتمع في دولة المماليك من فئات متعددة. فقد قسم ابن خلدون (ت ٨١٨هـ/ ١٤١٥م) السكان إلى سلطان ورعية[1]. ويبدو أنه يقصد «بالسلطان» الجهاز الحاكم والفئات التي تعيش على هامشه من المصريين. أما «الرعية» فهم

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصريون بجميع فئاتهم وطوائفهم[١]. في حين قسم المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) المصريين إلى سبع طوائف هي: أهل الدولة، وأهل اليسار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية، ثم متوسطو الحال من التجار وأرباب الأسواق، ثم الفلاحون وسكان القرى والريف والفقراء وطلاب العلم وأجناد الحلقة، ثم أصحاب الحرف والصناعات، ثم الشحاذون والمستولون الذي يتكففون الناس ويعيشون منهم[٢].

لذلك فإن مجتمع دولة المماليك مجتمع طبقي يقوم على أساس إقطاعي تسيطر عليه فئة من الحكام العسكريين (المماليك) لهم كل الامتيازات والحقوق، ويستأثرون بالأراضي الزراعية كلها، مقابل الرعية التي اقتصر دورها على الإنتاج ودفع الضرائب والسخرة.

١- المماليك:

تشكل فئة المماليك الطبقة الأولى في مجتمع دولة المماليك. حيث عاشت أثناء فترة حكمها منفصلة عما حولها من فئات المجتمع الأخرى. ولم يسمحوا لسكان مصر وبلاد الشام من الإنخراط في صفوفهم، ولم يتزوجوا منهم إلا فيما ندر[٣]. فضلاً عن أن بعض سلاطين وأمراء المماليك لم يتعلم اللغة العربية أو يتقن الحديث بها وظلت اللغة التركية التي كان أهل مملكة القرن الذهبي يتحدثون بها لغة التخاطب بينهم في البلاط المملوكي[٤].

---

(١) قاسم عبده قاسم، مجتمع دولة المماليك، ص١٦.

(٢) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٧٢-٧٣. وأنطون ضومط، الدولة المملوكية، ص٨٥. وسعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٠-١١.

(٣) علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٥٣٧-٥٣٨.

(٤) Ashtor, A social and Economic, p. 282.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ساهمت تربية المماليك الخاصة في الطباق بصورة واضحة في عدم إندماجهم مع غيرهم من فئات المجتمع الأخرى، فكان يدخل المملوك في بداية أمره إلى الطباق فيتعلم الخط، والصلاة، والقرآن، والفقه، والمصارعة، ورمي السهام، والفروسية. ولم يسمح لهم بمغادرة الطباق[١]. إلا في فترة حكم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون حين سمح للمماليك بالنزول من الطباق في القلعة في النهار والعودة إليها في الليل. ثم سمح لهم السلطان محمد بن قلاوون بالنزول إلى الحمامات يوماً في الأسبوع بمرافقة الخدام[٢].

وبالرغم من عدم سماح السلطان برقوق للمماليك بالنزول من القلعة إلا بعد سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م والسكن في القاهرة والزواج من النساء المصريات[٣]. إلا أنهم ظلوا في عزلتهم الاجتماعية باعتبارهم فئة غريبة عن مجتمع مصر وبلاد الشام. ولما كانت وظائف الحكم والإدارة في أيديهم فقد جعلهم ذلك يتقدمون كأقلية عسكرية حاكمة تبتعد عن المشاركة في الحياة العامة للسكان إلا من خلال المواكب السلطانية والأعياد الدينية والعامة[٤].

أما أبناء المماليك الذين ولدوا في مصر وبلاد الشام ولم يمسهم الرق، فقد عرفوا بأولاد الناس. وكانت مكانتهم الاجتماعية أدنى من المماليك. وغالباً ما كان أولاد الناس يبتعدون عن الحياة السياسية والعسكرية ويختارون لأنفسهم حياة السلم والدعة[٥]. وقد ساهم بعضهم في النشاط الثقافي فبرز من أولاد الناس أثناء

---

(١) النهروالي، الإعلام في أعلام بيت الله الحرام، ص١٢٧. والعريني، الفارس المملوكي، ص٥٢.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٣.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٢١٣. وسعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢٣.

(٤) قاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٢٣. وانظر الفصل الثاني، تطور النظام الإداري.

(٥) قاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٢٥. وعلي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٥٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فترة حكم السلطان برقوق عددٌ من المؤرخين البارزين في تدوين التاريخ مثل صارم الدين بن دقماق[١]، والحسن بن حبيب[٢]، وتقي الدين أحمد بن علي المقريزي[٣]. وكان أولاد الناس يمضون أوقاتهم في ممارسة بعض الألعاب الرياضية مثل لعب الكرة ورمي الرمح والنشاب، والفروسية[٤]، كما انضم بعضهم إلى أجناد الحلقة ليكونوا ضمن فئات الجيش المملوكي[٥]. أما أحفاد المماليك، فكانوا يحتلون مكانة اجتماعية أدنى من مكانة أولاد الناس وسرعان ما كان المجتمع المصري يمتصهم ليذوبوا فيه بعد جيلين أو ثلاثة، فيتفاعلون مع الحياة المصرية العامة ويبتعدون عن الطبقة الحاكمة[٦].

٣- فئة المتعممين:

تمثل فئة المتعممين الفئة الثانية بعد المماليك، وتشكلت هذه الفئة من الفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب وأهل التصوف وطلاب العلم[٧] والمدرسين، والقضاة والوعاظ[٨]، والمحتسبين والأئمة والقراء[٩]. واقتصرت هذه الفئة على العرب[١٠].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٠٦. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص١٣٨. وانظر الفصل السادس الحياة الثقافية.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص١١٤-١١٥.

(٣) السخاوي، التبر المسبوك، ص٢١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢.

(٤) قاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٢٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٧٩.

(٦) قاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٢٦. وسعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص١٩٢. وكرافولسكي، العرب وإيران، ص١٢٩.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٣-٤٥. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٤١.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٩٤. ولابدوس، مدن إسلامية، ص١٨٢. وزياد مدني، مدينة حلب، ص٢١٥. وكرافولسكي، العرب وإيران، ص١٣٠.

(٩) الزربا، الحياة الاجتماعية، ص١٤٥.

(١٠) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لاقت فئة المتعممين عناية خاصة من قبل سلاطين دولة المماليك، فشكلت لهم نقابة خاصة أطلق عليها (نقابة المتعممين)[١] أو رئاسة المتعممين[٢]. وكان للمتعممين مركز الصدارة في مجلس السلطان في مصر، ومجالس الأمراء في نيابات السلطنة، حيث كان القضاة الأربعة يجلسون على يمين السلطان بدار العدل، ثم يليهم وكيل بيت المال، ثم ناظر الحسبة. ويجلس كاتب السر على يسار السلطان، وأمامه ناظر الجيش والموقعون بشكل دائري[٣]. أما في بلاد الشام، فقد جلس القضاة والفقهاء والعلماء في مركز الصدارة في مجلس النواب فوق الأمراء المقدمين، أما كاتب السر، وناظر الجيش فيجلسان دون الأمراء المقدمين وفوق أمراء الطبلخاناة[٤]. ثم طرأ تغير على ترتيب جلوس القضاة في مجلس السلطان، حيث أصبح القاضي الشافعي والقاضي المالكي يجلسان على يمين السلطان، بينما يجلس القاضي الحنفي والقاضي الحنبلي على يساره، ويليهم القاضي المالكي في الجانب الأيمن، ثم قضاة العسكر الشافعي، ثم الحنفي، ثم المالكي، ويليهم مفتو دار العدل، ثم وكيل بيت المال، ثم محتسب القاهرة بشكل دائري[٥].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٦٤. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤٣.

(٢) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص٢٩٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦. كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٣٠.

(٤) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٠.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٦، ٢٠٢-٢٠٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أسند سلاطين المماليك إلى المتعممين وظائف متعددة أهمها: القضاء[١]، ونظر الجيوش، ومشيخة الخانقاوات[٢]، والأوقاف[٣]، والحسبة[٤]، والخطابة ونظر الأحباس[٥]، ونظر المواريث الحشرية[٦].

ولعب المتعممون دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية، فقد كانوا يقومون بإصلاح ذات البين أثناء حدوث الفتن والثورات والمنازعات في الدولة[٧]. ويتضح ذلك من خلال محاولة وساطة قضاة القضاة في مصر بين السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م والأمير يلبغا الناصري لإنهاء الفتنة، وحقن دماء المسلمين[٨]. كما دافع عدد من المتعممين عن مصالح المسلمين وعارضوا تصرفات بعض السلاطين. فقاضي القضاة محمد بن إبراهيم المناوي (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) رفض إقراض السلطان برقوق من أموال الأيتام ممادفع السلطان إلى عزله من منصبه[٩]. وتعرض بعضهم إلى التعذيب والاضطهاد والإذلال والإهانة والقتل لوقوفهم إلى جانب العامة والمطالبة بحقوقهم وإنصافهم وإنكارهم على السلطان أخذ المكوس وعدم القيام بأمر المسلمين[١٠].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٨٠. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٤١٧.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٠٩. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٢١. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٧٩-١٨١.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٣.

(٤) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٤١٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦١.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧٢.

(٧) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص١٨٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٦٢، ٥٩١.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٨، ٦٠٣.

(٩) المقريزي، المقفى الكبير، ج٥، ص٧٩-٨٠. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٣.

(١٠) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كان للمتعممين دورٌ بارزٌ في الحياة اليومية، بسبب انتشار أنواع من المفاسد والمحرمات، فقد تصدى القضاة والعلماء والفقهاء لخروج المرأة عن الحدود الشرعية التي أقرها الإسلام، ولا سيما فيما يتعلق باللباس، فقد اعتادت النساء في مصر لبس القمصان بالأكمام الواسعة مماكان يؤدي إلى كشف جسمها من الداخل عند تشميرها الأكمام[١]. كما تصدى العلماء والفقهاء لخروج النساء إلى المتنزهات، والترب، وشاطئ النيل للفرجة بسبب كثرة المفاسد واختلاط النساء بالرجال[٢].

وكان للمتعممين أهمية كبيرة بالنسبة لسلاطين المماليك، وتتضح هذه الأهمية في حضور القضاة والعلماء والفقهاء قراءة تعهد الخليفة تفويض السلطنة للسلطان الجديد. إذ تمثل قراءة التفويض أمام القضاة والعلماء والفقهاء تنازلاً علنياً من قبل الخليفة عن حقه الشرعي في الحكم. وإضفاء الشرعية على حكم السلطان الجديد. ويتضح ذلك من حضور القضاة وأعيان الدولة قراءة عهد الخليفة المتوكل على الله تفويض السلطان برقوق في السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م والشهادة عليه[٣]. كما حظي المتعممون من قضاة وعلماء وفقهاء باحترام الأمراء وكبار رجال الدولة وتكريمهم، فعند قدوم أحد القضاة أو العلماء أو الفقهاء لزيارة السلطان أو بعض الأمراء كان يخرج للقائه ويجلسه إلى جانبه[٤].

ونتيجة لتقرب بعض الفقهاء والقضاة من السلاطين والأمراء المماليك، فقد اشتركوا في خلافاتهم ومنازعاتهم، وتأثروا بها، فوقف الكثير من القضاة

---

(١) ابن الحاج، المدخل، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٥.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٥٧ أ.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٤٧، ٧٠٥.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٧٧٨، ٩٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفقهاء إلى جانب أحد المتنازعين ويتضح ذلك من الفتنة التي وقعت بين الأمير منطاش والسلطان برقوق بعد عودته ثانية إلى السلطنة سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م. فكان القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر القرشي قاضي دمشق[١] يقف على بعض الأسوار في دمشق وينادي أن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة، ويجمع العامة ويحرضهم على قتاله[٢]. كما عمل بعض القضاة على دعم أحد الأطراف المتنازعة بالأموال، كما فعل القاضي علاء الدين المقري مع السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م[٣]. على أن العلاقة لم تكن دوماً حسنة بين المتعممين والسلاطين والأمراء المماليك، فقد تعرض الكثير من القضاة والفقهاء والعلماء إلى الإذلال والإهانة، ففي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٠م أمر السلطان برقوق أن لا يركب أحد من المتعممين في مصر والقاهرة فرساً باستثناء الوزير وكاتب السر وناظر الخاص، ومن دونهم يركب البغال[٤].

أما علاقة المتعممين بعضهم ببعض، فقد شابها الخلاف والبغضاء والتحاسد في بعض الأحيان[٥]. وبلغت بعض الخلافات إلى حد قذف بعض القضاة أعراض بعضهم بالفسوق والزنا[٦]، واتهام بعضهم بالكفر[٧].

---

(١) أحد قضاة دمشق، وقف إلى جانب الناصري ومنطاش ضد السلطان برقوق. وعندما عاد السلطان برقوق ثانية إلى السلطنة قبض عليه ثم أمر بقتله خنقاً. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٣٧. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٣٧٥.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٧٢، ٧٢٧، ٧٣٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣١٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٤١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٣.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٤٩.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٣٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الملابس التي اعتاد المتعممون على لبسها، فكانت تختلف باختلاف مراتبهم فلباس الرأس عند القضاة والعلماء مكون من عمامة كبيرة، تسترسل منها ذؤابة بين الكتفين تصل إلى سرج الفرس إذا ركبوا[١]، والطراحة[٢]، وهي وشاح يلبس فوق العمامة ويلف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين[٣]. ويعد الطيلسان من أكثر الملابس شبهاً بالطراحة، وهو على نوعين: الأول قطعة مقطوعة من الوسط، والأخرى كان يعمل من قماش مقوّر، ويلبس فوق العمامة[٤].

واعتاد المتعممون لبس الفرجية على أبدانهم[٥]، وهي ثوب من الأمام لها أزرار من أعلاه إلى نهاية طرفه[٦]. وهي على نوعين: أحدها بأكمام طويلة مزودة بفتحات من أجل التهوية، وأخرى مفرجة من الخلف[٧]. وكانت الفراجي تصنع من أقمشة متنوعة، تتناسب مع فصول السنة، ففي الشتاء اعتاد المتعممون لبس فراجي من صوف أبيض مطلي تسمى (الفوقاني) أو الجبة[٨]، وفي الصيف فرجية مصنوعة من القطن[٩].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٣-٤٤. وماير، الملابس المملوكية، ص٩٠-٩١.

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٦٠.

(٣) ماير، الملابس المملوكية، ص٩٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٤. وماير، الملابس المملوكية، ص٩٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٤.

(٦) المصدر ذاته، ج٤، ص٤٤. وماير، الملابس المملوكية، ص٩١.

(٧) المصدر ذاته، ج٤، ص٤٥. والمرجع ذاته، ص٩٥.

(٨) المصدر ذاته، ج٤، ص٤٤.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجرت العادة أن لا يلبس المتعممون في المواكب السلطانية، عند لقاء بعضهم إلا الملابس البيضاء، أما الملابس الملونة فخصصوه للبيت[١]. واستمر ذلك حتى سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م حيث سمح السلطان برقوق لهم بلبس الملابس الملونة[٢].

وكانوا يلبسون في أرجلهم الخفاف المصنوعة من الجلد بغير مهاميز. أما مراكيبهم فكانت البغال النفيسة المساوية في أثمانها الخيول المسوّمة، بلُجُم ثقيلة وسروج مدهونة غير محلاة بالذهب أو الفضة[٣].

٣- فئة عامة الشعب:

تألفت فئة عامة الشعب من التجار والحرفيّن والصنّاع والعامة أو العوام، والزعر، والفلاحين. وكان لكل فئة من هذه الفئات دور اجتماعي واضح في دولة المماليك.

وتعد فئة التجار من أبرز فئات المجتمع التي تنتمي إلى طبقة عامة الشعب. ورغم المعلومات القليلة التي وردت عن فئة التجار، فقد تحدث المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) عنهم بصورة موجزة وقسمهم إلى ثلاث فئات رئيسة هي: أهل اليسار، والباعة وهم متوسطو الحال، وأدناهم السوقة، ويسمون بأصحاب المعايش[٤]. كما قسمهم الدمشقي إلى ثلاث فئات هي: التاجر الخازن، والتاجر الركّاض، والتاجر المجهز[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٦. وماير، الملابس المملوكية، ص٩١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٥٢٦.

(٣) العمري، مسالك الممالك، ص٥١. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٤.

(٤) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٧٢-٧٣.

(٥) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٦-٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لاقت فئة التجار اهتماماً واضحاً من قبل سلاطين المماليك. فكان لطائفة التجار رئيس يسمى «رئيس طائفة التجار»[١] يتولى الإشراف على مصالح التجار ورعايتهم، ويسمى في بعض الأحيان «شيخ التجار»، وعادة ما يكون من كبار التجار وأثريائهم[٢]. وثمة العرفاء والحراس[٣].

وتميزت فئة التجار بإقامة علاقات واسعة مع مختلف فئات المجتمع في دولة المماليك. فقد أقام التجار علاقات واسعة مع السلاطين والأمراء، مما ساعدهم على زيادة ثرائهم، وتمكنهم من إقراض بعض السلاطين مبالغ كبيرة من الأموال. فقد استدان السلطان الناصر محمد بن قلاوون من أحد التجار مبلغ ستين ألف دينار[٤]، كما استدان السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م من أحد التجار الشوابكة -النصارى- مبلغ مئة ألف دينار أثناء عودته إلى السلطة[٥]. لذلك حرصت دولة المماليك على الاهتمام بالتجار والمحافظة على أموالهم ومتاجرهم. وحين تعرضت أحد قيساريات القاهرة للسرقة من قبل أحد التجار سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م ألزم والي القاهرة عريف القيسارية عدم تمكين أحد من التجار الإقامة في القيسارية إلا بعد أخذ الضمان المناسب[٦]. كما حرصت الدولة على تحذير التجار قبل حدوث الفتن والاضطرابات حتى يتمكنوا من نقل بضائعهم من الحوانيت إلى أماكن أكثر أمناً كما حدث سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م أثناء فتنة يلبغا الناصري ومنطاش[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧١، ٥٣٩. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٠٥. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص١٣١، ج٣، ص٤٨٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٧.

(٢) يوسف غوانمة، نيابة بيت المقدس، ص٨٢.

(٣) لابدوس، مدن إسلامية، ص١٦٤-١٦٥.

(٤) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٤١.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص١٤٠. ومحمد عدنان البخيت، مملكة الكرك، ص٢٨.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٢٨.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٢٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٠، ٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حظي التجار بوضع اجتماعي رفيع عند سلاطين المماليك والأمراء، فقربوهم إليهم، وعينوا منهم تجاراً خاصكية (تاجر السلطان)، فقد عين السلطان برقوق بعض كبار التجار تجاراً خاصكية للإشراف على مصالحه التجارية مثل جمال الدين الإسكندراني سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨١م في الإسكندرية[١]، وجمال الدين ميخائيل الأسلمي الصبّان سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م في القاهرة[٢]. وزكي الدين أبي بكر الخروبي المصري[٣]، وبرهان الدين المحلي التاجي في اليمن[٤].

كما تمتع التجار بمستوى معيشي عالٍ في المجتمع، حتى صاروا يضاهون في ذلك الأمراء والمماليك[٥]. فقد امتلكوا الكروم والبساتين والحدائق والأسواق والمتاجر والقيساريات والحمامات والخانات[٦]. والأموال الطائلة[٧]، وسكنوا في بيوت فخمة تشبه إلى حد كبير قصور السلاطين وكبار الأمراء، وأنفقوا على بنائها مبالغ طائلة. فقد تكلف أحد التجار في بناء بيته مبلغ خمسة آلاف دينار، وبلغت قيمة بيت آخر خمسين ألف دينار[٨]. كما امتلك بعض التجار عدداً من المماليك[٩].

---

(١) المقريزي السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٨. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣١٣. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٨٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٤-٨٧٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٢٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٨٧.

(٥) لابدوس، مدن إسلامية، ص١٩٧-١٩٨.

(٦) المرجع ذاته، ص١٨٩.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٦٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٢٤.

(٨) حسين خصاونة، طبقات المجتمع، ص١٠٣.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما اشتهرت فئة من التجار عرفت بتجار الكارمية -وهم طائفة من التجار ظهرت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[١]- اختصوا بتجارة الفلفل والبهار وغيرها من السلع المستوردة من الهند وشرق أفريقيا[٢]. وقد اهتمت دولة المماليك بهذه الفئة من التجار، فعينت لهم موظفاً رسمياً يشرف عليهم ويقوم على خدمتهم يسمى «ناظر البهار والكارمي»[٣]. وقد ارتبطت هذه الفئة من التجار بعلاقات متميزة مع سلاطين المماليك، فقد لجأ بعض السلاطين إلى الاقتراض منهم، فاقترض السلطان برقوق في سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م من عدد من التجار مبلغ (١٠٠,٠٠٠) درهم[٤]. كما اهتم بعض تجار الكارمية بتقديم الهدايا والهبات للسلاطين والأمراء[٥]. لبقائهم على صلة دائمة معهم.

غير أن العلاقة بين تجار الكارمية والسلاطين المماليك لم تكن دوماً حسنة، فكثيراً ما تعرض هؤلاء التجار للمصادرة. ففي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢ حاول السلطان برقوق مصادرة أموال بعض تجار الكارمية بعد وفاته مدعياً عدم وجود ورثة له[٦]. طمعاً في الحصول على ثروته الكبيرة. وطرح البضائع بأسعار تزيد بكثير عن ثمنها الأصلي مما كان يسبب لهم خسائر كبيرة[٧].

---

(١) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٧٥.

(٢) المرجع ذاته، ص١٧٦.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٣. وابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٧٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٨٦. وأشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص٤١٢.

(٥) سعيد صالح، التجارة الداخلية، ص١٧٧.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٦٨.

(٧) المصر ذاته، ج٣، ق٢، ص٢٢٣، ٧٢١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما العامة أو العوام فهم جميع سكان المدن باستثناء المتعممين وأرباب الأقلام[١]. وقد ارتبطت هذه الفئة من المجتمع بعرفاء الحارات[٢] ووظيفتهم في أغلب الأحيان مساعدة الدولة في جمع الأموال والضرائب من العامة[٣].

والعامة كغيرها من فئات المجتمع في دولة المماليك عانت حياة البؤس والظلم والاستبداد. ويتضح ذلك من خلال سياسة المصادرة التي كانت تفرضها الدولة دون مبرر كما حدث أثناء فترة حكم السلطان برقوق سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٤].

وقد عبر العامة عن رفضهم للظلم والاستبداد بطرق مختلفة حسب ما يقع عليهم من ظلم. ففي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م احتج عدد كبير من العامة للسلطان برقوق واستغاثوا به لعدم وجود ما يأكلونه[٥]. وعندما لم تنجح وسيلة الاحتجاج في رفع الظلم عنهم كانوا يلجأون إلى المواجهة مباشرة. فعندما لم يلتزم ابن النشو أحد كبار تجار الغلال بالتسعيرة التي فرضتها الدولة على الغلال للحد من ارتفاع الأسعار قاموا برجمه وقتله وحرقه[٦].

ورغم ذلك فقد وجد العامة في بعض الأحيان نوعاً من العدالة من قبل سلاطين المماليك. فحين استغاث العامة بالسلطان برقوق سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م لعدم وجود ما يأكلونه أمر محتسب القاهرة بتسمير عدد من الطحانين وتجار

---

(١) حياة الحجي، أحوال العامة، ص١٦. ويوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، ص١٢٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥١.

(٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص٢٧٨.

(٤) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص١٩٢. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٣٩٨-٣٩٩.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٩.

(٦) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٢٨. وابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغلال بسبب احتكار الغلال؛ وأمر بزيادة الخبز في الأسواق[١]. وأمر بطبخ ثلاثة قدور من الطعام وتفريقها على الفقراء. فكان يفرق على كل فقير من العامة زبدية طعام ورغيف خبز ومن أدرك الطعام ولم يدرك الخبز كان يُعطى نصف درهم، ومن يدرك الخبز ولم يدرك الطعام يُعطى درهماً، ومن لا يدرك الطعام والخبز أعطي درهماً ونصف الدرهم[٢]. وعندما اشتد الغلاء وارتفعت أغلب أسعار السلع الأساسية كالقمح والخبز أصدر السلطان برقوق أمراً بأن يُعمل في كل يوم عشرون إردباً من القمح خبزاً يفرق على الفقراء والمساكين والحبوس في مصر والقاهرة والقرافة[٣]. كما وقف إلى جانب بعض العامة ضد ظلم واستبداد بعض ولاة الأقاليم. فعندما قَدمَ بعض العامة شكوى ضد والي الأشمونيين سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م عزله السلطان من منصبه وأمر بضربه بين يديه، وسلمه لوالي القاهرة حتى يخلص منه حقوق الناس[٤].

كما كان للعامة دورٌ في الصراع بين الأمراء المماليك. فغالباً ما وقف العامة إلى جانب أحد الأطراف المتصارعة في الدولة. وقد توقف ذلك على عاملين أساسيين: أحدهما إنفاق الأموال على العامة، والآخر ميزان القوة وشكل المعاملة. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م وقف العامة إلى جانب الأمير يلبغا الناصري ضد السلطان برقوق بعد أن أنفق عليهم مبالغ طائلة[٥]. وحين تمكن الأمير الناصري من هزيمة السلطان برقوق وعزله من السلطنة؛ وأخذ الناصري في ممارسة مختلف

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٩.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٢٦-٤٢٧.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٣٢. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٥٧. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٧٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ٤٩١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٤٢-٦٤٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٣-٣٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع الظلم والاستبداد على العامة كثر أسفهم على السلطان برقوق، ووقفوا إلى جانبه حتى يتمكن من العودة ثانية إلى السلطنة، وعبروا عن ذلك «راح برقوق وغزلانه وجاء الناصري وثيرانه»[١].

كما استخدم بعض الأمراء والمماليك العامة كوسيلة ضغط على الدولة لتحقيق مصالح ذاتية. ففي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م وقف العامة للسلطان برقوق وطالبوه بعزل ابن البرجي -محتسب القاهرة- بعد أن قاموا برجمه بالحجارة بتحريض من الأمير شمس الدين البجاسي بعد أن أنفق عليهم مبلغ مائتي درهم حتى يتمكن من العودة إلى منصب الحسبة في القاهرة[٢].

أما الزعر أو الزعار فقد شكلت جماعات منظمة، انتشرت في مختلف الحارات في مصر وبلاد الشام[٣]. فكان لكل حارة زُعر يتولى قيادتهم عُرفاء يأتمرون بأمرهم[٤]. وغالباً ما تشكلت فئات الزعار من الفقراء المعدمين[٥]، بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية في الدولة وازدياد العاطلين عن العمل[٦].

وكان للزعر أهمية خاصة عند الأمراء والمماليك، ولا سيما أثناء الفتن والاضطرابات الداخلية. فقد شارك الزعر إلى جانب الأمراء في صراعها على

(١) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٢٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٢١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٧٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦٦.

(٣) أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص٤١٤.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٦. وابن طولون، مفاكهة الخلان، ص١٩١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٠٣.

(٥) أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص٢٥٩.

(٦) لابدوس، مدن إسلامية، ص٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلطة. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م استدعى الأمير منطاش الزعر من مناطق متعددة من مصر وبلاد الشام إلى القاهرة من أجل الاستعانة بهم في ثورته ضد السلطان برقوق، وأنفق فيهم مبلغ ستين ألف درهم، بعد أن قسمهم إلى عدة مجموعات على رأس كل مجموعة عريف يأتمرون بأمره[١].

كما سعى السلطان برقوق نفسه إلى استمالة الزعر إليه في مواجهة ثورة الناصري ومنطاش، فدفع لبعض أمرائه المماليك مبالغ طائلة في سبيل استمالة الزعر للوقوف إلى جانبه[٢]. وعندما اختلف الناصري ومنطاش على السلطة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م قرب منطاش الزعر إليه، وأنفق عليهم أموالاً كثيرة مما جعلهم يتفانون في خدمته والتقاط السهام التي يرمون بها جماعة الناصري ويأتون بها إلى منطاش[٣]. كما استعانت الدولة بالزعر في الحملات التي كانت ترسلها لقمع الثورات[٤].

ورغم وقوف الزعر إلى جانب بعض الأمراء إلا أنهم كانوا يقومون بأعمال نهب بيوت العامة، وحوانيت التجار والأمراء المماليك أنفسهم، ولا سيما في أوقات الفتن والثورات[٥]. ومن أجل التخلص من فساد الزعر، قامت الدولة

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٦. وأشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص٤١٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٠٣.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٣٦.

(٤) أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص٤١٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٩، ٦٢٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعاقبتهم بأشد العقوبات الرادعة كالقتل[١]، والشنق[٢]، والتشهير وقطع الأيدي[٣]. وحين كانت تزداد اعتداءاتهم، كانت تلجأ الدولة إلى تجريد قوات من الأمراء والمماليك لملاحقتهم في الحارات والقبض عليهم وسجنهم. وعندما ازداد خطر الزعر في القاهرة أصدر الوالي أمراً بملاحقة الزعر، وهدد من أخفاهم بالقتل، وألزم عرفاء الحارات بملاحقتهم، فألقوا القبض على عدد كبير منهم وسجنوهم بخزانة شمائل، وقطع أيدي عدد آخر وأشهرهم في القاهرة[٤]، ثم أصدر مرسوماً هدد فيه الزعر بعقوبة القتل إذا حمل أحدهم سيفاً أو سكيناً أو أداة حادة[٥].

كما ظهر إلى جانب الزعر فئات أخرى كالدّعار[٦]، وأهل الفساد[٧]، والأوغاد[٨]، والأوباش[٩]، والمنسر أو الحرامية (اللصوص)، والمردان (اللوطية) الذين كانوا يأتون الفاحشة. وقد وصفهم ابن صصري: «وأما المردان فما يحتاج حالهم إلى بيان، فكل واحد يُحب أن يكون معشوقاً، ويتمشى في السوق على أهل الفسوق، وقد كان الصبيان أحيا من البنات، فانعكست الأمور حتى صاروا بالسقال والملابس في زي العرائس، يأتون الفاحشة جهراً ولا ينكر عليهم منكر»[١٠]. غير أن الدولة لم تتغاضَ عن هذه المفاسد وإنما أصدرت الأوامر للحد من انتشارها[١١].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٤. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٢) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص٢١٢، ٢١٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٤.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٥١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٤.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٩٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٤، ١٩٧.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٦٢٠.

(٨) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٨٧٥.

(٩) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٠٦.

(١٠) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٦٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٩٢.

(١١) حياة الحجي، أحوال العامة، ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفلاحون فقد شكلوا أغلب سكان البلاد؛ وانتشروا في السهول والأودية والجبال، ليتمكنوا من الاستفادة من الأرض وزراعتها[١]. وقد أشار ابن شاهين (ت ٨٧٢هـ/ ١٣٦٨م) إلى بعض الأماكن التي كان تنتشر فيها أعداد كبيرة من الفلاحين وأعطانا إحصائية لأعداد القرى الموجودة في مصر وبلاد الشام. فقد أشار على سبيل المثال إلى وجود ما يزيد على ثلاثين قرية في عمل منفلوط في مصر[٢]، ونحو ثلاثين قرية تابعة لأربعة مدن رئيسية في إقليم الغربية يبلغ خراج كل قرية منها اثني عشر ألف دينار في السنة. أما العدد الإجمالي لقرى إقليم الغربية فقد كان يزيد على خمسمائة وأربعين قرية[٣]. أما في بلاد الشام فيذكر أن في المملكة الطرابلسية ما يزيد على ثلاثة آلاف قرية[٤]، وفي صفد ألفاً ومائتي قرية[٥]، وفي نابلس نحو ثلاثة آلاف قرية[٦].

ورغم أعداد القرى الكبيرة التي أشار إليها ابن شاهين غير أن الفلاحين كانوا لا يملكون هذه الأراضي؛ لاعتماد دولة المماليك على النظام الإقطاعي. حيث كانت الأراضي الزراعية توزع من قبل دولة المماليك بين السلطان والأمراء المماليك كإقطاعات يستفدون من ناتجها بعد أن يزرعها الفلاحون، ويأخذون حصتهم من المحصول[٧]. وخُصص للجيش بأكمله أربعة عشر قيراطاً وللسلطان أربعة قراريط، وجعل لمن يتضرر من الأمراء من قلة ناتج إقطاعه قيراطاً[٨].

(١) يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٣٥.

(٣) المصدر ذاته، ص٣٥.

(٤) المصدر ذاته، ص٤٨.

(٥) المصدر ذاته، ص٤٤.

(٦) المصدر ذاته، ص٤٦.

(٧) الصليبي، تاريخ لبنان، ص١٤٠.

(٨) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٨٤٢-٨٤٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٢-٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قسمت الأراضي الزراعية في دولة المماليك إلى ثلاثة أقسام رئيسية من حيث الري والخصوبة ووفرة الإنتاج. القسم الأول، وهو أجود الأراضي الإقطاعية إنتاجاً ويختص بها السلطان وكبار الأمراء على قدر مكانتهم ورتبهم.

وقد تراوحت حصة الأمير من الأراضي المقطعة ما بين قرية وعشرة قرى. ويسمى هذا النوع من الأراضي البلاد النفيسة. أما القسم الثاني فهو الأراضي المتوسطة الجودة، وتقطع للمماليك السلطانية. حيث يشترك اثنان أو أكثر في القرية، ومنهم من ينفرد بقرية واحدة. أما القسم الثالث فهو ما يقطع لفئة أجناد الحلقة والعربان والتركمان[١].

وقد اتسمت حياة الفلاح في مصر وبلاد الشام في ظل حكم سلاطين المماليك كغيرهم من فئات عامة الشعب بالبؤس والظلم والاستبداد والكفاف. فكثيراً ما تعرض الفلاحون إلى تسلط السلاطين والأمراء والمماليك. وقد وصف ابن طولون طبيعة العلاقة التي تربط المماليك بالفلاحين بالظلم والاستبداد ونظرة الاستعلاء؛ فيذكر: «فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جندياً والجندي فلاحاً، فإذا كان شكر نعمة الله على أن رفعه عن درجة الفلاحين فلا أقل من أن يكفي الفلاح شره وظلمه»[٢]. وقد استخدم الأمراء والمماليك أساليب متنوعة في الظلم والاستبداد على الفلاحين كأخذ أموالهم[٣]. وإلى تعرضهم لعمليات السبي والقتل أثناء حركات التمرد والعصيان كما حدث سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أثناء عودة السلطان برقوق إلى الحكم[٤].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٣-٤٥٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٩-٥٠.

(٢) ابن طولون، نقد الطالب لزعل المناصب، ص٦٩.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٣٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٥٩.

(٤) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ترتب على ظلم المماليك واستبدادهم أن تركت أعداد كبيرة من الفلاحين قراهم والهجرة إلى المدينة سواء للعمل أو الحصول على ما يتصدق به السلطان وبعض الأمراء على الفقراء والمحتاجين، مما أدى إلى اكتظاظ بعض المدن بأعداد كبيرة من الفلاحين مما دفع الدولة إلى إعادتهم قسراً إلى قراهم وتهديد من يرفض بالقتل[١]. وذلك بسبب خراب الأراضي الإقطاعية التي تعتمد عليها الدولة في النفقة على المماليك[٢].

٤- الأقليات الدينية:

١- النصارى:

كانت فئة النصارى تنتشر في مختلف أنحاء مصر وبلاد الشام، كالإسكندرية[٣]، والقاهرة، وأسيوط[٤]، وجرجا[٥]، والخيّام[٦]، والصعيد[٧]، والقدس[٨]، والكرك[٩]، والشوبك[١٠]. وأغلب النصارى كانوا يتبعون لطائفة الملكية وطائفة اليعاقبة[١١].

---

(١) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٩٠.

(٣) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٧٣.

(٤) المصدر ذاته، ص٦١١-٦١٢.

(٥) جرجا كانت ديراً نصرانياً كبيراً. وكانت محاطة بأرض زراعية واسعة تضم أكثر من مائتي راهب، وكانت عادتهم إطعام الغرباء، وكان ما يزيد عن حاجتهم يرسلونه إلى بطرك القاهرة ليوزعه على فقراء النصارى. ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦١٣.

(٦) الخيام مدينة صغيرة مبنية على النيل معظم سكانها من النصارى اليعاقبة وهم جميعاً يعملون في الزراعة وتربية الحيوانات. ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦١٤.

(٧) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٣٣.

(٨) يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، ص١٢٠.

(٩) محمد عدنان البخيت، مملكة الكرك، ص٢٧.

(١٠) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص١٤٠.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠١. ج١٢، ص٣٨٧.

Popper, Egypt and Syria, vol.1, p. 109.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان للنصارى في مصر وبلاد الشام بطركان: بطرك لطائفة الملكية، وآخر لطائفة اليعاقبة، وكل منهما يختص بالنصارى التابعين له في الدولة، وإليه مرجعهم في التحليل والتحريم، والحكم بينهم، بما أنزل في الشريعة العيسوية، فضلاً عن الكنائس والأديرة، والرهبان[١]. ويعد البطرك المسؤول أمام السلطان عن تصرفات أبناء طائفته، والوسيط بينهم وبين الدولة. وكانت كل طائفة تختار بطركها دون تدخل من قبل السلطان[٢]. إلا في حالات استثنائية عند حدوث نزاعات حول انتخاب البطرك، ولا سيما بعد شيوع بيع المناصب الكنسية من قبل رجال الدين والقساوسة[٣].

وكان قرار تعيين البطرك (مرسوم التولية) يصدر في أغلب الأحيان عن النائب وأحياناً عن السلطان مباشرة، تثبيتاً للبطرك المنتخب واعترافاً من الدولة به[٤]. وهذا يشير إلى أن دولة المماليك تعتبر البطرك موظفاً رسمياً لديها. وكان يتضمن قرار التعيين في أغلب الأحيان موقف دولة المماليك من أهل الذمة عامة، وموقفها من الطائفة نفسها[٥]. فضلاً عن تحديد مهام البطرك، والوصايا التي يجب أن يلتزم بها كترك الشهوات، والتقشف في المأكل والمشرب، وترك الزواج والنكاح، والاشتغال بالعبادة[٦].

---

(١) العمري، التعريف، ص١٤٤. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٨٨، ٣٩٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٤٦ وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٤٦.

(٢) نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليك، ص١٦٤. وسعيد عاشور، الحياة الاجتماعية، ص٩٦.

(٣) آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص١٢٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص٥.

(٥) المصدر ذاته، ج١١، ص٣٩٥.

(٦) العمري، التعريف، ص١٤٥. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أضفى سلاطين دولة المماليك ألقاباً خاصة على البطاركة احتراماً وتقديراً لهم مثل الشيخ الرئيس، والمبجل، والمكرّم، والقديس، وعماد بني المعمودية[١]، مجلس القسيس الخليل الروحاني[٢].

وقد ارتبطت طوائف النصارى في أغلب الأحيان بعلاقات حسنة مع المماليك، ويشاركوا في مختلف نشاطات الحياة اليومية، فقد اعتمد السلطان برقوق عليهم في إدارة الدولة وتنظيمها. فالوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم[٣] خدم في دواوين الأمراء المماليك، وتعلق بخدمة السلطان برقوق عندما كان أميراً في فترة حكم السلطان حاجي. وولاه نظره الخاص. ولما تولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م ولاه الوزارة في مصر. «فنفذ الأمور ومشى الأحوال أحسن تمشية، مع الغاية في وفرة الحرمة»[٤]. كما شغل ميخائيل الصّبان منصب نظر المتجر السلطاني سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٥٦م[٥]. وتاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج بن نقولا الأرمني الأسلمي والي قطيا سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م وزيراً في مصر[٦].

كما وقف عدد كبير من النصارى إلى جانب بعض سلاطين دولة المماليك أثناء الفتن والصراعات الداخلية، ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م منح أحد تجار الشوبك النصارى للسلطان برقوق مبلغ مئة ألف دينار دعماً لمواجهة ثورة الناصري

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٩١.

(٢) ترتون، أهل الذمة، ص١٦١.

(٣) أصله من نصارى مصر، وقد أظهر الإسلام، يعرف بكاتب أرلان توفي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٩. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٧٤.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦٩. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٧٤-٧٥.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٢٥٦.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنطاش[١]. وعندما تمكن السلطان برقوق من التغلب على الناصري سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م خرج أغلب أهل الذمة من يهود ونصارى من الدور حاملين التوراة والإنجيل، ومعهم الشموع المضيئة دعماً وتأييداً له[٢]. وحين تغلب على الأمير منطاش ونودي بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان برقوق «فرح غالب المسلمين وأهل الذمة فرحاً عظيماً لزوال الدولة المنطاشية في مصر»[٣].

كما وجد النصارى الدعم والنصرة من قبل السلاطين وبعض الأمراء المماليك. ففي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م أصدر السلطان برقوق أمراً بالقبض على الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص شاد الدواوين، وضربه وصادره بمبلغ أربعمائة ألف درهم بسبب قطع مصانعة نصارى الشوبك ومصادرتهم مبلغ عشرة آلاف درهم[٤]. وعندما اشتكى أحد نصارى مصر على شمس الدين محمد بن الشهاب الدفري- أحد نواب قضاة المالكية- بالقاهرة قام السلطان برقوق بضرب نائب القاضي وهو مبطوح على الأرض، ثم أمر بحبسه حتى يخلص منه النصراني[٥].

أما علاقة النصارى بعامة الناس؛ فلم تكن دوماً حسنة. فقد وقعت حوادث وصدامات متعددة بينهم. ولم تستطع دولة المماليك إغفالها أو السكوت عنها سواء كان إجراءً تأديبياً على الأفعال التي ارتكبوها أو استجلاباً لخواطر المسلمين. ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م اعتدى بعض نصارى ناحية برما بالغربية على أحد المؤذنين

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص١٤٠. محمد عدنان البخيت، مملكة الكرك، ص٢٨. يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، ص١٤٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٠٤-٧٠٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢-٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٩٤-٢٩٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٩٤.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٩٠.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٦٠.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندما صعد على المنارة ليسبح الله، وسبوه وأهانوه وأنزلوه عن المنارة. وعندما حاول خطيب الناحية تخليصه أرادوا قتله[١]، فأمر السلطان برقوق بالقبض عليهم ومحاكمتهم، وحكم القضاة بضرب أعناقهم[٢]. وفي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م قتل عدد من المسلمين أربعة رهبان من نصارى مدينة القدس وأحرقوهم بالنار بسبب ذمهم الدين الإسلامي، واتهام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالسحر والكذب[٣].

أما علاقة النصارى بالدولة، فقد شابها في بعض الأحيان سوء في العلاقة بسبب عدم التزام بعض النصارى بالعهود المبرمة مع الدولة؛ ولا سيما فيما يتعلق بترميم الكنائس. فعندما جدد النصارى بعض الأبنية بالكنيسة المعلقة بقصر الشمع سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م أصدر السلطان برقوق أمراً بهدم ما استجد فيها من أبنية[٤].

كما تعرض النصارى كغيرهم من فئات المجتمع في دولة المماليك إلى الظلم والاستبداد والمصادرة والقتل. ففي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م أصدر السلطان برقوق أمراً بعزل ميخائيل الصّبّان من منصبه وقتله بسبب سعاية أهل الإسكندرية ودفع مبلغاً كبيراً لعدد من الشهود لإثبات زندقته[٥]. كما صادر الوزير علم الدين بن عبد الوهاب بن القسيس سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وألزمه بدفع مبلغ

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٦٧-٦٨.

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٦٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥١٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٨. وانظر نسخة توقيع لبطرك الكرك الملكية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٨٧.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثلاثمائة ألف درهم[١]. وأجبر الوزير فخر الدين بن مكانس على بيع جميع ممتلكاته للوفاء بالمبلغ الذي قرره السلطان بعد مصادرته[٢]. وعندما استولى الأمير منطاش على السلطة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م قبض على بطرك النصارى وألزمه بدفع مبلغ من المال[٣].

وكان للنصارى في مصر وبلاد الشام مشاركة واضحة في مختلف فعاليات الحياة اليومية. فقد امتهن بعض النصارى التجارة والصناعة[٤]، والزراعة، وتربية الحيوانات كالدواجن والأوز والحمام[٥]، ومهر عدد كبير من النصارى بصناعة البسط الحريرية والصوفية، فقد تركزت صناعة البسط في المناطق التي يكثر فيها النصارى، فاشتهرت الشوبك والكرك بصناعة أجود أنواع البسط. ففي سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م وصلت أعداد من البسط الكركية إلى القاهرة لفرش دار العدل بقلعة الجبل[٦]. كما برز عدد كبير من النصارى في مجال الأدب والشعر، وتقلدوا المناصب الإدارية الرفيعة في الدولة مثل الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن شمس الدين بن مكانس القبطي (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨٣.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٧٧٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣١.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٧.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص١٤٠. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٧٣. ومحمد عدنان البخيت، مملكة الكرك، ص٢٨.

(٥) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٦١٤.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١١٤.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٧٧٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- اليهود:

عاش اليهود في دولة المماليك كأقليات في بعض مدن مصر وبلاد الشام كالقاهرة[١]، ودمشق[٢]، والقدس[٣]، ونابلس[٤]. ويذكر الرحالة جان ليون الأفريقي (ت ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) أن لليهود في القاهرة حياً كاملاً يبدأ من باب النصر حتى باب زويلة[٥]. ويقسم اليهود إلى ثلاث طوائف وهم الرّبانيون، والقراؤون، والسامرة[٦].

وكان لليهود في مصر وبلاد الشام ثلاثة رؤساء: رئيس للربانيين، ورئيس للقرائين، وآخر للسامرة. وقد جرت العادة أن يكون رئيس طائفة الربانيين رئيساً على الطوائف الثلاث في مصر. إذ يتولى الحكم عليهم، والقضاء بينهم بمقتضى الدين اليهودي[٧]. باعتبارها أكبر الطوائف اليهودية[٨]. أما رئيس السامرة فكان يقيم في مدينة نابلس التي هي أعظم المدن عندهم، وله نائب يقيم في مدينة دمشق[٩].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٧١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠١.

(٣) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص٥٢، ٥٦. ويوسف غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص١٢٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠١.

(٥) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٧٩، ٥٨١.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٧٦. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٧٩.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٧٨-٣٧٩.

(٨) المصدر ذاته، ج١١، ص٣٨١. قاسم عبده قاسم، أهل الذمة، ص١٢٣-١٢٤.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠١. ونقولا زيادة، دمشق، ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد رئيس اليهود المسؤول المباشر أمام السلطان عن أبناء الطوائف اليهودية الثلاث[١]. وكان قرار تولية رئيس اليهود يصدر في بعض الأحيان من النواب، وأحياناً من السلطان مباشرة[٢]. إذ يحدد قرار التولية موقف دولة المماليك من أهل الذمة بشكل عام ومن اليهود بشكل خاص، ويحدد موقف الدولة من كل طائفة على حدة[٣].

والمعلومات التي توردها المصادر عن اليهود الذين كانوا يسكنون في مصر وبلاد الشام قليلة جداً. وقد أشارت إليهم بعض المصادر ووصفتهم بأهل الذمة مقترناً ذلك مع النصارى[٤].

وامتهن اليهود في دولة المماليك مهناً متعددة كالصرافة وسك النقود، والصياغة، والتجارة، والدباغة، وصناعة المنسوجات الصوفية، وعملوا أدلاّء سياحيين أو مترجمين لمصاحبة الحجاج المسيحيين أثناء زيارتهم للأماكن المقدسة، كما قاموا بأعمال الخياطة وصنع الأحذية، واحترف بعضهم صناعة الزجاج[٥].

وكانت المعاملات القانونية لأهل الذمة من بيع وشراء ورهن ودين تتم أمام أحد قضاة المسلمين. وكان الشهود في بعض الأحيان من المسلمين، وفي أحيان أخرى

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٣٧٩.

(٢) المصدر ذاته، ج١٢، ص٥.

Popper, Egypt and Syria, vol. 1, p. 109.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠١.

(٤) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٧.

(٥) الحنبلي، الأنس الجليل، ج١، ص٣٠٥. وقاسم عبده قاسم، أهل الذمة، ص٨٦-٨٧. وترتون، أهل الذمة، ص١٠٠-١٠١. وعلي السيد، القدس في العصر المملوكي، ص١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أهل الذمة[١]. وفي حالة إخلال أحدهم بشروط البيع والشراء كان يمنع من ممارسة المهنة. ففي وثيقة بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى سنة ٧٩٦هـ/ ٣٠ آذار، مارس ١٣٩٣م منع ثلاثة من قصابي اليهود في القدس بعدم ذبح ذبائح للمسلمين لإخلالهم بشروط الذبح[٢].

أما علاقة الدولة مع اليهود فلم تكن دوماً حسنة. فقد تعرض اليهود كغيرهم من فئات مجتمع دولة المماليك إلى ظلم واستبداد الأمراء. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م صادر الأمير منطاش من رئيس اليهود في القاهرة مبلغ خمسين ألف درهم لتغطية نفقات عساكره أثناء ثورته ضد السلطان برقوق[٣]. على أن اليهود ليسوا دوماً هم المعتدى عليهم. ففي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م أحرق بعض اليهود أحد المساجد في مدينة دمشق، فصدر مرسوم السلطان برقوق بتغريمهم مبلغ مائة ألف درهم، وإخراجهم من المدينة، وإنشاء مسجد مكان كنيسهم[٤].

غير أن الأقليات اليهودية في مصر وبلاد الشام لم تكن بمعزل عن الأحداث اليومية في الدولة. ففي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م شارك اليهود والنصارى في استقبال السلطان برقوق احتفاءً بعودته إلى مصر بعد تمكنه من القضاء على ثورة الناصري حاملين التوراة والإنجيل ومعهم الشموع المضيئة[٥]. كما أظهروا الفرح والسرور عندما تمكن السلطان برقوق من القضاء على منطاش في مصر[٦].

(١) عبد اللطيف إبراهيم، وثائق فقهية، ص٩٧-١٠٠.

(٢) كامل العسلي، وثائق مقدسية، ص٧٨.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٧.

(٤) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص١٢٦-١٢٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٠٤-٧٠٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢-٣. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٩٤.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- وسائل التسلية:

تمثلت وسائل التسلية والترفيه عن النفس في فترة حكم سلاطين دولة المماليك بممارسة أنواع مختلفة من الألعاب الرياضية كلعب الكرة، ورمي الرمح، والمصارعة؛ كونها من المهارات القتالية التي تتناسب وطبيعة التربية العسكرية للمماليك. والاهتمام بالغناء والاستماع إلى الآلات الموسيقية.

وتعد لعبة الكرة أو الأكرة[١] من أشهر الألعاب الرياضية التي كان يقوم بممارستها السلاطين والأمراء[٢] حيث خصصوا لهذه اللعبة ميداناً خاصاً وأوقاتاً محددة تلعب فيها[٣]، وعينوا موظفاً رسمياً للإشراف عليها يسمى الجوكندار الذي كان يتولى حمل الجوكان، وهي عصا طويلة معكوفة في رأسها خشبة محدبة يتم فيها ضرب الكرة[٤]. وقد بلغ اهتمام السلطان برقوق بهذه اللعبة أنه كان يلعبها مع كبار الأمراء في ميدان القلعة بالقاهرة[٥]. حيث جرت عادته أن يلعب الكرة في أول شهر رجب من كل عام[٦].

كما شجع المماليك لعب الرمح باعتبار ذلك من الفنون القتالية. ففي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٥م لعب السلطان برقوق بالرمح «وألزم المماليك بذلك فاستمر»[٧].

---

(١) تعرف بلعبة البولو في الوقت الحاضر.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٩، ١٣٧.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٨. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٨.

(٤) ابن كنّان، حدائق الياسمين، ص١٣٨-١٣٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨١. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٦) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥١٨. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٩.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٦١. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبرز عدد من المماليك في هذه اللعبة، وأصبحوا معلمين ومدربين في رمي الرمح مثل الأمير جوبان بن عبد الله الظاهري[١]. والأمير سيف الدين الطنبغا الظاهري[٢].

ومن الألعاب الأخرى التي اهتم بها المماليك المصارعة. وبرع فيها عدد من الأمراء والمماليك مثل الأمير جهاركس المصارع الذي أصبح معلماً فيها[٣].

كما اهتم المماليك بالغناء كوسيلة للتسلية والترفيه عن النفس، فكانوا يقومون بعقد مجالس للأنس والطرب[٤]، مما أدى إلى ظهور عدد كبير من المغنين والعازفين على الآلات الموسيقية في ذلك الوقت[٥]. فالسلطان برقوق اهتم بالطرب والمغنين، وأغدق عليهم أموالاً طائلة، فقد دفع لسليمان المصري المادح[٦] مبلغ ألف درهم لإلقائه بعض المدائح أثناء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[٧]. وبرز من العازفين على آلة القانون؛ الشيخ بدر الدين الدمشقي (ت ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) وقد قال فيه بعض الشعراء:

غنّى على القانون غداً ... من الطرب يهز عطف الجليس

وأوى قلوب من عليل الأسى ... وكان فيها من هواه رسيس

(١) من مماليك السلطان برقوق الخاصكية، برع في لعب الرمح حتى انتهت إليه الرئاسة في تعليم الرمح. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص٣٦.

(٢) سيف الدين الطنبغا الظاهري برقوق يعرف باللفاف وهو أحد مقدمي الألوف. وأحد معلمي لعب الرمح. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٩١.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٠٩.

(٤) البقلي، الطرب، ص٦٥.

(٥) المرجع نفسه، ص١٦.

(٦) سليمان القرافي المصري المادح، كان رئيس أهل صناعته في المدح والغناء. توفي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م. ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٥٥.

(٧) المقريزي، اسلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧٦. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصاحت الجُلاس عجباً بـــه يا صاحب القانون أنت الرئيس[١]

كما اهتم عامة الناس في مصر وبلاد الشام بالغناء والطرب، وكانوا يستقدمون المغنيات في أفراح الزواج والختان، مقابل مبلغ معين من المال. وفرضت دولة المماليك على ذلك ضريبة عرفت (بضريبة المغاني). وظلت هذه الضريبة مفروضة في مصر وبلاد الشام في كل من منية ابن خصيب، وأعمال الأشمونيين، وزفتة، ومنية غمر، والكرك والشوبك حتى ألغاها السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[٢].

ج- المرأة في دولة المماليك:

تمتعت المرأة في دولة المماليك بالاحترام والتقدير. فالمماليك نظروا إلى نسائهم نظرة إجلال وتقدير واحترام، وقد تمثل ذلك بإضفاء ألقاب التشريف على نسائهم كلقب خوند[٣] وخاتون[٤]. كما أضفوا عليهنّ في مكاتباتهم عبارات الاحترام والتبجيل. ويتضح ذلك في مكاتبات السلاطين لبناتهم وزوجاتهم وأخواتهم[٥].

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٠١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١١٢.

(٣) الخوند وتعني السيدة. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٢٦. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٠.

(٤) خاتون: كلمة تركية تعني النساء الجليلات. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٧١. وابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٥٧.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص١٨٤. وسعيد عاشور، نساء القاهرة، ج٢، ص٥٦٥-٥٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد شاركت المرأة في دولة المماليك في الحياة السياسية مشاركة فعالة. ففي سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م تولت شجر الدر السلطنة في مصر وخطب لها يوم الجمعة على منابر مصر والقاهرة ونُقش اسمها على السكة[١]. كما شاركت المرأة في الحياة العلمية والدينية، وقد ذكرت المصادر التاريخية أسماء كثيرات ممن اشتغلن بالنحو والشعر والفقه والحديث، فكانت على سبيل المثال ملكة بنت الشرف عبد الله بن الغر إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسية (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) من النساء اللواتي عملن في مجال الحديث وأخذت إجازة في الحديث من المحدث إسحاق الآمدي وغيره[٢].

كما تمتعت المرأة في دولة المماليك بالحرية والاستقلال، ويتضح ذلك كله من خلال الممارسات اليومية لهن كاللباس. فيذكر الرحالة جان ليون الإفريقي: «ويظهر البذخ على لباس النساء، فهن يخرجن متبرجات بالحلي التي يلبسنها على شكل أطواق على الجبين وفي العنق، ويضعن فوق رؤوسهن عصابة غالية الثمن خفيفة تعلوها ريشة على شكل أنبوب. وتتألف كسوتهن من ثوب من الجوخ ذي أكمام طويلة، وعادة ما يكون الثوب مفصلاً بعناية، ومزداناً بتطريزات بديعة، ويلففنّ أجسامهنّ بوشاح من قماش القن الرقيق جداً شديد النعومة. يستورد من الهند، ويضعن على وجوههن برقعاً صغيراً أسود من قماش غاية في الرقة، لكنه خشن نوعاً ما. وهو مصنوع من الشعر. وبفضله يستطعن رؤية الرجال دون أن يتمكن التعرف عليهن. وينتعلن في أقدامهن خفاً أو أحذية جميلة على الطراز التركي»[٣].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٩٠. والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦١-٣٦٢.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير، ج٥، ص٤٦. وسعيد عاشور، نساء القاهرة، ص٥٧٠.

(٣) ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٩١-٥٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن أغلب نساء الطبقة الخاصة يرفضن العمل في الغزل أو خياطة الملابس، أو طهو الطعام. ولهذا السبب كان يتوجب على الزوج أن يشتري من الخارج الطعام الجاهز المطبوخ من محلات الطباخين والشوائين[١].

وقد غالت المرأة في دولة المماليك في مظاهر الترف والحرية والخروج عن الحدود الشرعية التي أقرها الإسلام والمجتمع، ولا سيما فيما يتعلق باللباس. وقد عارض ذلك عدد كبير من العلماء والفقهاء ورجال الدولة. ففي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٠٠م أصدر الأمير كمشبغا نائب الغيبة في القاهرة وضواحيها أمراً بمنع النساء من لبس القمصان بالأكمام الواسعة. بسبب تفصيل بعض النساء قمصاناً تتكون من اثنين وتسعين ذراعاً من البندقي. وحدد للنساء أن لا يفصلن قمصاناً بأكثر من اثني عشر ذراعاً من البندقي[٢]. وذلك بسبب كشف عورة المرأة من الداخل حين تشمر أكمام القميص[٣]. وافتتان العاهرات بلبسه[٤]. وعندما لم تلتزم النساء بأوامر نائب الغيبة أرسل عدداً من المماليك إلى الطرقات والأسواق وقطعوا أكمام من وجدوها[٥].

كما اعتادت المرأة لبس الشاش على رأسها. وهي عصبة تشبه أسنمة البخت (الجمال الصغيرة) يكون أولها على جبين المرأة وآخرها عند ظهرها. ويبلغ طولها نحو ذراع في ارتفاع دون ذلك[٦]. ويذكر ابن تغري بردي: «وكانت نساء مصر

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٦١١. وليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٩٢.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٦٧. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٤٩.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٥.

(٤) القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٣٩ أ.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٦٨. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٣٠٥.

(٦) ابن الحاج، المدخل، ج١، ص٢٤٢. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣٤. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٣٩ أ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يلبسنه... وقد رأيت الشاش المذكور على صفة الحُلي الذي تحلى به العروس بل كان أكثر تعباً في تعديله»[١].

كما اعتادت المرأة على الخروج إلى الترب والمتنزهات وشاطيء النيل والقرافة في الأعياد والمناسبات مما دفع نائب السلطنة إلى إصدار مرسوم في ٢٩ رمضان سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٠٠م يقضي بمنع خروجهن إلى الترب والمتنزهات والقرافات بسبب اختلاط الرجال مع النساء وحدوث مفاسد كثيرة. وشدد على ذلك بفرض عقوبات صارمة كالقتل والحرق. ويذكر ابن الفرات «وإن وجدت بالقرافة أو تربة من الترب وسطت هي والمكاري والحماري وأن أحداً لا يتفرج في مركب في البحر وأن من وجدت في مركب أحرق... فلم تجسر امرأة أن تطلع إلى القرافة ولا الترب وحصلت بذلك راحة عظيمة»[٢]. وكانت المرأة تخرج من البيت بعد أن يذهب زوجها إلى دكانه فتلبس ثيابها وتتعطر، وتستأجر حماراً وتذهب لتتنزه في المدينة أو لزيارة أهلها. إذ كان في القاهرة جماعة من الناس تعيش من مهنة تأجير الحمير. ويمتلكون من أجل ذلك حميراً كثيرة مدربة مزينة ببراذع جميلة. ويؤجرونها مع أحد غلمانهم كسائقين مع الراكبين الذين يساعدون المستأجر على الركوب والنزول[٣].

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٩٠-١٩١.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٦٦. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٤٩-٧٥١. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٧٥-٧٦. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٣٨٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٤.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ورقة ١٥٧ أ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- حفلات الزواج (الأعراس):

تعد حفلات الزواج جزءاً من المظاهر الاجتماعية التي سادت في دولة المماليك. فكبر حجم حفلات الزواج وارتفاع مهور بنات ونساء سلاطين المماليك، وكبار أمراء المماليك، والأثرياء من غير المماليك كالأعيان يعد مظهراً من مظاهر الترف الاجتماعي والفوارق الطبقية بين فئات مجتمع دولة المماليك. إذا ما قورن ذلك بحفلات زواج المماليك ومهورهم. فعندما تزوج السلطان برقوق فاطمة ابنة الأمير منجك سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م حمل جهاز عرسها على ظهر نحو ثلاثمائة حمّال إلى القلعة. حيث بلغ نحو ثمانمائة ألف مثقال ذهب، وعشرة أطباق مملوءة زركش ونحو سبعين بغلاً. وقد باشر الإشراف عليه الأمير أيدكار الحاجب والأمير بهادر الرومي الإستادار[١]. لذا يعد ارتفاع مهر العروس وفخامة ما حمل من ملابس دلالة على مكانة الزوج والزوجة في تلك الفترة ومظهراً من مظاهر اهتمام السلاطين المماليك بنسائهم.

كما اهتم أمراء المماليك وغيرهم من أعيان الدولة في إظهار أبهة حفلات زواجهم. فحين تزوج الأمير يلبغا الأستقمري الظاهري أحد مقدمي الألوف ابنة ناظر الجيش شمس الدين بن مشكور سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٤م أقام حفل زواجه في منزله، وسارت زفته من حمام بيدمر عند المصلى إلى باب الفراديس حيث يوجد منزله[٢]. وكان على العريس أو العروس الدخول إلى الحمام كلاً على حده في مظهر احتفالي كبير، حيث يقوم العريس أو العروس بالاستحمام وإزالة الشعر وبعد ذلك يقوم أصدقاؤهم والمقربون منهم بنقلهم وسط فرحة كبيرة مرددين أغاني شعبية، إلى بيت العريس[٣].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٤-٥١٥. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص١٣٢.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٥١-٥٥٢.

(٣) الزربا، الحياة الاجتماعية، ص٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما عُقد قران الأمير محمد بن إبراهيم بن منجك على بنت الأمير محمد شاه بن بيدمر، أقام احتفالاً كبيراً بقاعة بيدمر، حضره كبار الأمراء والنائب والقضاة وأعيان الدولة، وبلغ صداق (مهر) العروس نحو ألف دينار[١]. وعندما أراد الزواج منها سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م أقيمت له زفة كبيرة انطلقت من حمام بيدمر إلى داره وسط احتفال بهيج. كما عمل وليمة حضرها الأمراء والمماليك وكبار أعيان الدولة[٢].

ويستنتج من خلال حفلة الزواج التي أقامها السلطان جقمق لابنته عند زواجها من الأمير أزبك ومقارنة ابن تغري بردي لهذه الحفلة مع حفلة زواج السلطان برقوق وغيره من أمراء المماليك، مدى اهتمام سلاطين وأمراء دولة المماليك بفخامة حفلات الزواج التي كانوا يقيمونها والتباهي بارتفاع تكاليفها باعتبارها مظهراً اجتماعياً يدلّ على حياة الرفاهية والترف الاجتماعي التي كان يعيشها سلاطين دولة المماليك. ذكر ابن تغري بردي قال: «وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م عمل السلطان مائدة كبيرة للأمراء بالحوش السلطاني في القلعة، وأقام الحفل الكبير الخاص بالنسوة في بيت خالها كمال الدين بن البارزي يوم الخميس بالقلعة. وأما أقاربهم الرجال فكان في بيت الأمير أزبك خارج باب زويلة بداره التي عمرها قرطوغان الإستادار، وركب الأمير أزبك إلى أن نزل بقاعة بالقرب من الخميمين، ثم ركب بعد عشاء الآخرة وبين يديه الأمراء والأعيان مشاة. وحمل الأمراء الشموع أمام فرسه، ولبس أطلسين متمرين، ومشى القاضي كمال الدين البارزي (خال العروس) أمام فرسه والأمير محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش والصاحب جمال الدين ابن كاتب حكم ناظر الخاص في آخرين إلى أن وصل إلى بيت القاضي كمال الدين البارزي. ونزل عن فرسه ودخل قاعة الفرح، وجليت عليه

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٥٢.

(٢) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنت السلطان وبنى عليها»[١]. ويذكر: «وأما المهم (حفلة الزواج) فليس بذاك وإنما كان عادة مهمات بعض الأكابر غير أن شوارها (جهاز العروس) كان خارجاً عن الحد، ولم يحمل على رؤوس الحمالين على عادة الأشورة، لكنه أخرج من الحواصل، ونصب في بيت الدخول -بيت خالها القاضي كمال الدين كاتب السر-. ولما كان الفراغ من نصب الجهاز، وفرش البيت أذن للناس بعد ذلك في الدخول والتفرج في الجهاز، فرأى الناس من الأقمشة والزركش وأنواع الفراء والأواني البلور والمصاغ من الفضيات والتحف الصيني ما أدهشهم وحيرهم»[٢].

وقد قارن ابن تغري بردي جهاز ابنة السلطان جقمق بجهاز العرائس الأخرى اللواتي سبقنها مثل خوند فاطمة زوجة الناصر فرج بن برقوق، وخوند بنت المنصور حاجي، وخوند حاج ملك بنت ابن قرا زوجة السلطان برقوق بقوله: «وقد رأيت ما كان لهن من الأقمشة والأمتعة والتحف، ومن ثم إلى يومنا هذا فكثير، ومع هذا ما رأينا ولا سمعنا بمثل هذا الشوار ولا بمثل كثرته وحسنه، ولا ما اشتمل عليه من أنواع البشاخين المزركشة[٣] ومن شراريب الفوط المكللة باللؤلؤ، ومن أنواع التحف التي لم يسبقها أحد من الخوندات قبلها إلى الملك»[٤].

من خلال النص يستدل على مدى الأبهة والعظمة التي حاول السلطان جقمق إظهارها من خلال السماح للناس الفرجة على جهاز ابنته بعد أن نُصب في بيت زوجها بعكس ما كان متعارفاً عليه وهو حمل جهاز العروس على رأس الحمالين.

---

(١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٥٦.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص٢٥٦.

(٣) البشاخين المزركشة: هي دائرة السرير أو الناموسية. أنظر سعيد عاشور، العصر المملوكي، ص٣٩٦.

(٤) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٥٦-٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مقارنة ابن تغري بردي لجهاز العروس مع غيره يستدل على مباهات السلاطين والأمراء في حفلات زواجهم، ومدى ما يقدمونه لنسائهم من أثاث وملابس دلالة على الرفعة والمكانة التي تحظى بها المرأة المملوكية.

غير أن هناك اختلافاً واضحاً بين كبار أمراء المماليك ومماليك الأمراء. ويتضح من خلال عقد زواج أحد مماليك الأمراء في دولة بني الكنز في بلاد النوبة، أن المهر المقدم للعروس يبلغ ١٥٠ درهماً يدفع منه ٥٠ درهماً معجلاً، في حين يسدد باقي المهر على أقساط بمبلغ ١٠ دراهم في نهاية كل سنة[١]. وفي ذلك دلالة على الفوارق الطبقية حتى بين السلاطين والأمراء والمماليك أنفسهم في دولة المماليك.

هـ- الأعيـاد:

اهتمت دولة المماليك بالأعياد والمناسبات كمظهر من المظاهر الاجتماعية والقومية للدولة. وقد اتخذت بعض هذه الأعياد طابعاً عاماً حظي باهتمام الدولة وعامة الناس، وبعضها الآخر كان له طابعٌ ديني له اتصال بتراث وديانات بعض فئات المجتمع في دولة المماليك. ومن أهم هذه الأعياد:

ا- وفاء النيل:

يعد الإحتفال بيوم وفاء النيل من المناسبات التي كان لها طابعٌ عام في دولة سلاطين المماليك. إذ كان يعد بلوغ النيل المنسوب الكافي لري الأراضي الزراعية مناسبة عامة عظيمة يترقبها مختلف طبقات المجتمع في الدولة يوماً بيوم. ففي السادس والعشرين من شهر بؤونة (أيار) يقاس ما بقي من ماء النيل ليكون أساساً تحسب عليه الزيادة في موسم الفيضان، حيث يبدأ النداء بالزيادة في

(١) أحمد عبد الرزاق، عقد زواج، ص٩-١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليوم التالي[١]. وهو السابع والعشرين من شهر أيار، ثم يحسب كل ذراع أربعة وعشرين إصبعاً، فإذا وصل منسوب مياه النيل إلى ستة عشر ذراعاً، صرح صاحب المقياس بوفاء النيل (كسر الخليج) -ويعبر عنه بماء السلطان- حيث يعد «يوم مشهود وموسم معدود ليس له نظير في الدينا» وتكتب فيه البشارات إلى مختلف أقطار الدولة[٢].

وعندما يصل النيل إلى حد الوفاء ستة عشر ذراعاً -وهو الحد الأدنى للوفاء- يبدأ الاحتفال الشعبي الكبير، فيوقد فيه الناس القناديل والشموع حتى يتحول الليل في القاهرة إلى نهار، ثم يحضر كبار الأمراء والأعيان ومعهم الإستادار الذي يحمل الخلع التي توزع على من له عادة في هذا الموسم. ثم يحضر المقرئون ويتناوبون قراءة القرآن في دار المقياس[٣]. وفي اليوم التالي ينزل السلطان أو من ينوب عنه من الأمراء من قلعة الجبل في القاهرة في موكب كبير تزينه الأعلام والصناجف، كما تدق أمامه الطبول، ويرافقه عدد كبير من كبار الأمراء والأعيان إلى النيل ويركب السلطان إحدى الحرقات السلطانية (السفن) المزينة مع خواصه من الأمراء. ويركب بقية الأمراء والمباشرين في مراكب خاصة بهم. ثم يسير السلطان ومن معه من الأمراء في النيل حتى يصل إلى دار المقياس[٤]. وبعد الفراغ من الطعام الذي أعد للسلطان وكبار الأمراء، يذاب الزعفران في ماء الورد بإناء فضي، ويعطي السلطان هذا الإناء لصاحب المقياس الذي يلقي بنفسه، بكامل ملابسه، في غرفة المقياس ومعه ذلك الإناء الفضي

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٩٢. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٥٨. وإبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص٢٢٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٢٠. وقاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص١٣٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج، ص٤٨-٤٩. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٧٨.

(٤) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدهن عمود المقياس بالزعفران وماء الورد. ثم يخرج السلطان أو من ينوب عنه، ويفرق الخلع على من له عادة بذلك مثل والي الفسطاط وقائد مركب السلطان، ورؤساء مراكب الأمراء. ثم يركب السلطان السفينة السلطانية المعروفة بالذهبية، وحولها مراكب الأمراء والقوارب المليئة بالمتفرجين حتى فم الخليج[١].

وفي موقع الخليج يكون نائب السلطنة أو حاجب الحجاب منتظراً ومعه بعض كبار الأمراء فوق قنطرة السد. وهناك يتوجه السلطان بفرسه من فم الخليج حتى موقع السد الترابي، ويمسك بمعول من الذهب الخالص ويضرب السد ثلاث ضربات دلالة على ابتداء فتح الخليج، ويبدأ بعد ذلك العمال والفلاحون بإزالة السد الترابي بفؤوسهم حتى يجري الماء في الخليج[٢].

٢- دوران المحمل:

يعد دوران المحمل من الاحتفالات الدينية التي لاقت اهتماماً عاماً من فئات الشعب في فترة حكم السلطان برقوق. باعتباره إعلاناً عاماً للناس والتجار للإستعداد للسفر ومرافقة قافلة الحجاج عند الخروج إلى مكة المكرمة. فانطلاق قافلة الحج إلى مكة كانت تحظى باهتمام أغلب فئات مجتمع دولة المماليك، حيث تودع القافلة وتستقبل باحتفال رسمي وشعبي، كما يعين أمير المحمل من كبار رجال الدولة[٣]. ويرافقه عدد من العساكر التي تتولى حراسة القافلة. وكانت العادة الجارية في دولة المماليك أن يدور المحمل مرتين في السنة، الأولى في شهر رجب بعد النصف منه، حيث ينادي لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بتزيين

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٣. وابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٩٧. وقاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعي، ص١٣٧.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٧. وابن دقماق، الانتصار، ص١١٤-١١٥.

(٣) السخاوي، ذيل دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٢. والجزري، الدرر الفرائد، ج٣، ص١١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام، ويكون دوران المحمل في يوم الإثنين أو الخميس لا يتعداهما. ويحمل المحمل على جمل مزين بغشاء من حرير أطلس أصفر بشمسان (حُلى مستديرة بشكل الشمس) وزركش فيها اسم السلطان الظاهر برقوق وبأعلاه قبة من فضة مطلية بالذهب[١]. ويبيت المحمل في ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم، ثم يحمل بعد الصبح على الجمل نفسه ويسير تحت القلعة، ويركب أمامه الوزير والقضاة والمحتسب والشهود وناظر الكسوة[٢] ويركب عدد من المماليك السلطانية الرّماحة لابسين دروع حديدية مغطاة بالحرير الملون، وخيولهم ملبسة بالبركستوانات[٣]، وبأيديهم رماح يلعبون فيها تحت القلعة في الحرب، فضلاً عن عدد من المماليك الصغار بيد كل منهم رمحان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس، ثم يتوجه المحمل من القلعة إلى الفسطاط، ثم يعود إلى القلعة، ويخترق شوارع القاهرة؛ وأثناء ذلك تضرب خلفه الطبلخانات والكوسات السلطانية. أما الدوران الثاني الذي يسبق خروج الحج إلى مكة، فكان يتجه إلى القلعة ثم يعود إلى باب النصر، ثم يخرج إلى الريدانية دون التوجه إلى الفسطاط[٤].

٣- المولد النبوي:

يعد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من المناسبات الدينية التي اعتادت دولة المماليك الاحتفال بها على المستويين الرسمي (الدولة) والشعبي في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام. ففي ١٢ ربيع الأول سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م أقام السلطان برقوق احتفالاً كبيراً حسب عادته في كل سنة في الحوش السلطاني

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٩. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧١٧. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٨٣.

(٣) البركستونات وهي درع لحفظ لحم صدر الخيول. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٩. هامش رقم (١).

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٩-٦٠. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٥٤. وابن ظهير، الفضائل الباهرة، ص١٩٩-٢٠٠. ونقولا زيادة، رواد الشرق، ص١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقلعة الجبل، حيث أعد خيمة كبيرة تسمى (خيمة المولد)[١]. وبعد الانتهاء من إقامة خيمة المولد يوضع عند أبوابها أحواض من الجلد تملأ بالماء المحلى والسكر والليمون، ثم تعلق حولها الأكواب الفاخرة المصنوعة من النحاس الأصفر والمزينة بالنقوش الجميلة؛ وتربط هذه الأكواب بسلاسل من النحاس، ويصف حولها طائفة من غلمان الشرابخاناه، لمناولة الوافدين من الناس، دون تفريق بين كبير وصغير[٢].

ويبدأ الإحتفال بعد الظهر وينتهي عند ثلث الليل[٣]، وعندما يجلس السلطان في صدر الخيمة يجلس عن يمينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني وبعض الشيوخ المقربين من السلطان كالشيخ إبراهيم بن رفاعة، وعن يساره الشيخ عبد الله المغربي، وتحته قضاة القضاة الأربعة؛ ويأخذ أمراء المماليك أماكنهم على مسافة من السلطان[٤]. ويبدأ الاحتفال بالمولد بقراءة القرآن الكريم، حيث يتناوب المقرئون قراءة القرآن، وكلما فرغ أحدهم من التلاوة أنعم عليه السلطان بأربعمائة درهم فضة، ومن كل أمير شقة حرير، وقد بلغ عددهم نحو عشرين واعظاً ومقرئاً. ثم تمد مائدة الطعام والحلوى[٥]. وبعد ذلك يأتي الخليفة والقضاة والأمراء والجند لتقبيل الأرض أمام السلطان فينعم عليهم جميعاً بالخلع والتشاريف المعدة لهذه المناسبة[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٠.

(٢) سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٧٨.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٤١٢-٤١٣. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٠-٨٩١. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٤-٢٨٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٩٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩٠-٨٩١. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٩٤.

(٦) سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما اعتاد عامة الناس الاحتفال بالمولد. وفي أغلب الأحيان كان يخالطه الكثير من المفاسد والخروج عن تعاليم الدين الإسلامي كشرب الخمر والزنا واللواط. ويذكر ابن الصيرفي أن الشيخ إسماعيل بن يوسف الأنبابي[١] أقام احتفالاً بعيد المولد النبوي بزاويته بناحية أنبوبة في الجيزة تجاه بولاق حضره أغلب أهل مصر والقاهرة وضواحيها، حيث حدثت فيه مفاسد كثيرة لا تحصى لكثرة اختلاط النساء بالرجال والصبيان والفساق[٢].

٤- عيد النيروز:

وهو من الاحتفالات الخاصة بالأقباط. وقد جرت العادة الاحتفال به في أول السنة القبطية في مصر الذي يصادف أول يوم من شهر توت (يكون دخوله في العشرين من آب وآخره السادس والعشرون من أيلول)[٣]. ورغم أن الاحتفال بعيد النيروز من الأعياد الخاصة بالأقباط إلا أن المسلمين شاركوهم هذا العيد، فقد ذكر ابن الحاج: «أن المسلمين لم يكتفوا بمشاركة الأقباط أفراحهم، بل زادوا على ذلك أنهم يهادون أهل الكتاب في أعيادهم ومواسمهم بما يحتاجون إليه من الخرفان والبطيخ والبلح. فإذا حلت أعياد المسلمين ردّ لهم أهل الكتاب الجميل بمثله وهادوهم ببعض ما يفعلونه في مواسمهم، فيقبل المسلمون تلك الهدايا شاكرين»[٤].

وتبدأ فعاليات الاحتفال بعيد النيروز في أول شهر توت ٢٠ آب من كل عام. وقد وصف ابن إياس (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) فعاليات الاحتفال بعيد النيروز وصفاً

---

(١) عماد الدين إسماعيل بن يوسف الأنبابي المصري، اشتغل بالفقه على المذهب الشافعي ولما توفي والده انقطع بزاويته وصار يعمل المولد النبوي على عادته كل سنة. ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٥٣.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٥٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦٩. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص١٤٥ ب.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤١٠.

(٤) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شاملاً وبين مدى خروج الناس عن تعاليم الدين الإسلامي. إذ كان يجتمع فيه أسافل عامة الناس، ويركب شخص يمتاز بالقوة على حمار وهو عريان وعلى رأسه طرطوس (قبعة) من خوص النخيل ويسمى (أمير النيروز). حيث يتوجه إلى كبار رجال الدولة من الأعيان والمباشرين وغيرهم. ويقف على باب أحدهم ومعه عدد من أوباش العامة، ويقرر على صاحب تلك الدار مقداراً معيناً من المال، فإن امتنع عن دفعه بهدلوه وسبوه ولو كان من أكابر القاهرة، ويظلون واقفين على باب داره حتى يأخذوا منه ما قُرر عليه «فيأخذون منه ذلك المال طوعاً أو كرهاً»[١].

وتقف مجموعة أخرى من أوباش العامة في الطرقات، ويتراشقون بالماء المتسخ أو الخمر، كما يتراجمون بالبيض ويتصافعون بالأخفاف (الأحذية) على الرقاب، ويتراجمون بالعمائم في الأسواق والأزقة، كما كانوا يقطعون الطريق على الناس ويمنعونهم من الخروج إلى الأسواق والعمل. وكانت الحوانيت تغلق فيتعطل البيع والشراء، وإذا ظفروا بأحد الناس في الطريق بهدلوه «ولو كان رئيساً من أعيان الناس أو الأمراء». وكانوا يرشونه بالماء المتسخ، ويرجمونه بالبيض حتى يفتدي نفسه بمبلغ معين. كما تجاهر الناس بشرب الخمر والمفاسد في أماكن المتفرجات[٢].

كما اعتاد عامة الناس من الأقباط والمسلمين تقديم أصناف مختلفة من الفواكه كالرمان والتفاح والبلح والخوخ إلى الأعيان والمباشرين من الأقباط والمسلمين على سبيل الإهداء[٣]. وأصبح ذلك عادة عند نساء المسلمين حيث ألزمن

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٤. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٤٩٣. وابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٥٢-٥٣.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٦٥. وابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٤٧-٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أزواجهن بذلك حتى صار ذلك كأنه فرض عليهن لأنهن اكتسبن ذلك من مجاورة القبط ومخالطتهن بهم. وإذا امتنع أحدهم عن فعل ذلك «كان سبباً لوقوع التشويش بين الرجل وأهله»[١].

وعندما تولى السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م أمر بإلغاء الاحتفال بعيد النيروز وهدد من أحياه بعقوبات صارمة، وأصدر أمراً للحجاب، ووالي القاهرة بالتوجه إلى أماكن المتنزهات والقبض على من وجدوه من العامة ممن يحتفل بعيد النيروز. فقبضوا على عدد كبير وضربوا عدداً منهم وقطعوا أيدي آخرين. كما أصدر السلطان برقوق أمراً بنصب عدد من المشانق برسم من يحتفل بعيد النيروز، فتراجع الناس عن الاحتفال به، وصار بعضهم يحتفل ببعض شيء منه في المتنزهات كالخلجان والبرك وشاطئ النيل[٢].

- **الخلاصـــة:**

تميز المجتمع في مصر وبلاد الشام في دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق بوجود ثلاثة فئات اجتماعية أساسية هي: المماليك والمتعممون وعامة الشعب، فضلاً عن الأقليات الدينية كالنصارى واليهود. حيث عاشت طبقة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق الأولى بمعزل عن باقي طبقات المجتمع في الدولة. ثم أخذت المماليك بالنزول من القلعة بعد الانتهاء من فترة التدريب في الطباق إلى القاهرة والزواج من نساء القاهرة ومصر وغيرها بعد عودة السلطان برقوق

---

(١) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٤٨-٤٩.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٦٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٢. وعلي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٥٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانية إلى الحكم. وبالرغم من سماح السلطان برقوق للمماليك بالنزول من القلعة إلى القاهرة والزواج من نساء القاهرة إلا أنهم بقوا في عزلتهم عن بقية فئات المجتمع الأخرى. وربما يعود السبب في ذلك إلى تركز الوظائف الإدارية والعسكرية بأيديهم، وإلى طبيعة التربية العسكرية التي تلقاها المماليك في الطباق، وعدم وجود رابطة الأسرة الواحدة بينهم.

أما فئة المتعممين فتمثل الفئة الثانية في الدولة وتضم كلاً من الفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب وأهل التصوف وطلاب العلم والمدرسين والقضاة والوعاظ والأئمة. وقد اقتصرت هذه الفئة من المجتمع على العرب.

وقد وجدت فئة المتعممين عناية خاصة من قبل سلاطين المماليك، حيث كان لهم مركز الصدارة في مجلس السلطان في مصر ومجالس الأمراء في نيابات السلطنة المختلفة. وقد برزت أهمية هذه الفئة من المجتمع من خلال أهمية حضورهم قراءة تعهد الخليفة تفويض السلطنة للسلطان. إذ يمثل حضورهم دليلاً على تنازل الخليفة عن حقه في تولي أمور الدولة وإضفاء الشرعية على حكم السلطان الجديد. ومن خلال إصلاح ذات البين أثناء الفتن والاضطرابات الداخلية في الدولة كما حدث سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م بين السلطان برقوق والأمير يلبغا الناصري ومنطاش. حيث لعب المتعممون دور الوساطة بين الطرفين لإنهاء حالة الصراع وحقن دماء المسلمين.

أما فئة عامة الشعب، فتتألف من التجار الحرفيّن والصناع والعامة والزعر (الزعار) والفلاحين. وتعد فئة التجار من أبرز فئات المجتمع في دولة المماليك، حيث لاقت هذه الفئة من المجتمع اهتماماً واضحاً من قبل السلطان برقوق من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلال إنشاء إدارة رسمية للإشراف على مصالحهم التجارية الخاصة وتسهيل معاملاتهم تسمى (رئاسة التجار).

أما بقية فئات عامة الشعب كالعامة والزعر والفلاحين فقد عانت حياة البؤس والظلم والاستبداد من قبل السلطان والأمراء والمماليك، حيث اقتصر دورهم في الدولة في أغلب الأحيان على العمل ودفع الضرائب واستخدامهم لدفع تعديات البدو. والاشتراك في الثورات الخارجية.

أما الأقليات الدينية كالنصارى واليهود فقد لعبت دوراً هاماً في دولة المماليك حيث أسندت الدولة إليها إدارة المؤسسات الإدارية المختلفة كالوزارة، ونظر الخاص، ونظر المتجر السلطاني وغيرها.

كما ارتبطت الأقليميات الدينية بعلاقات حسنة في بعض الأحيان مع الدولة حيث وقف عدد كبير من النصارى إلى جانب بعض سلاطين المماليك أثناء الفتن والثورات الداخلية حيث منح أحد تجار الشوبك النصارى للسلطان برقوق مبلغ مئة ألف دينار دعماً له لمواجهة ثورة الناصري ومنطاش سنة٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م. في حين وجد النصارى الدعم والنصرة من قبل بعض السلاطين والأمراء. على أن علاقة النصارى بالدولة والناس لم تكن دوماً حسنة. ولم تستطع الدولة إغفالها أو السكوت عنها سواء كان إجراءً تأديبياً على الأفعال التي ارتبكها النصارى أو استجلاباً لخواطر المسلمين.

أما دور الاقليات الدينية في الحياة اليومية فقد كان لهم مشاركة واضحة في مختلف الفعاليات الاجتماعية. فقد امتهن بعض النصارى واليهود التجارة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصناعة والصياغة والزراعة، كما برز عدد كبير من النصارى واليهود في مجال الطب والأدب والشعر، وتولوا المناصب الإدارية الرفيعة في الدولة كالوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس القبطي (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م).

أما وسائل التسلية والترفيه عن النفس فقد تمثلت عند سلاطين وأمراء المماليك بممارسة مختلف أنواع الألعاب الرياضية كلعب الكرة، ورمي الرمح، والمصارعة كونها من المهارات القتالية التي تتناسب وطبيعة التربية العسكرية. واهتموا بالغناء والاستماع إلى الآلات الموسيقية السائدة آنذاك.

أما المرأة فقد حظيت بالإحترام والتقدير. فقد نظر المماليك إلى نسائهم نظرة إجلال وتقدير، وتمثل ذلك بإضفاء ألقاب التشريف وعبارات الإحترام على نسائهم كلقب خوند، وخاتون.

كما تمتعت المرأة بالحرية والاستقلال ولا سيما في المدن ويتضح ذلك من خلال اللباس، والخروج إلى المتنزهات العامة، والحلي، أما نساء العامة من الفلاحين فقد عانين من حياة البؤس والفقر ويتمثل ذلك في حياة التقشف التي كان يعيشها الفلاحون.

وتعد حفلات الزواج من المظاهر الاجتماعية التي سادت في دولةالمماليك، ولا سيما عند الأثرياء من التجار وأعيان الدولة حيث تعد مظهراً من مظاهر الترف الاجتماعي والفوارق الطبقية بين فئات المجتمع في الدولة. إذا ما قورن ذلك بحفلات زواج المماليك ومهورهم وحفلات زواج عامة الناس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الأعياد فقد لاقت اهتماماً واضحاً على الصعيدين الرسمي والشعبي حيث اتخذت بعض هذه الأعياد طابعاً عاماً حظي باهتمام الدولة وعامة الناس كوفاء النيل، ودوران المحمل، والمولد النبوي، وبعضها الآخر اتخذ طابعاً دينياً له ارتباط بتراث وديانات بعض فئات المجتمع في الدولة مثل عيد النيروز.

ورغم أن عيد النيروز من الأعياد الدينية عند النصارى إلا أن المسلمين شاركوهم في الاحتفال بهذا العيد وتبادلوا معهم الهدايا مما أثار حفيظة رجال الدين من فقهاء وعلماء لكثرة ما كان يحدث فيه من الخروج عن تعاليم الدين الإسلامي والقواعد الأخلاقية كالزنا واللواط واختلاط الرجال مع النساء، مما اضطر السلطان برقوق إلى إلغاء الاحتفال بهذا العيد وفرض عقوبات مشددة على من يخالف ذلك قد تصل إلى القتل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

الحياة الثقافية والعمران في عهد السلطان برقوق

أ- الحياة الثقافية:

١- العلوم اللغوية والدينية:

أ- الحديث.

ب- علم القراءات.

ج- الفقه.

د- التصوف.

هـ- القضاة.

٢- الحركة الأدبية.

٣- العلوم العقلية:

أ- الطب.

ب- الحساب والميقات والهندسة.

٤- التاريخ.

ب- العمران:

١- العمائر الدينية:

أ- المدارس.

ب- المساجد.

ج- الخوانق.

٢- العمائر العامة.

أ- الجسور وأحواض المياه.

ب- مراكز البريد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة الثقافية والعمرانية في عهد السلطان برقوق

أ- الحياة الثقافية:

اتسمت الحياة الثقافية في مصر وبلاد الشام أثناء حكم سلاطين المماليك بالإزدهار لعوامل متعددة أهمها خطر المغول الذي هدد بغداد، وسقوط الأندلس بيد الممالك الإسبانية، فضلاً عن إحياء السلطان بيبرس الخلافة العباسية في مصر سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م وانتقال عدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء من مناطق مختلفة إلى مصر[١]. فازدهرت العلوم اللغوية والدينية كالحديث، وعلم القراءات، والفقه، والتصوف، كما ازدهرت العلوم العقلية في مختلف المجالات كالطب والحساب، والميقات، والهندسة. ونشطت الحركة الأدبية، وبرز عدد كبير من الأدباء والشعراء الذين تناولوا الحياة السياسية والإقتصادية والاجتماعية. كما برز عدد من المؤرخين الذين دونوا تاريخ دولة المماليك وكتبوا سيرة بعض السلاطين كالسلطان الظاهر بيبرس، والسلطان قلاوون، والسلطان الظاهر برقوق. فبرز عدد من المؤرخين من أبناء المماليك (أولاد الناس) مثل ابن تغري بردي، والدميري، وابن دقماق.

١- العلوم اللغوية والدينية:

اهتم سلاطين وأمراء المماليك بالعلم والعلماء. حيث وصف بعض السلاطين بميله إلى العلم والعلماء كالسلطان بيبرس الذي وصفه ابن تغري بردي بأنه: «كان يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً زائداً، ويقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب»[٢].

---

(١) سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٤١. وسعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسلطان الظاهر برقوق الذي عُرف عنه ميله للعلماء والفقهاء. رغم تنكره لعدد من القضاة والفقهاء في سلطنته الثانية بسبب إفتاء بعضهم بجواز قتله؛ إذ «لم يترك إكرامهم مع شدة حنقه عليهم». كما وُصف بمعرفة بعض المسائل الدينية ومخالطة العلماء والفقهاء، والتواضع لأهل العلم[١].

فأنشأ السلطان برقوق عدداً من المدارس والمساجد والخوانق لتدريس العلوم اللغوية والدينية[٢]. وقد جرت العادة عند الإنتهاء من بناء المدارس أن يقام احتفال كبير بمناسبة افتتاحها. فحين انتهى السلطان برقوق من بناء المدرسة الظاهرية بخط ما بين القصرين في القاهرة سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م[٣] أقام احتفالاً كبيراً بمناسبة افتتاح المدرسة. حيث نزل إليها من قلعة الجبل في عدد كبير من الأمراء والمماليك، والقضاة والفقهاء والأعيان. وأقام مائدة طعام فيها ألوان مختلفة من الأطعمة، والحلوى والفواكه، وملأ بركة المدرسة بشراب السكر. وعندما انتهى جميع المدعوين من الأكل، خلع السلطان برقوق على كل من ساهم في بناء المدرسة من المعلمين والبنائين والمهندسين[٤]. وعيّن للمدرسة عدداً من المدرسين والقراء والفراشين[٥].

فكان للمدارس دورٌ بارزٌ في ازدهار التعليم ولا سيما العلوم اللغوية والدينية. فقد ضمت المدارس عدداً كبيراً من الفقهاء والعلماء الذين برزوا في

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٨. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٢٧.

(٢) أنظر العمائر الدينية.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٢٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٠٥.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٤٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤٣.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٥١. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤٣. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٧٧٢. وابن حبيب، درة الأسلاك، ج٣، ص١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تدريس العلوم الدينية كالفقه والحديث، والقرآن الكريم. كما ضمت عدداً من الطلاب من مختلف أقطار مصر وبلاد الشام[١]. وأُلحق بالمدارس خزائن للكتب (مكتبات) احتوت على أنواع مختلفة من الكتب الإسلامية كالفقه والحديث. ومن أشهر هذه المكتبات، مكتبة المدرسة المحمودية التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الإستادار سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م[٢]. كما اختصت بعض المدارس بتدريس بعض المذاهب كالمدرسة الأيتمشية التي اقتصرت على تدريس الفقه على المذهب الحنفي[٣].

أما الخوانق[٤] فقد أدت دوراً اجتماعياً وثقافياً في مجتمع دولة المماليك. فكانت بعض الخانقاوات يقيم فيها عددٌ من الصوفية الفقراء وطلاب العلم. وكانت مزودة بأحواض الماء للشرب ولسقاية الدواب، والطعام. وضمت بعض الخوانق مكاتب (كتاتيب) لتعليم الأطفال الأيتام القرآن والخط، وصرفت لهم الطعام واللباس[٥].

ونتيجة لازدهار العلوم اللغوية والدينية في مصر وبلاد الشام فقد برز عدد كبير من الفقهاء والعلماء الذين تولوا مناصب دينية مختلفة في دولة المماليك كالتدريس، والإفتاء، وتعليم القرآن الكريم، وتولى بعضهم وظائف هامة في الدولة كالقضاء والحسبة وكتابة السر.

---

(١) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٦٥. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٦.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٩٥. وعبد الرحمن زكي، القاهرة، ص١٦٧.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٤٠٠.

(٤) لم تكن معروفة قبل الدولة الأيوبية، ابتكرها صلاح الدين الأيوبي. حيث بنى الخانقاة الصلاحية المعروفة بسعيد السعداء. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٧.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يلي عرض لأهم هؤلاء العلماء في مجالات العلوم الدينية واللغوية المختلفة:

١- في مجال الحديث:

١- محيي الدين عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أسد الإسكندراني القروي الذي سمع الحديث عن عدة شيوخ مثل عبد الرحمن بن مخلوف، ومحمد بن عبد المجيد الصواف المتوكل، والرضي الطبري. وقرأ على عبد النصير بن الشعراء القراءات. وله عدة أحاديث، وقد خرج له الذهبي جزأين من حديثه. وقد توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م[١].

٢- محمد بن تقي الدين عبدالله بن محمد. ولد سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م، وسمع الكثير من الأحاديث من كبار المحدثين مثل أبي بكر الرضي والشهاب الصرخدي وعائشة ابنة المسلم. وكان ينوب عن بعض القضاة في الحكم، ويوقع على الفتاوي، وله خمسة عشر حديثاً خرجها له ابن المحب الصامت. وقد توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٢٣م[٢].

٣- محمد بن محمد بن أحمد المقدسي، ولد سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م، سمع الحديث من كبار المحدثين كابن الرضي، والجزري، وبنت الكمال، وإبراهيم بن قيم الجوزية. عني بالحديث. ومن آثاره: كتب الأجزاء والطباق، وكتب بخطه عدداً كبيراً من الأحاديث. وكان شديد التعصب لابن تيمية. وقد توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م[٣].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- محمد بن يوسف بن إلياس القنوي، ولد سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، قدم إلى دمشق وهو شابٌ، وأخذ العلم عن التبريزي وغيره، امتنع عن مباشرة الوظائف، وكان قليل المهابة للأمراء والحكام والسلاطين، ويغلظ لهم. واهتم بالاشتغال بالحديث، والتزم أن لا ينظر في غيره. ومن آثاره: كتاب «الدرر» وفيه الكثير من المسائل الفقهية، ونظم فيه فقه المذاهب الأربعة. كما اختصر شرح مسلم للنووي، وشرح مجمع البحرين. وتوفي بالطاعون سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م[١].

٥- سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء الياسوفي، أصله من دمشق، ولد سنة ٧٣٩هـ/ ١٣١٨م، ثم رحل إلى مصر سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م وسمع بها الحديث من كبار العلماء. وقد عني بالحديث، وتولى التدريس بالمدرسة الأكرمية، والمشيخة الأسدية، وكان أحد الفقهاء الذين أفتوا بقتل السلطان برقوق. سجن بالقلعة في القاهرة إلى أن توفي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م[٢]..

٦- عائشة بنت الخطيب عبد الرحمن بن بدر الدين بن جماعة، أخت قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، سمعت الحديث عن الوافي وغيره، وحدثت بعدد من الأحاديث. توفيت سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م[٣].

٧- عبد الله بن محمد بن سليمان النيسابوري، أصله من نيسابور، ولد سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م، وسمع عن الرضي الطبري، وأجاز له أخوه الصغي، حدث بالكثير من الأحاديث. توفي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[٤].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٠. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص٥٢٣-٥٢٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٦٩.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ص٣٠٠-٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- عمر بن سعيد بن مسلم بن سعيد الكتاني، أصله من بلخ، ولد سنة ٧٢٤/ ١٣٢٣م، عني بالحديث والفقه والأصول والعربية، كان عالماً بالتفسير والفقه، وكان له معرفة بأسماء الرجال وطبقاتهم. تولى عدة وظائف دينية كالقضاء والتدريس، توفي بسجن قلعة دمشق سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٠م[١].

٩- عائشة بنت أبي بكر بن عيسى بن قواليج، سمعت الحديث عن القاسم بن عساكر وابن سعيد، وابن الشحنة، وحدثت. توفيت سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٨١م[٢].

١٠- فاطمة بنت تقي الدين الجعبري، سمعت الحديث عن ابن الرضي، وحدثت بدمشق. توفيت سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م[٣].

١١- إبراهيم بن داود بن عبد الله الآمدي، مات والده على دين النصرانية وهو صغير، فحمله الشيخ عبد الله الدمشقي الذي كان وصياً عليه إلى مجلس تقي الدين ابن تيمية فأسلم على يده. وقد تفقّه على المذهب الشافعي، وسمع الحديث، ورواه عن أحمد كشتفدي والحسن بن عبد الرحمن الأربلي وغيرهم. توفي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م[٤].

١٢- عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قايماز بن الحافظ أبي عبد الله الذهبي، تركماني الأصل، ولد سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، أجاز له وزيرة بنت المنجا والقاضي سليمان وإسماعيل بن مكتوم بالحديث، فأكثر عنهم، خرج له أبوه نحو أربعين

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٤٢-٤٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٩٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٤. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حديثاً، حدث بها في حياته. وكان يتصف بالصبر، محباً لأهل الحديث والروايات. توفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[١].

١٣- محمد بن أحمد بن إبراهيم الأذرعي، ولد بدمشق سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، قدم إلى القاهرة واختص بالأمير سيف الدين الشيخوني العمري وعدد من الأمراء، حدث عن التقي صالح، وأبي الفتح الميدومي وغيرهم. وكان خيراً ديناً. توفي سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م[٢].

ب- في مجال علم القراءات:

١- محمد بن العلاء علي بن يحيى بن فضل الله العدوي المصري. كان شافعي المذهب، اشتغل بالفقه والنحو والقراءات. وتولى عدة وظائف في الدولة مثل: كاتب السر، وكان أحد شهود الحكم في دمشق، توفي سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٥م[٣]. ومن أشعاره التي كتبها إلى السلطان برقوق حيث ثار عليه الأمير منطاش سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م:

يقبل الأرض عبد بعد خدمتكم مذ مسّه ضرر ما قتله ضرر
والشغل يفضي لأن الناس قد ندموا إذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر
والله إن جاءهم من عندكم أحد قاموا لكم معه بالروح وانتصروا[٤]

٢- أحمد بن علي بن عثمان الفيشي المصري، أتقن القراءات على الشيخ تقي الدين البغدادي وغيره. توفي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٤٩م[٥].

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٥٠. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٤٩.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٢٣١. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣١٢.

(٤) السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣١٣.

(٥) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن علوان التنوخي، ولد سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م. اهتم بالقراءات، فأخذ عن الجعبري والمرادي وابن حيان والواوي وآشي. كما اهتم بدراسة الفقه، فتفقه على عدد من كبار علماء الفقه كالبارزي في حماه، وابن النقيب بحلب، وابن القماح بالقاهرة. أذن له بالتدريس والإفتاء. توفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م[١].

٤- علي بن عبد العزيز بن عمر المالكي، شيخ القراءات بالمدرسة الشيخونية. توفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م[٢].

٥- أحمد بن محمد بن موسى الشوبكي. رحل إلى مكة وجاور بها، واشتغل بالفقه والعربية وأتقن القراءات، فقرأ عليه بمكة عددٌ كثيرٌ. توفي بمكة سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م وخلف بنتين هما: سعيدة وزينب اشتهرتا بعلم الحديث وحدثتا به في مكة[٣].

ج- في مجال الفقه:

١- سريجاً بن محمد بن سريجاً الملطي. كان إماماً بارعاً وفقيهاً، شافعي المذهب، وله عدة مؤلفات أهمها: قصيدة شعرية في القراءات السبع سماها «نهاية الجمع في القراءات السبع» بلغت القصيدة نحو ألف ومائتي بيت. توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٧م[٤].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٩٨-٤٠١. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص١١-١٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٩٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٣٠٦.

(٣) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦. ص٣٦٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٩٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٢٥-٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- محمد بن عبد الله الصرخدي، أحد الفقهاء البارعين بأصول الفقه، أخذ العربية عن العناني. وتولى الإفتاء والتدريس في عدة أماكن. ومن أهم آثاره «شرح المختصر»، واختصار كتاب قواعد العلائي، ومهمات الاسنوي. توفي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[١].

٣- بدر الدين محمد بن عبد الله المنهاجي الفقيه المعروف بالزركش، ولد سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م. تعلم على يد كبار العلماء، فأخذ الحديث عن ملغطاي، والفقه عن جمال الدين الأسنوي. رحل إلى دمشق وتفقه بها، ثم رحل إلى حلب. ثم أقبل على التأليف، ومن أهم مؤلفاته: «تخريج أحاديث الرافعي»، و«شرح جمع الجوامع»، و«شرح المنهاج»، و«البحر في أصول الفقه»، و«أحكام المساجد»، و«نظم الجمان في محاسن أبناء الزمان». توفي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م[٢].

٤- أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب بن رقيم البقاعي المعروف بالزهري الدمشقي الفقيه. ولد سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م. أخذ الفقه عن الأردبيلي والفخر المصري وابن قاضي شهبة. درس الفقه حتى برع فيه. تولى عدة وظائف كالتدريس بالمدرسة الشامية والقلجية والعادلية. كما تولى إفتاء دار العدل. والقضاء في ولاية الأمير منطاش. توفي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م[٣].

٥- إسماعيل بن أحمد بن علي بن عماد الدين الباريني الحلبي الفقيه، ولد سنة ٧١٩هـ/ ١٣٨٨م، قدم من حلب لطلب العلم، فقرأ على الشيخ علي المنفلوطي، وولاه سراج الدين عمر البلقني قضاء بعلبك، كما تولى خطابة القدس، وقضاء الشوبك. كما اشتغل بالحديث والإفتاء والتدريس. توفي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م[٤].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٤٨-٤٩.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص١٣٩-١٤٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣٤.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص١٧٠. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص١٥٠-١٥١. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٣، ص١٩٤.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- محمد بن علي بن يعقوب النابلسي، ولد سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م تقريباً، كان فقيهاً. مشاركاً في العربية والأصول والميقات، حفظ أكثر المنهاج للبارزي والعمدة، ومختصر ابن الحاجب. توفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨[١].

٧- أحمد بن عبد الله بن بدر بن عثمان الغزي العامري، ولد سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م بغزة ونشأ بها، قدم إلى دمشق واستقر بها ولازم علماءها، وبرع في الفقه والأصول، عمل في الإفتاء والتدريس. وله عدة مؤلفات أهمها: «شرح الحاوي على الفقه»، و«شرح جمع الجوامع»، كما علق على صحيح البخاري. وتولى عدة مناصب في الدولة مثل نظر البيمارستان النوري. توفي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م[٢].

٨- محمد بن محمد بن عثمان الجهني المعروف بابن البارزي. اشتهر بالفقه والنحو والأدب. ولد سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م بحماه ونشأ بها. قرأ الفقه والنحو والأدب، وتولى عدة مناصب مثل كتابة السر بحماه، وقضاء القضاة، وخطابة الجامع الأموي بدمشق، وقضاء القضاة بحلب. تعلق بصحبة الأمير شيخ المحمودي نائب السلطنة في بلاد الشام. توفي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م[٣].

د- في مجال التصوف:

١- علي بن عبد القادر المراغي الصوفي، برع في الفقه والأصول والطب والنجوم، وتميز بالعلوم العقلية. كان أحد الصوفية بالمدرسة السمياطية[٤]، فشُهد عليه بالاعتزال فعزر على ذلك واستُتب، ثم عين في خانقاه خاتون. توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م[٥].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٤، ص٨٨. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٧.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٣٥٠-٣٥١. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٧. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٠٠.

(٣) المقريزي، المقفى الكبير، ج٧، ص٧١-٧٢. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٣٧.

(٤) المدرسة السمياطية: أنشأها أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي من أكابر دمشق (ت ٤٥٣هـ ويذكر النعيمي أنها من الخانقاوات. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص١٥١.

(٥) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٣٩. والنعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- أحمد بن محمد السيرافي، برع في الفقه والأصول وعلمي المعاني والبيان، درس في مدينة هراه وخارزم، وقدم إلى حلب واشتهر بها، وعندما أنشأ السلطان برقوق المدرسة الظاهرية (برقوق) استدعاه إى القاهرة وعينه مدرساً للمذهب الحنفي وشيخاً للصوفية. توفي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[١].

٣- عبد الله بن علي بن محمد بن أبي الفتح العسقلاني. كان ديّناً خيّراً يلبس لباس الأجناد، فألبسه القطب القسطلاني خرقة التصوف وأصبح من الصوفية. حدث بمسند الإمام أحمد بن العرضي فأقبل عليه عدد كبير. توفي سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٥م[٢].

هـ- القضاء:

١- القاضي برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن جماعة، ولد سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، سمع عن أبيه وعمه، ومن بعض شيوخ مصر، ورحل إلى بلاد الشام ولازم المزي والذهبي وأخذ عنهما. تولى عدة مناصب مثل خطابة بيت المقدس، والإفتاء، والقضاء بمصر. توفي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[٣].

٢- شهاب الدين أحمد بن عمر بن أبي بكر بن أبي الرضا الحلبي. كان من أذكياء عصره، تولى عدة مناصب مثل القضاء في حلب. واشترك في ثورة الناصري ضد السلطان برقوق وأفتى بقتله وكان يركب بنفسه والمنادي ينادي «قوموا أنصروا الدولة المنصورية بأنفسكم وأموالكم فإن الظاهر من المفسدين العاصين الخارجين،

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير، ج١، ص٥٩٤.

(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص٦١٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩-٤٠. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣١٤-٣١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن سلطنته ما صادقت محلاً. وعندما عاد السلطان برقوق إلى الحكم نقم عليه وأمر بحمله إلى القاهرة حيث اغتيل في الطريق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. من آثاره شرح العضد، ونظم غريب القرآن[١].

٣- أحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية المخزومي القرشي، ولد سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م، سمع من نجم الدين الطبري، وعيسى الحجي وغيرهم، وحدث وتفقه على النجم الأصفوني والعلائي. أذن له بالإفتاء، وتولى القضاء بمكة. توفي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٢].

٤- القاضي أحمد بن إسماعيل بن محمد بن وهيب الأذرعي، ولد سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، سمع من الحجار وحدث عنه، وتولى قضاء مصر، وقضاء دمشق عدة مرات؛ كان آخرها سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م. ودرس في عدة أماكن. وهو من أقدم المدرسين والقضاة. توفي سنة ٧٩٩هـ ١٣٩٦م[٣].

٥- القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي، تعلم الفقه في طرابلس، ثم رحل إلى القاهرة، درس بالمدرسة الصرغتمشية. فأخذ الفقه عن السرج الهندي، وناب في الحكم، وتولى القضاء بالقاهرة. وكان خبيراً بالأقضية، عارفاً بالوثائق (وسجلات العقود). توفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[٤].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٦٠-٣٦١.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٦-٣٧.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٢٤٠.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- قاضي القضاة إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي. ولد سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م، تفقه بمذهب أبي حنيفة بالقاهرة، وسمع الحديث بها. برع في الفقه والنحو. وشارك في الحديث، وكتب في توقيع القضاة بحوانيت الشهود. ثم ولاه السلطان الظاهر برقوق قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة. توفي سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م[١].

٧- قاضي القضاة محمد بن إبراهيم بن إسحاق المناوي، ولد سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٢٣م، برع في الفقه وغيره من العلوم الدينية، وناب في الحكم عدة سنين، ودرس بالمدرسة المنصورية والشيخونية. كما تولى إفتاء دار العدل، وصار من أجلّ قضاة مصر وأعيان الفقهاء بها. له عدة مصنفات أهمها: «تنقيح المصابيح»، و«فرائد الفوائد»، و«تعارض القولين لمجتهد واحد»، و«مناقب الإمام الشافعي». عزله السلطان الظاهر برقوق عن قضاء مصر لأنه لم يقرضه من أموال الأيتام. توفي سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م[٢].

٨- قاضي القضاة أحمد بن إسماعيل بن خليفة المعروف بالحسباني، ولد سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، كان إماماً وفقيهاً وبارعاً بالفقه والعربية والحديث، عمل في التدريس والإفتاء عدة سنين. وتولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق. توفي بدمشق سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٥م[٣].

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص٦٣-٦٤.

(٢) المصدر ذاته، ج٥، ص٧٩-٨٠. والسلوك، ج٣، ق٣، ص١٠٧٣.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣. والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٢٣٧-٢٣٩. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٤، ص٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- القاضي محب الدين محمد بن محمد بن الوليد بن الشحنة، ولد سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م بحلب، اشتغل بالتدريس والإفتاء، وعين قاضياً بحلب ثم عزل؛ ثم أعيد إلى منصبه وظل فيه حتى قيام ثورة الأمير الناصري ضد السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. فعزله السلطان برقوق بسبب تحيزه للأمير الناصري. له عدة مصنفات أهمها: اختصر تاريخ المؤيد صاحب حماه وذيل عليه إلى زمنه عن طريق الاختصار، والسيرة النبوية، والرحلة القصرية بالديار المصرية. توفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٥م[١].

١٠- قاضي القضاة ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو زرعة العراقي. ولد سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م. تفقه على علماء عصره كسراج الدين البقليني وغيره، وبرع بالفقه والأصول والعربية. تولى منصب قاضي القضاة بالقاهرة بعد القاضي جلال الدين البقليني إلى أن تعصب عليه بعض أهل الدولة. فعزل عنها. له عدة مؤلفات أهمها: «تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل»، و«تحفة الوارد وترجمة الوالد»، و«شرح الصدر بذكر ليلة القدر»، و«فضل الخيل، والنيل»، «والدليل القويم على جمع التقاويم». توفي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٦م[٢].

١١- القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عيسى العجلوني، ولد سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م. بعجلون، حفظ المنهاج وهو صغير، وتلقى العلم على مشايخ عصره، ودأب على دراسة الفقه. وتولى منصب القضاء في صفد في سلطنة الظاهر برقوق، وبعد فتنة تيمورلنك عاد إلى دمشق وناب بها في القضاء مدة، ثم درس في المدرسة الركنية. وكان حسن العشرة سليم الباطن فقيهاً مصنفاً، يحفظ كثيراً

---

(١) السخاوي، ذيل رفع الأصر، ص٤٠٦-٤١١.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ٣٣٢-٣٣٥. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من شعر المتنبي ويتعصب له. وكان الشيخ البلقيني يفرط في الثناء عليه. من مصنفاته: «شرح على المنهاج». قال عنه السخاوي: «وهو في الشاميين نظير البيجوري في المصريين» توفي سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٤٨م[١].

٢- الحركة الأدبية:

تميزت فترة حكم سلاطين المماليك بالاهتمام بالحركة الأدبية. فقد شجع سلاطين وأمراء المماليك الأدباء والشعراء وضموهم إلى بلاطهم. فقد كان السلطان برقوق مولعاً بمجالس العلماء والأدباء وصاحب ذوق سليم ورفاهية بالغة بالأدب[٢]. بعيداً عن مجالس اللهو والطرب[٣]. لذا برز عددٌ من الأدباء والشعراء في هذه الفترة مثل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن مخلوف الذي يعد من الشعراء المشهورين، امتاز بالفضيلة وعلو القدر. كان عارفاً بالقراءات السبع، قال الشعر وعمره دون سن العشرين. وعمل في تدريس الشعر[٤]. مدح السطان برقوق بعدة قصائد عند توليه السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م[٥]. توفي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م. ومن أشعاره التي قالها في مدح السلطان برقوق:

تولى الملك برقوق المفدى بسعد الحد والأقدام حتم
نهار الأربعاء بُعيد ظهر وللتربيع في الأفلاك حكم
بتاسع عشر رمضان لعام لأربع مع ثمانين تتم

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص١٥٣-١٥٤. والسخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٥٧. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٤، ص٩٣.

(٢) عبد الرحمن زكي، القاهرة، ص١٧٧.

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٥٠٠.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص١٨١. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٨٣٤. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٩٧. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٨٧.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسبع في مئتين عابـــرات مضت فيها جديس ثم طمـــس
ولمـا همّ هـم السيف منـه بحـرب قِيل إن النـاس سلـم
أتته أئمـة الإسـلام طـراً إلى أبـوابـه سعيـاً يـؤم
وجاء له الخليفة في سـواد فسلطنـه وفي الآفـاق رغـم
وقلده بسيف المُلك طوعـاً فيـا لك صـارمـاً مـا فيه ثلم
وألبسه السواد فـزاد حسنـاً كـأن جبـينـه بـدر متـمـم
وسمي «ظاهراً» تصديق فأل نطقت به ومـا في ذلك إثـم
وكنى عـاجـلاً «بأبي سعيد» فـوافـق نجمه سعـد ونجـم
وأرسلت السماء الغيث بشراً لأهـل الأرض كلهـمـو تعـم
فقلت لـه: يتم الملك دهـراً لبـرقـوق فقـال: نعـم يتـم[1]

ومن شعره أيضاً:

إن الكريم إذ تنجس عِرضُـه لـو طهروه بزمـزم لـم يطهـرُ
مما اعتراه من القذارة والقذى لـم ينقَ من نجـس بسبعة الجر[2]

ومن أشعاره التي انتقد فيها سياسة السلطان برقوق وسيطرة القبط على موارد الدولة الاقتصادية قوله:

وكيف يرومُ الرزقَ في مِصرَ عاقلٌ ومن دونهِ الأتراكُ بالسيـف والتُّرْسِ
وقـد جمعتهُ القبْطُ مـن كـل وِجْهةٍ لأنفُسهم بالرُّبْـع والثُمـن والخُمـسِ
فللترك والسُّلطان ثُلُثُ خراجها وللقبط نصفٌ والخلائقَ في السُّدسِ[3]

---

(١) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٤-٤٥.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص٨٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٥٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٤٣. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص١٥٣-١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما اشتهر في مجال الأدب والشعر شرف الدين أبو البركات موسى بن محمد بن محمد، الذي كان يُعد أحد فضلاء الأدب والكتابة. كان يمتاز بحسن الخط والنثر ونظم الشعر. تولى كتابة الإنشاء في حلب. وتوفي بمدينة الرملة بفلسطين سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م وعمره نحو ثلاث وأربعين سنة. من شعره:

ومجموع كعقد الدر نظماً ... على تفضيله الإجماع عقد

يطابق كل معنى فيه حسناً ... فجموعاً تراه وهو فرد[١]

كما برز في مجال الأدب والشعر محمد بن عبد الله العبسي القاهري. وهو أديب فاضل، نظم الشعر، وتولى عدة مناصب في الدولة كاستيفاء الأحباس، والكتابة على التواقيع. توفي في شعبان سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م. ومن شعره:

بي من بني الترك رشيف ... مثل الغزلان مقبلاً ومعرضاً

ما جاءني قط بليل زائراً ... إلا كبرق في الظلام أو مضا[٢]

ويعد أحمد بن محمد بن أحمد بن سليم بن حنا من كبار أدباء مصر. ولد سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م. كان فقيهاً ومدرساً وخطيباً وشاعراً، سمع من والده وأبي الفتح ابن سيد الناس، عمل في العلوم وبرع فيها، وكان ماهراً في لعب الشطرنج، ونظم القصائد النبوية. تولى عدة وظائف في الدولة كالتدريس في المدرسة الشريفية في مصر. جمع شعره وشعر غيره من الشعراء في ديوان واحد سماه «شاد الدواوين» وأفرد مما له من شعر في النيل وسماه «مقتطعات النيل». ومن مصنفاته أيضاً شرح قطعة من مقامات الحريري، واختصر تلخيص المفتاح سماه «لطيف المعاني». توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م. من شعره:

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٠٨. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أميل لشطرنج أهل النهى وأشكوه من ناقلِ الباطلِ

وكم رُمت تهذيب لُعّابِها وتأبَى الطِّباعُ على الناقلِ[1]

ويعد محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الآسجي من الشعراء البارعين في نظم الشعر والمكثرين فيه[2]، أخذ عنه نجم الدين المرجاني. توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م[3]. أما محمد بن محمد بن علي بن حزب الله المعزي، فقد قرأ بخط القاضي برهان الدين بن جماعة، وله نظم متوسط في الشعر. من أهم مصنفاته: «عرف الطيب في وصف الخطيب» صنفه لبرهان الدين بن جماعة. توفي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م. من شعره:

لبريق الإبريق والنقا طار مني القلب إذ تألقا[4]

كما برز في مجال الشعر شهاب الدين أبو العباس أحمد الدنيسري المعروف بابن العطار. ولد سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي، والأدب والشعر، قال: «نظمت الشعر ولي ثلاث عشرة سنة». وقد تناول في أشعاره مواضيع مختلفة كالمديح والهجاء والغزل. واتبع في ذلك أسلوب الجد والهزل. ومن أهم مصنفاته: لطائف اللطائف، ونزهة الناظر في المثل السائر، وعنوان السعادة، وفرائد الإعصار في مدح النبي المختار، والسلوك الفاخر،

---

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص١٩٦. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥٥. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٠٧. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٢٩-٢٣٠. وأورد السخاوي في كتابه وجيز الكلام أبيات الشعر بصورة مختلفة:

أميل لشطرنج أهل التُّقى وأسلُوه من ناقِلِ الباطلِ

وكَم رُمت تهذيبَ لُعّابِها وتأبى الطِّباعُ على النّاقلِ

أنظر السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٧٨.

(٢) بالرغم من كثرة شعره إلا أنني لم أجد له شعراً في المصادر التي ترجمت له.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٢.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والموشحات النبوية، والعهود العمرية؛ وهو موجز في أحوال النصارى واليهود، وزهرة الربيع في التشابه، وبديع المعاني في أنواع التهاني، والدر الثمين في حسن التضمين، ونتائج الأفكار، ومرقص الطرب؛ وهو كتاب في الغزل، والاقتراح في وصف الملاح، والصادح والنابح هجا فيه الوزير ابن مكانس -أحد الشعراء المشهورين في مصر[1]-. له ديوان شعر سماه «جامع المحاسن». توفي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م. ومن أشعاره التي امتدح فيها السلطان برقوق حين تولى السلطنة:

ظهور يوم الأربعاء ابتدى ... بالظاهر المعتز بالقاهرة
والبشر قد عمّ وكل امرئ ... منشرح الباطن «بالظاهر»
الحمد لله نلنا غاية الأرب ... وفرج الله عنا أضيق الكرب
وسعدنا ظاهر لا يختص أبداً ... بالملك الظاهر المحفوظ في النوب
أبو سعيدٍ سعيدُ الرأي من خضعت ... له جميع ملوك العجم والعرب
الله ينصره، الله يعضده ... الله يحفظه من كيد مرتقب
الله يعطيه ما نرجوه من أمل ... الله يحميه بالآيات والكتب

ويذكر ابن الصيرفي بأن هذه القصيدة طويلة اختصرها للإجاز في الكلام[2].

ومن شعره في الغزل:

هجرتني بعد وصل ... فَمَدمُع الصبِّ صبُّ
ولست أشكو ولكن ... قطع العوائد صعبُ

ومن شعره في أهل العلم:

لحوم أهل العلم مسمومة ... ومن يعاديهم سريع الهلاك
فكن لأهل العلم طوعاً وإن ... خالفتهم يوماً فخذ ما أتاك[3]

(١) أنظر فيما بعد.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٢٣٨-٢٣٩. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٥-٤٦.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣١٤. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٤٣٥-٤٣٦. وانظر المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٦. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القاضي علاء الدين علي بن علي بن عبد الله بن يوسف البيري الحلبي؛ فقد كان شاعراً وكاتباً ومنشئاً. برع في كتابة الإنشاء والأدب، خدم عدداً من سلاطين المماليك إلى أن اتصل بخدمة الأمير يلبغا الناصري الأتابك، وشارك معه في قتال السلطان برقوق، وحين تمكن الأمير يلبغا الناصري من عزل السلطان برقوق من السلطنة، صار علاء الدين من عظماء الدولة، ولكن عندما عاد السلطان برقوق ثانية إلى السلطنة وقبض على الناصري وخنقه؛ قبض على علاء الدين وأرسله إلى القاهرة، ثم قتله في ١٠ ربيع الأول سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م. ومن شعره:

أرى البدر لما أن دنا لغروبه ... وألبس منه أزرق الماء أبيضا

توهم أن البحر رام التقامه ... فسل له سيفاً عليه مفضضاً[١]

واشتهر الوزير فخر الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن إبراهيم القبطي المعروف بابن مكانس في نظم الشعر. حيث يُعد من مشاهير شعراء القاهرة، وأدبائها الذين امتازوا بالفصاحة والبلاغة. ويذكر ابن تغري بردي بأنه كان: «لا يُعرف من أبناء جنسه من الأقباط من يقاربه أو يدانيه، وهو أحد فحول الشعراء في مصر»[٢]. تولى عدة وظائف في الدولة أثناء فترة حكم السلطان برقوق كالوزارة في دمشق، وناظر الدولة في مصر[٣]، له ديوان شعر «كثر الوقوع بأيدي الناس»[٤]. مات مسموماً سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م[٥]. ومن شعره حين صادره السلطان برقوق:

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٢٨.

(٢) المصدر ذاته، ج١٢، ص١٣٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٧٨.

(٤) اطلعت على ديوان شعره، وهو من الدواوين الشعرية المنثورة. يوجد نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، تحت رقم ١٣٩٤. وسيشار إليه ابن مكانس، ديوان.

(٥) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٣٢. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٣٨. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رب خذ بالعدل قوماً أهل ظلم متوالي
كلفوني بيع خيلي برخيص وبغالي

ومن شعره أيضاً:

زارت مُعطرةُ الشذا ملفوفة كي تختفي فأبى شذا العطرِ
يا معشر الأدباء هذا وقتكم فناظموا في اللُّفّت والنَّشرِ[1]

وله أيضاً:

عُلِّقتُها مَعْشُوقةً خالها قد عَمَّها بالحُسْن بل خصَّصا
يا وَصْلَها الغالي ويا جِسْمَها لله مَا أغْلى، وما أرخَصَا[2]

أما أبو بكر بن فخر الدين عثمان العجمي فقد برز في مجال الأدب والكتابة والشعر في مصر، حيث كتب بخطه الكثير من الأحاديث والأشعار[3]. وتولى عدة وظائف في الدولة كالتوقيع في القاهرة[4]. توفي في ١٦ ذي الحجة سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م[5]. من شعره في الغزل:

قد عاود الحُب قبلي بعد سلوته واستعذب الضيم والتعذيب والنصبا
وكان أقسم لا يصبوا الظبي نفًا فما رأى في هوى غزلانه وصبا[6]

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣١. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٥٦.

(٢) السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٠٤.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٣٥٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٩١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٦٤.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٣٥. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٤٨٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٨. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٦٣-٤٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما برز في مجال الأدب ونظم الشعر والعربية والفقه أمين الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الحمصي الذي ولد سنة ٧٥١هـ/ ١٣٦٠م. تفقه بدمشق، وبرع في العربية والأدب ونظم الشعر، وكان عارفاً بالموسقى وتأديته، تولى كتابة السر بدمشق. وتوفي سنة ٨٨٠هـ/ ١٣٩٧م. من شعره:

ضلوا الماء لما أن سروا سحراً　　قومي فظلوا حيارى يلهثون ضما

والله أكرمني بالورد دونهم　　فَقلت «يا ليت يعلموني بما»[1]

أما محمد بن أحمد بن سليمان بن يعقوب المعروف بابن خطيب داريا الأنصاري الذي ولد سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٧م، فقد برز في مجال الأدب وصار من أئمتها، سمع الحديث بدمشق ومصر، ومدح كبار أعيان مصر وبلاد الشام. له عدة مصنفات أهمها: شرح ألفية ابن مالك في النحو، وسبك النظم مع الشرح، واللبيب الضرغام في اللغة رتبه حسب حروف المعجم. كما عرف عنه ولعه بعلم الكيمياء؛ حيث اشتغل به مدة طويلة. توفي في مدينة بيسان سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. من شعره:

لم أسع في طلب الحديث لسمعة　　أو لاجتماع قديمه وحديثه

لكن إذا فات المحب لقاء من　　يهوى، تعلل باستماع حديثه[2]

كما اشتهر علي بن أيبك بن عبد الله الدمشقي بنظم الشعر والمدائح النبوية وغيرها. واهتم بالتاريخ؛ حيث كان له تعاليق تاريخية على الحوادث التي حدثت في زمانه. توفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. ومن شعره:

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٦٣-١٦٤.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير ج٥، ص١٧٩-١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مليح قام يجذب غصن بان فمال الغصن منعطفاً عليه

وميل الغصن نحو أخيه طبع وشبه الشيء منجذب إليه[١]

يلاحظ من خلال دراسة الحركة الأدبية في دولة المماليك أن أغلب أدباء وشعراء هذه الفترة ركزوا على شرح مؤلفات غيرهم من الأدباء والشعراء أو القيام بتلخيصها أو كتابة ملخص للخصات أخرى سابقة. وليس ثمة إبداعات أدبية أو شعرية واضحة تدل على ازدهار الحركة الأدبية باستثناء القليل منها كالتي عالجت الأحوال الاقتصادية، وظلم الأمراء والمماليك، وسياسة الظلم والاستبداد المتمثلة بمصادر موظفي الدولة وغيرهم. أما باقي المواضيع فقد ركزت على المديح والغزل وغيرها.

٣- العلوم العقلية:

تشتمل العلوم العقلية على الطب والهندسة والكيمياء والحساب وعلم الميقات. وقد لاقت مختلف هذه العلوم تشجيع واهتمام سلاطين المماليك ولاسيما الطب والصيدلة. فقد اهتم السلطان برقوق كغيره من سلاطين المماليك باستقطاب أشهر الأطباء إلى مصر وبلاد الشام أثناء فترة حكمه. فقد ذكر ابن إياس «أنه حين وصل رسول أبي يزيد بن عثمان متملك الروم إلى القاهرة سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م يحذره من تيمورلنك ويطلب منه طبيباً حاذقاً لعلاج المرض الذي أُصيب به في فواصله، بعث إليه برئيس الأطباء شمس الدين بن صغير أشهر أطباء مصر وبلاد الشام، وبصحبته حملان من الأدوية، وهدية حافلة»[٢].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٤، ص٦٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٠. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد برز عدد كبير من العلماء في مصر وبلاد الشام في مجالات الطب والهندسة، والحساب والميقات. وفيما يلي عرض لأشهر العلماء الذين برعوا في مختلف العلوم العقلية:

١- الطب:

١- عوض اليهودي الطبيب: كان قاضياً لليهود، وله شهرة واسعة في مجال الطب، ومقرباً من رجال الدولة والأعيان، عمل في النحو. وتوفي في رمضان سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[١].

٢- عبد الواحد بن عبد الله المعزي المعروف بابن اللوزي. يعد من كبار الأطباء الماهرين في الطب والهيئة وغير ذلك. توفي في شوال سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[٢].

٣- علاء الدين بن عبد الواحد بن صغير. رئيس الأطباء في مصر، وأحد أعلام علم الطب. كان يرافق الجيش عند خروجه إلى القتال. توفي سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م في حلب في أحد التجاريد التي خرج بها مع السلطان برقوق[٣]. ويذكر ابن تغري بردي: «أنه كان يصف الدواء بأربعين ألف درهم للميسر، ويصف الدواء نفسه للمعسر بفلس واحد»[٤]. رغبة في عمل الخير، بحيث كان قد جعل من ماله مبلغ خمسة آلاف دينار للقرض برهنٍ قصداً للثواب[٥].

---

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٢٠٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٣٠٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٢١. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٢٢٨-٢٢٩. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص١٥١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٩٤.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٠.

(٥) السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- صدر الدين بديع بن نفيس، رئيس الأطباء[١]، أسلم بإسلام أبيه، تقدم في الطب، وعينه السلطان برقوق شريكاً لعلاء الدين بن صغير في رئاسة الأطباء في مصر «وكان إماماً من أئمة علماء الطب والحساب والنجوم وغير ذلك من الفنون الحرفية»[٢]. له عدة تصانيف[٣] توفي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م[٤].

٥- إبراهيم بن عبد الله الخلاطي الشريف الدريدي، ولد نحو سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م. قدم إلى حلب وسكن إحدى زوايا الصوفية فيها. برع في عدة مجالات كالطب والكيمياء وصناعة اللازرد، حيث لم يسمح لأحد بتعلم ما كان يعرفه من صناعة اللازرد، كان معظماً عند الأمراء والأعيان. توفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م. وكانت له جنازة كبيرة[٥].

٦- فتح الله معتصم بن نفيس الداودي، كان جده يهودياً قدم من تبريز في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون إلى القاهرة، واختص بالأمير شيخون العمري، وأصبح طبيبه الخاص، ثم أسلم على يد السلطان حسن بن قلاون. وتولى رئاسة الطب في القاهرة بعد وفاة علاء الدين بن صغير، واختص بالسلطان الظاهر برقوق، فولاه كتابة السر[٦].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٤. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤-٥.

(٢) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٦٢. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٤.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٤٤. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٥٦٢. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤١٦.

(٥) ابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج١، ص٤٠٠. وابن قاضي شهبة، تاريخ، ص٤٢٥. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٥٤٠. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص١٧١-١٧٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٩٤.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٢٩. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥١٧-٥١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الحساب والميقات والهندسة:

١- علاء الدين علي بن طيبغا الحلبي الموقت، اشتغل في الهيئة والحساب والجبر والمقابلة، وعمل موقت البلد من غير منافسة في حلب، درس على يده عدد من شيوخ حلب، واعتمد عليه أكثر الأمراء المماليك في أحكام النجوم ومعرفة الطالع. توفي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م[١].

٢- أحمد بن محمد بن بيبرس شهاب الدين الزكلي، اهتم بدراسة علم الميقات ومهر فيه. كما اهتم بعلم القراءات. توفي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م[٢].

٣- محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم البساطي، ولد سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م في قرية بساط أحد القرى الغربية من الأعمال البحرية في مصر. حفظ القرآن، ورحل إلى القاهرة سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م وعمره نحو ثمانية عشر عاماً. وكان يسكن في الجامع الجديد بمصر، ويأتي إلى القاهرة ثلاثة أيام في الأسبوع لتدريس الفقه على المذهب المالكي، وأصول الفقه والنحو. كما درس الأشكال الحسابية والهندسية. توفي في القاهرة سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[٣].

٤- أحمد بن رجب بن طنبغا المعروف بابن المجد، ولد بالقاهرة سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، حفظ القرآن، ودرس الفقه على يد الشيخ البلقيني، وابن الملقن، ودرس الحساب على يد التقي بن عزالدين الحنبلي، وصار ماهراً في أنواع الحساب والهندسة والهيئة، وعلم الوقت. له عدة مصنفات مثل: جمع الحاوي وألفية

---

(١) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٩١-٩٢.

(٢) المصدر ذاته، ج١، ص٢٧٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٩، ص٨٢. والسخاوي، الذيل على رفع الأصر، ص٢٢١-٢٣٨. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٥. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٤٥. وابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحو، وإبراز لطائف الغوامض في إحراز صناعة الفرائض، وشرح الجعبرية والرسالة الكبرى، وشرح تلخيص ابن البنا في جامع الأصول والمواليد، والمنهل العذب الزلال في معرفة حساب الهلال، والفصول في العمل بالمقنطرات، والرسالة في العمل بالجيب، والضوء السائح في وضع الخطوط على الصفائح. كما كتب كراسة في معرفة الأواسط، وأخرى في استخراج التواريخ بعضها من بعض. توفي سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م[١].

٥- زين الدين عبد الرحمن بن محمد الشريشي الميقاتي الرئيس، كان ماهراً في علم الميقات. توفي في رمضان سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م[٢].

٦- نور الدين علي بن حامد بن أبي بكر البوطي الحاسب، ولد سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، برع في معرفة الأوضاع الميقاتية، وله خط جيد، توفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[٣].

٧- نور الدين علي بن محمد الميقاتي، كان من المقربين إلى السلطان برقوق، ورئيس كتابة التقاويم، له معرفة بالرمل وغيره، توفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م[٤].

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٣٠٠. والسخاوي، التبر المسبوك، ص١٤٩. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٦٨. والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٥٧-٥٨.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٠٥.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٥٣.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- التـــاريـــخ:

يعد التاريخ من أبرز الإنتاج العلمي في دولة المماليك، فقد برز عدد من المؤرخين الذين اهتموا بتدوين الأحداث التاريخية لدولة المماليك بشكل عام أو تدوين أحداث نيابة من نيابات الدولة، أو تدوين سيرة سلطان من السلاطين. نظراً لما استجد من أحداث هامة تستحق التدوين وقد اعتمد مؤرخو هذه الفترة على مصادر متعددة في تدوين الأحداث كالنقل من مصادر سابقة والمشاهدة والاطلاع على الوثائق والكتب الرسمية من بعض دواوين الدولة.

وقد اختلف المنهج التاريخي الذي اتبعه كل مؤرخ في تدوين الأحداث التاريخية، فمن المؤرخين من اتبع أسلوب الحوليات (السنين والشهور)، وبعضهم الآخر اتبع أسلوب التراجم في كتابة الأحداث من خلال السيرة العامة للمترجم لهم، ومنهم من اتبع أسلوب كتابة سيرة سلطات من السلاطين وما اشتملت عليه من أحداث هامة. ومن أبرز المؤرخين:

١- الحسن بن عمر بن حبيب. ولد سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، عمل والده عمر بن حبيب محتسباً في حلب. نشأ الحسن محباً للأدب. اهتم بدراسة الحديث، فحدث عنه ابن عشائر وابن ظهيرة، وسبط بن العجمي، ومحب الدين ابن الشحنة، وعلاء الدين ابن خطيب الناصرية الذي قال عنه في ترجمته: «وهو أول شيخ سمعت عنه الحديث وأجاز لي»[١]. وتولى ابن حبيب عدة وظائف في الدولة كالتوقيع عن القضاة، ونيابة القضاء، ونيابة كتابة السر. له عدة مؤلفات تاريخية أهمها: درة الأسلاك في دولة الأتراك كتب فيه تاريخ حلب، وهو تكملة لمؤلف أبيه درة الأسلاك في دولة الأتراك[٢]، وقد اتبع المؤلف أسلوب الحوليات في الكتابة، ويعد هذا

(١) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص١١٤-١١٥.

(٢) ابن حبيب، درة الأسلاك، مخطوط رقم ٥٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤلف من المصادر الهامة لدراسة تاريخ حلب لسببين: الأول أن المؤلف من أصل حلبي، والآخر معاصرته للأحداث التاريخية التي دونها. وله أيضاً تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه[١]، وله كتاب في العلوم الدينية بعنوان تلخيص المفتاح والسراجية في أصول الحنفية[٢]. توفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[٣].

٢- ناصر الدين محمد بن علي بن أبي العشائر السلمي، سمع الحديث بحلب، ودمشق، والقاهرة، كان بارعاً في الفقه والحديث والأدب. عمل هو وأبوه خطيبين في حلب[٤]. كتب في تاريخ حلب ذيل به على تاريخ ابن العديم ثم جمعه مسودة. وعندما عثر عليه ابن خطيب الناصرية بيضه ونقل عنه الكثير وأضاف إليه ما تجدد من أحداث، وأكمله في أربعة مجلدات مرتبة حسب الحروف، تناول فيه من مات من أهل حلب أو دخلها أو دخل شيئاً من معاملاتها. قدم إلى القاهرة للحصول على وظيفة في الدولة. غير أنه توفي قبل ذلك سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٩٥م[٥].

٣- ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات، ولد سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤، تفقه على مذهب أبي حنيفة، وسمع من نجم الدين يوسف الدلاصي كتاب «الشفاء» للقاضي عياض، وسمع صحيح مسلم ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الهادي، ودلائل النبوة للبيهقي. عمل في عدة وظائف كالشهادة في حوانيت

---

(١) حققه محمد محمد أمين في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٧٦م. أنظر قائمة المصادر.

(٢) ابن الخطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج١، ص٥٢٤. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص٣-٤. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٧٥٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص١١٤-١١٥.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧١. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠٤. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٨٢.

(٥) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠٤. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٦٣-١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشهود، وكتابة عقود الأنكحة (الزواج)، كما عمل خطيباً بالمدرسة المعزية. كتب في التاريخ مسودة تبلغ نحو مئة مجلد بدأ فيها من الهجرة حتى سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م. بيض منها نحو عشرين مجلداً[١]. ويذكر المقريزي أنه: «وقف عليها واستفاد منها مع عامية في ألفاظه»[٢]. توفي سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م[٣].

ويعد كتاب تاريخ ابن الفرات[٤] من المصادر الهامة لفترة دراسة دولة المماليك أثناء فترة حكم السلطان برقوق باعتباره معاصراً لهذه الفترة. حيث دون الأحداث التاريخية التي عاصرها حسب تاريخ وقوعها، وقد نظمت على الأيام والشهور والسنين مثال ذلك: «وفي أوائل شهر ربيع الآخر، الشهر المذكور»[٥]. «وفي هذه السنة...»[٦].

٤- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى أبو البقاء الدميري الشافعي، ولد سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م. برع في الفقه والوعظ، درس في عدة أماكن، وأفتى مدة. وقد أقبل في آخر عمره على التنسك. له عدة مصنفات أهمها: شرح منهاج النووي (في الفقه)، وشرح سنن ابن ماجة، وحياة الحيوان. توفي سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م[٧].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٥، ص٢٦٧.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٦٤.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص٥١. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٧٨.

(٤) وقد حملت المسودة في الأجزاء المتقدمة اسم الكتاب بعنوان: «الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك». أنظر محمد كمال الدين، الحركة العلمية، ج٢، ص١٢-١٣.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٢٧.

(٦) المصدر ذاته، م٩، ج١، ص٣٨.

(٧) المقريزي، المقفى الكبير، ج٧، ص٢١٥-٢١٦. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٧. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٤، ص٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق، ولد سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م. كان جده دقماق أحد أمراء المماليك في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون. طلب إبراهيم بن أيدمر العلم، وتفقه قليلاً على يد جماعة من الفقهاء الحنفية، ثم تحول إل دراسة الأدب، ثم حُبب إليه دراسة التاريخ فمال إليه بكليته، اتصف بمعرفة أخبار الدولة التركية وتراجم أمرائها لسببين: أحدهما كونه معاصراً لحكم دولة المماليك. والثاني كونه من أجناد الحلقة. وقد ولاه الأمير يلبغا السالمي خازن كتب الخانقه الصلاحية سعيد السعداء، كما تولى إمرة دمياط مدة قصيرة في آخر حياته. توفي سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م. وله عدة مؤلفات في التاريخ أهمها: كتاب تاريخ على السنين (الحوليات) وهو على ما يبدو كتاب الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين[١]. وتاريخ آخر على الحروف[٢]، وأخبار الدولة التركية، وسيرة الملك الظاهر برقوق[٣]، كما ألف كتاب في العلوم الدينية بعنوان طبقات الحنفية[٤].

٦- شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي، ولد بقرية قلقشنده[٥] سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٦م لأسرة عريقة في عروبتها، تنحدر من قبيلة بدر من فزاره[٦]. وتتلمذ على أعلام عصره، كابن الشحنة وابن الملقن، وبرع في العربية والأدب، وشارك في الفقه والفرائض والأنساب والتاريخ. وأسندت إليه عدة وظائف في دولة المماليك، منها: نيابة الحكم، وتوقيع الدست، وكتابة الإنشاء أثناء فترة حكم السلطان برقوق[٧]. توفي سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م[٨]. وله عدة مؤلفات أهمها:

---

(١) حققه محمد كمال الدين علي، ١٩٨٥، مجلدين، عالم الكتب، بيروت.

(٢) ربما يكون كتاب الانتصار بواسطة عقد الأمصار، نشر المكتب التجاري، بيروت، أوفست، طبعة بولاق، ١٨٩٣م. وهو غير محقق.

(٣) يوجد نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، لكنها غير واضحة.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٠٦. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص١٣٨، ١٤٠.

(٥) قلقشنده: وهي من قرى الوجه البحري تشتهر بالفواكه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٧-٣٩٩.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٣٩٩.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٧٣. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٣٥١-٣٥٢. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٥٢.

(٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.

٢. الغيوث الجوامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع.

٣. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.

٤. قلائد الجمان في قبائل عرب الزمان.

٥. مآثر الإنافة في معالم الخلافة[١].

٧- علي بن محمد بن سعيد بن هبة الله المعروف بابن خطيب الناصرية. ولد سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م بحلب ونشأ فيها. أخذ العلم عن والده، والسراج عمر البلقيني. رحل إلى مصر والقدس وأخذ العلم عن علمائها. فصار إماماً في الفقه والحديث والأصول والعربية، وحافظاً للتاريخ. تولى عدة وظائف دينية في دولة المماليك: كالإفتاء والتدريس والقضاء في حلب وطرابلس. توفي في حلب سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م[٢]. له عدة مؤلفات في التاريخ والعلوم الدينية أهمها:

١. تاريخ حلب. ترجم فيه لأعيان مدينة حلب جعله ذيلاً على تاريخ الكمال ابن العديم[٣].

٢. سيرة الملك المؤيد.

٣. تفسير سورة الفاتحة.

٤. شَرَح حديث أم زرع[٤].

---

(١) محمد حسين شمس الدين، مقدمة صبح الأعشى، ج١، ص٢٤-٢٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٩، ص١١٥. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣٠٣. والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٤٧٦-٤٧٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠٤.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٩، ص١١٥. والسخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣٠٣. والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٤٧٦-٤٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي. أصله من بعلبك، ولد سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م ونشأ بالقاهرة، وتفقه على المذهب الحنفي ثم تحول إلى المذهب الشافعي، وسمع الكثير من برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد الشامي، وسراج الدين عمر البلقيني وغيرهم[١]. وبسبب ثقافته الواسعة واتصاله ببعض الأمراء المماليك كشيخ الصفوي أمير مجلس (ت ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، وأحمد بن كندغدي (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، ويشبك الشعباني (ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) تمكن المقريزي من منادمة السلطان الظاهر برقوق وابن الناصر فرج وحظي عندهما، وتقلب في عهدهما في عدة وظائف أجمل السخاوي الإشارة إليها قائلاً: «... وناب في الحكم، وكتب التوقيع، وولي الحسبة بالقاهرة والوجه البحري غير مرة، أولها سنة إحدى وثمانمائة. والخطابة بجامع عمر وبمدرسة السلطان حسن، والإمامة بجامع الحاكم ونظره، وقراءة الحديث بالمؤيدية... وتولى نظر البيمارستان النوري بدمشق»[٢].

توفي سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م. وله عدة مؤلفات أهمها:

١. امتاع الأسماع فيما للنبي صلى الله عليه وسلم من الحفدة والمتاع.
٢. السلوك لمعرفة دول الملوك.
٣. المقفى الكبير.
٤. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
٥. الأوزان والأكيال الشرعية.
٦. شذور العقود في ذكر النقود.
٧. والخبر عن البشر[٣].

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٤١٥-٤١٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص١٧٠. والسخاوي، التبر المسبوك، ص٢١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٨٧-٩٢.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٢.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٤١٥-٤٢٠. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص١٧٠. والسخاوي، التبر المسبوك، ص٢١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن محمد بن جلال الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر. ولد بمصر سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، دخل الكتاتيب وعمره نحو خمس سنين، وحفظ القرآن وعمره سبع سنين. وردّ على أعلام عصره من العلماء، شغل ابن حجر العديد من الوظائف في دولة المماليك: كالإفتاء، والتدريس بالمدرسة الحسنية والمنصورية، وتدريس الحديث بالمدرسة البيبرسية والجمالية[١]، كما أُسند إليه مهمة خزن الكتب في المدرسة المحمودية في الموازنين، وكانت تحتوي على أنفس الكتب الموجودة في ذلك الوقت في القاهرة، وكان قد جمعها برهان الدين بن جماعة (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) طوال حياته، فعمل ابن حجر لها فهرستاً على الحروف في أسماء التصانيف وآخر على الفنون، وكان يقيم فيها في أغلب الأحيان يوماً واحداً في الأسبوع. وقد زودها بعدد كبير من الكتب التي فقدت منها[٢]. توفي سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م. وله عدة مؤلفات في التاريخ والعلوم الدينية أهمها:

١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.
٢. أنباء الغمر بأبناء العمر.
٣. الإصابة في تميز الصحابة.
٤. شرح البخاري.
٥. مختصر التهذيب.
٦. اللسان.
٧. تعجيل المنفعة[٣].

---

(١) السخاوي، ذيل رفع الأصر، ص٧٥-٨٨. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٦٢٢. والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٨٧-٩٢.

(٢) السخاوي، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩.

(٣) السخاوي، ذيل رفع الأصر، ص٧٥-٨٨. والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٨٧-٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- العمـــران:

اتسمت العمارة أثناء حكم سلاطين المماليك بالطابع الديني الذي تمثل بالمدارس والمساجد والخوانق والربط التي كانت مراكز للتعليم ونشر الدين الإسلامي. والطابع العام (الاجتماعي) كالبيوت، والبرك، والأسبلة، والصهاريج، والجسور، ومراكز البريد.

١- العمائر الدينية:

١- المدارس:

استلزم النشاط الديني الذي ساد في مصر وبلاد الشام في دولة المماليك الإكثار من تشييد المدارس. حيث كانت الدولة الأيوبية البداية لازدياد انتشار المدارس بعد أن بنى الملك الكامل محمد بن العادل سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م دار الحديث الكاملية بين القصرين، وقرر بها أئمة من المذاهب الأربعة وخطبة الجمعة، ثم بنى الأمراء مدارس أخرى لم تبلغ شأن المدرسة الكاملية. ثم تبعهم سلاطين المماليك الذين أكثروا من بناء المدارس في مختلف أنحاء الدولة في مصر وبلاد الشام، وقد ذكر القلقشندي «وخلال ذلك ابتنى الأمراء وغيرهم من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها»[١]. أما سلطنة السلطان الظاهر برقوق فقد شيد فيها عدد من المدارس هي:

١- المدرسة الظاهرية (البرقوقية): ابتدأ السلطان الظاهر برقوق في عمارتها سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) موضع خان الزكاة[٢] الذي استبدله بقطعة أرض أخرى بين القصرين من ورثة السلطان الناصر محمد بن قلاوون[٣]، بالقرب من المدرسة

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٥-٤١٦. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٦٣.

(٢) وهو فندق يعرف بخان الزكاة بالقرب من جامع الناصر محمد بن قلاوون بجوار المدرسة الناصرية. المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٥.

(٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٦٤. والمقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكاملية[١]. وعين على الإشراف على عمارتها الأمير جركس الخليلي أمير أخور[٢]. وبعد الانتهاء من عمارتها سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م[٣] أمر السلطان برقوق بفرشها، وولى مشيختها الشيخ علاء الدين بن أحمد بن السيرافي[٤]، وعين لها الطلاب، وسبعة مدرسين: أربعة مدرسين لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، ومدرس للتفسير، وآخر للحديث، ومُصدر لقراءة القراءات السبع[٥]. كما عين لها صوفية على عادة الخوانق[٦].

وجعل السلطان برقوق شرط الوقف عليها في بداية الأمر للقضاة ثم غير كتاب الوقف عليها سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م ونقل النظر عليها من القضاة لنفسه طوال حياته، ثم من بعده لمن يكون سلطاناً ينظر في ذلك بنفسه، أو يعين نائباً عنه[٧].

٢- المدرسة الزمامية: أنشأها الأمير الطواشي زين الدين مقبل الرومي زمام الدور السلطانية للسلطان الظاهر برقوق سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م لتدريس الفقه. كما جعل فيها صوفية ومنبراً يخطب عليه خطبة الجمعة[٨].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٦. والمقريزي، المقفى الكبير، ج١، ص٥٩٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٩. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٨٨.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥٤٦. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص١٨٦، ٢١٥، ٢١٦.

(٤) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٦٥. والمقريزي، المقفى الكبير، ج١، ص٥٩٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥١. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٤٠.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٦. والحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٩٩.

(٧) ابن الفرات، تاريخ، م٩، ج٢، ص٤٢٧. وعبد الرحمن زكي، القاهرة، ص١٧٧. ومصطفى السقا، الحياة الأدبية، ج٣، ص١٢٧٣.

(٨) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- المدرسة الحمودية: أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الإستادار سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م بين خط الموازنين خارج باب زويلة تجاه دار القرومية. وقد اختصت المدرسة بتدريس الفقه والحديث وغير ذلك من العلوم. كما زودت المدرسة بخزانة للكتب (مكتبة خاصة)، وكان «لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة». وقد احتوت المكتبة على أنواع مختلفة من الكتب الإسلامية كالفقه والحديث. ويذكر المقريزي «وعمل فيها (المدرسة الحمودية) خزانة كتب لا يعرف بديار مصر ولا الشام مثلها وهي باقية إلى اليوم»[١].

ومن الذين أشرفوا على خزن الكتب في هذه المكتبة ابن حجر العسقلاني المؤرخ. حيث عمل لها فهرستاً على الحروف في أسماء التصانيف وآخر على الفنون، وكان يقيم في المكتبة في أغلب الأحيان يوماً واحداً في الأسبوع. وقد أعاد إليها عدداً كبيراً من الكتب التي فقدت منها. كما كان يزودها بكتبه[٢].

٤- المدرسة الأيتمشية: تقع خارج القاهرة، داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة. أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أيتمش البجاسي الظاهري برقوق سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م، وجعل فيها درس فقه للمذهب الحنفي، وأنشأ بجانبها فندقاً كبيراً يعلوه عدة دور. كما أنشأ من الجهة الخلفية للمدرسة خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل[٣].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٩٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٣-٢٩٤. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- مدرسة إينال: أوصى بعمارتها الأمير الكبير إينال اليوسفي أحد المماليك اليلبغاوية[١] سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م خارج باب زويلة بالقرب من باب حارث الهلالية بخط القماحين. وعندما تمّ الانتهاء من عمارتها لم يعين فيها سوى قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره[٢].

ب- المساجد:

لم تكن المدارس هي المؤسسات الوحيدة التي ساهمت في نشر العلوم الدينية، بل كان للمساجد إلى جانب كونها دوراً للعبادة دور مهم في الحياة الثقافية. فقد كان في كل مدينة وقرية مسجدٌ أو أكثر. ذكر القلقشندي قال: «وأما مساجد الصلوات الخمس فأكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلّون»[٣]. ولكن ثمة فرق بين المدارس والمساجد في هذه الفترة. فقد ساهمت المدارس بنشر العلوم الدينية والعلوم الأخرى، في حين اقتصرت المساجد على نشر العلوم الدينية.

ويبدو أن المساجد التي شيدت في فترة حكم السلطان برقوق قليلة جداً حسبما وردت في المصادر التاريخية. وقد يعود السبب في ذلك إلى كثرة المساجد التي شيدت في الفترات السابقة لحكم السلطان برقوق واستمرار العناية بها من قبل سلاطين المماليك.

---

(١) الأمير سيف الدين إينال اليوسفي، أحد المماليك اليلبغاوية، ولي نيابة حلب، وصار في أواخر حياته أتابك للعساكر في مصر (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) دفن خارج باب النصر حتى انتهت عمارة مدرسته ونُقلت جثته إليها. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٠١. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٢٧. والسخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٠٤.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٤. وابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص١٢٧.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المساجد التي شيدت في فترة حكم السلطان برقوق فهي:

١- مسجد ابن الشيخي:

أنشأه المهتار ناصر الدين محمد بن علي الشيخي[١]، بخط الكافوري مما يلي القنطرة باتجاه النيل بالقرب من داره، وعين فيه الشيخ تقي الدين محمد بن حاتم، الذي جعل فيه موعداً يجتمع فيه الناس لسماع وعظه[٢].

٢- جامع الظاهر والحاج كمال التاجر وجامع سويقة الجميزة:

كانت هذه الجوامع موجودة قبل تولي السلطان برقوق السلطنة ويبدو أنها تعرضت للخراب ثم جُددت في فترة حكم السلطان برقوق. إذ يذكر المقريزي: «وجامع الظاهر وجامع الحاج كمال التاجر تجدد هو وجامع سويقة الجميزة في أيام الظاهر برقوق»[٣].

٣- مسجد تغري بردي:

أنشأه الأمير تغري بردي نائب حلب سنة ٧٩٦-٨٠٠هـ/ ١٣٩٣-١٣٩٧م في حلب لتدريس المذهبين الشافعي والحنفي. ويبدو أن اقتصار هذا المسجد على تدريس المذهبين الشافعي والحنفي دون العلوم الأخرى يعود إلى رغبة الأمير تغري بردي في تدريس هذين المذهبين. وقد ذكر ابن خطيب الناصرية أن عدد طلاب هذا المسجد ستة عشر طالباً: ثمانية منهم شافعية، يشرف على تدريسهم مدرس شافعي، وثمانية حنفية، يشرف على تدريسهم مدرس حنفي[٤].

---

(١) كان مسؤولاً عن الاسطبلات السلطانية للسلطان برقوق (ت ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م). المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٢٥٩. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١١.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٤٥.

(٤) ابن خطيب الناصرية، الدر المنتخب، ج١، ص٣٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- الجامع الأقمر:

وهو من الجوامع التي أنشئت في الدولة الفاطمية في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور المستعلي بالله سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م في القاهرة[١]، ثم جدده السلطان الظاهر بيبرس[٢]، ثم جدده الأمير يلبغا السالمي[٣] سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م وأنشأ حوله عدة حوانيت، وجعل في صحن الجامع بركة ماء للوضوء، وأنشأ فيه منبراً يخطب عليه يوم الجمعة، ومئذنة، وطلى الجامع من الداخل باللون الأبيض والواجهة الأمامية منه باللازورد والذهب[٤].

ج- الخوانق:

١- *الخانقاه الظاهرية برقوق:*

أنشأها السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م بخط بين القصرين بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية بجوار المدرسة الظاهرية (البرقوقية)[٥].

٢- *خانقاه ابن غراب:*

أنشأها القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الإسكندراني خارج القاهرة على خليج النيل من جهة البر الشرقي بالقرب من جامع بشتاك[٦].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٧٣. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٠.

(٣) الأمير يلبغا السالمي الظاهري، تولى عدة وظائف في الدولة كالاستادارية، ونظر الشيخونية قتل سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٦، ص١٣٣. والسخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٠٠. والسخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٨٩.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٠. والقاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ورقة ١٧١ أ.

(٥) المصدر ذاته، ج٢، ص٤١٨.

(٦) المصدر ذاته، ج٢، ص٤١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- *خانقاه سرياقوس:*

أنشأت سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م. وكانت تحتوي على حمام للنساء. كما كان يقدم فيها الطعام للفقراء. ويذكر المقريزي: «وما برحت على ما ذكرنا إلى سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام»[١]. بسبب الفتن والاضطرابات وسوء الأحوال الاقتصادية التي سادت في فترة حكم السلطان الناصر فرج بن برقوق.

وقد أشار المقريزي في موضع آخر إلى وجود خوانق وأربطة خصصت لإقامة النساء والأرامل والمطلقات[٢]. وهي أشبه ما تكون بالملاجئ بالمفهوم الحالي، وتعد من مفاخر المجتمع الإسلامي. لأنها كانت تؤدي دوراً اجتماعياً إلى جانب دورها الديني.

٤- *خانقاه يونس الدوادار:*

أنشأها شرف الدين الطواويس للأمير يونس الدوادار في دمشق سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م بالقرب من تربته التي أنشأها سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م[٣]. وقد وقف عليها عدداً من الدكاكين، واشترط في كتاب الوقف أن يكون الشيخ من الخانقاه والصوفية على المذهب الحنفي[٤]. وقد اقتصر دور هذه الخانقاه على تدريس المذهب الحنفي حسب رغبة الأمير يونس الدوادار.

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٢٣.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص٤٢٨.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج٣، ص٩٣.

(٤) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص١٨٩-١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- العمائر العامة:

اهتمت دولة المماليك بإنشاء العمائر العامة المختلفة. ففي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م بدأ الأمير جركس الخليلي أمير آخور السلطان برقوق بإنشاء جسر على رأس الخور المعروف بزقاق القناديل فيما بين جزيرة الروضة وجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى، من خشب السنط وأفلاق النخيل، لإعادة جريان مياه النيل تحت آدر منشية المهراني وزريبتي بكتمر وقسيون وما حولهما[١]. ولتحويل الماء إلى برّ القاهرة لري الأراضي الزراعية طوال العام، وتوفير مياه الشرب للسكان وخفض أسعار المياه المحمولة بالروايا (القرب الكبيرة)[٢] على الجمال. حيث بلغ طول الجسر نحو ثمانمائة قصبة (٣١٩٢ متر)، وعرضه عشر قصبات (٣٩,٩ متر)، وارتفاعه نحو ثمانية أذرع (٥,٣٢ متر)[٣].

كما أنشأ حوض ماء للسبيل سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م عند باب المعلا بمكة باسم السلطان برقوق من أجل سقاية الحجاج، وأوصل الماء إلى القدس عبر قناة تعرف باسم «قناة العروب»[٤]. كما أمر السلطان برقوق بإنشاء برجي ثغر دمياط، وجسر السبيل البنهاوي[٥].

---

(١) القلقشندي، مآثر الإنافة، ص١٤٨. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص١٦٩. والعيني، عقد الجمان، ورقة ٢٠ ب.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٦٩.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص١٦٩. والقصبة = ٣,٩٩ متر. هنتس، المكاييل، ص٩٤. والذراع (ذراع العمل = ٦٦,٥ سم). هنتس، المكاييل، ص٨٩.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٠. والعيني، عقد الجمان، ورقة ٢٠ ب.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ق٢، ص٥١٢. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) عدد من العمائر العامة التي شيدت أثناء فترة حكم السلطان برقوق مثل صهريج السبيل بقلعة الجبل في القاهرة، وصهريج السبيل تجاه الإيوان بقلعة الجبل، والطاحونة. كما أنشأ جسر الشريعة على نهر الأردن- في منطقة الأغوار الشمالية-، حيث بلغ طوله نحو مائة وعشرين ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً. وأنشأ سور دمنهور بالبحيرة، وعمر الجبال الشرقية بالفيوم من خلال زراعتها بالأشجار، وأنشأ بحيرة برأس بني سالم، قريباً من المدينة المنورة[١] على طريق الحج.

كما أنشأ السلطان برقوق مركز للبريد سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م وزودها بعدد كبير من الخيول والأكاديش. حيث ألزم كلاً من الأمراء المقدمين بعشرة أكاديش، وكلاً من الوزير والاستادار وبقية أرباب الوظائف وأمراء الطبلخاناة إكديشان وأمراء العشرات والعشرينات إكديش واحد[٢].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٧. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١١٣-١١٥. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٥٠١-٥٠٢. وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٤٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٣٣. وابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق (١)

مكاتبة بمنع العربان من الدخول إلى البلاد الشامية قبل فراغ الزرع

القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٢٣.

يمنع العربان من الدخول إلى البلاد قبل فراغ الزرع. وتبدى لعلمه الكريم أن المراسيم الشريفة تقضي بعدم دخول أحد من العربان إلى البلاد الشامية المحروسة: كبيرهم وصغيرهم، جليلهم وحقيرهم، إلى أن يشال الزرع على العادة. ومتى -والعياذ بالله- حصل منهم مخالفة لذلك حل بهم من الانتقام الشريف ما لا مزيد عليه. ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالي باعتماد ما اقتضته المراسيم الشريفة من ذلك، مع الاهتمام به، والاحتفال والاجتهاد فيه، قولاً واحداً، وأمراً جازماً، على عادة همته العالية، وتَقْدِماته المرضيَّة، فيحيط علمه ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر.

١- المصادر المخطوطة:

- ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م).

* جوهر السلوك في أخبار الخلفاء والملوك، نسخة مصورة عن نسخة كمبردج، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم ٧٤.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٣٤هـ/ ١٤٦٠م).

* مورد اللطافة، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم ١٠٠.

- ابن حبيب، عزالدين بن طاهر بن حسن الحلبي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

* ذيل درة الأسلاك في دولة الأتراك، مكتبة بودليان، أكسفورد، مجموعة (Mansh)، رقم ٣٨، ٢٢٣، ٣١٥. نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم ٥٣٩.

- الخالدي، بهاء الدين محمد بن لطف الله العمري (ألفه حوالي سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م)

* المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء، نسخة مصورة عن المكتبة الأهلية في باريس، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم ٤٤٣٩.

- ابن الخطيب الناصرية، الحسن علاء الدين (ت ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م).

* الدر المنتخب في تاريخ حلب، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم ٨٢٢.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

* ذيل دول الإسلام، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم ٥٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث ٧٩٩- ٨٣٠هـ)، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية عن المكتبة الوطنية، باريس، رقم ١٥٤٤.

- القاضي عبد الباسط بن الغرسي خليل بن شاهين الصفوي الحنفي (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م).

* نيل الأمل في ذيل الدول، جزءان، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية عن نسخة بودليان، أكسفورد، رقم ٦١٠.

- ابن ناظر الجيش، تقي الدين بن محب الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الحلبي (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م).

* تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عن نسخة المكتبة الأهلية، باريس، رقم ٤٤٣٩.

- ابن مكانس، فخر الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن إبراهيم القبطي (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م).

* ديوان ابن مكانس، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم ١٣٩٤.

٢- المصادر المطبوعة:

- الاسحاقي، محمد بن عبد المعطي (ت ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م).

* أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، د.ط، القاهرة، ١٣١٠هـ

- الأسدي، محمد بن محمد بن خليل (ت ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م).

* التيسير والاعتبار والتحرير والأخبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق عبد القادر طليمات، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- البدري، أبو البقاء عبد الله محمد البدري (وفيات القرن التاسع عشر الهجري).

* نزهة الأنام في محاسن الشام، نشر المكتبة العربية، بغداد، أوفست، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ.

- بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م).

* التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧م.

- ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م).

* بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ج٥، ج١، ق١، ق٢، ج٢، ج٤، ط٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢. ج٣، ط٢، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٣م.

- البصروي، علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م).

* تاريخ البصروي، تحقيق أكرم العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٨م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ/ ١٤٦٠م).

* حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين، ٢ج، ط١، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

* النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ١٦ج. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.

* المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٤ج، تحقيق محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٤م.

- ابن جماعة، بدر الدين (ت ٧٧٣هـ/ ١٢٧١م).

* تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ط١، مطبعة الباكر، قطر، ١٩٨٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م).

* المدخل، ٢ج، ط١، المطبعة المصرية، ١٩٢٩م.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٨٤م).

* أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن جيشي، ٩ج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، ٥ج، ط٤، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٦م.

- جان ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان المشهور بجان ليون الأفريقي (ت ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م).

* وصف أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الرياض، ١٣٩٩م.

- الحنبلي، عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٨٧م).

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ج، د. ط، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

- الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م).

* العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ٢ج، تحقيق محمد بسيوني، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١١-١٩١٤م.

- ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

* العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ج، د.ط، دار المسيرة، بيروت، ١٩٦٦-١٩٦٧م.

* المقدمة، دار الجيل، بيروت، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م).

* الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ٢ج، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.

* الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال علي، ٢ج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

- السبكي، تاج الدين نصر بن عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).

* معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق داوود ولهلم وموهمن، ليدن، ١٩٠٨م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

* التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

* الذيل على رفع الأصر (بغية العلماء والرواة)، تحقيق جودة هلال، محمد صبحي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ج، د.ط، مكتبة القدس، ١٩٥٤م.

* وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد، أحمد الخطيمي، عصام الحرستاني، ٤ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

* تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين، د.ط، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٢م.

* حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢ج، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

- ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م).

* زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، ١٨٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الشحنة، أبو الفضل محب الدين محمد بن محمد (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م).
* البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر قايتباي، تحقيق عمر بن عبد السلام، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م).
* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢ج، القاهرة، ١٩٢٩م.
- صالح بن يحيى (كان حياً سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م).
* تاريخ بيروت، تحقيق فرنسيس اليسوعي، كمال الصليبي، دار الشرق، بيروت، ١٩٦٧م.
- ابن صصري، محمد بن محمد (ت ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م).
* الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم برينز، بركلي، لوس أنجلوس، ١٩٦٣م.
- ابن الصيرفي، علي بن داوود (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).
* أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.
* نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، ٣ج، د.ط، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٤م.
- طافور، بيرو.
* رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م).
* أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، د.ط، المطبعة والجريدة الرسمية، دمشق، ١٩٦٤م.
* مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٦٢م.
* نقد الطالب لزعل المناصب، تحقيق محمد دهمان، خالد محمد دهمان، دار الفكر، بيروت، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن ظهيرة، محمد بن محمد (ت ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م).

* الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندس، القاهرة، ١٩٦٩م.

- ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م).

* تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، محمد النجار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١م.

- العصامي، عبد الملك بن حسين (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م).

* سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة، د.ت.

- العمري، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

* التعريف بالمصطلح الشريف، د.ط، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٣١٢هـ

*/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، ١٩٨٥م.

* مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد السيد، د.ط، المعهد العلمي الفرنسي لآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٥م.

- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

* السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم شلتوت، محمد مصطفى زيادة، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (حوادث ٨١٥-٨٥٠هـ) تحقيق عبد الرزاق القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.

- الغياثي، عبد الله (ت ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م).

* تاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني، د.ط، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

* تاريخ الدول والملوك، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عزالدين، المجلد التاسع، ٢ج، بيروت، ١٩٣٩م.

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

* المختصر في أخبار البشر، ٤ج، ط١، المطبعة الحسنية المصرية، القاهرة، د.ت.

- ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م).

* تاريخ ابن قاضي شهبة (حوادث ٧٥١-٧٨٠هـ) و(حوادث ٧٨٠-٨٠٠هـ)، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٧، ١٩٩٤م.

* طبقات الشافعية، صححه وعلق عليه الحافظ عبد العليم خان، ٤ج، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٧٩-١٩٨٠م.

- القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

* صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ١٥ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

* مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ٢ج، د.ط، وزارة الإرشاد، دار الأنباء، الكويت، ١٩٦٤م.

- الكتبي محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

* فوات الوفيات، ٥ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

* البداية والنهاية، ١٤ج، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧م.

- ابن كنّان محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م).

* حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صَبّاغ، دار النفائس.

* المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل، قسمان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المبرد، يوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م).

* الحسبة، نشر حبيب الزيات، مجلة المشرق، ١٩٣٧م.

- المقدسي، مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م).

* الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ج، د.ط، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣م.

- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

* إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.

* السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ج، ١١ مجلد، (ج١-٢)، تحقيق محمد مصطفى زيادة، (ج٣-٤) تحقيق سعيد عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧-١٩٧٢م.

* شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد السيد، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧م.

* المقفى الكبير، تحقيق محمد العيلاوي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.

* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٢ج، طبعة جديدة أوفست، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

* البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، القاهرة، ١٩١٦م.

- مؤلف مجهول.

* خزائن السلاح، تحقيق نبيل عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

* نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق فوزي العنيتل، ٢٨ج، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م).

* الدارس في تاريخ المدارس، ٢ج، تحقيق جعفر الحسيني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨م.

- النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٨٢م).

* الأعلام في إعلام بيت الله الحرام، مطبوع في هامش خُلاصة الكلام لدحلان، د.ط، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٤هـ.

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م).

* مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين ربيع، ١٩٧٧م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

* معجم البلدان، ٥ج، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المراجـــع

١- المراجع الحديثة/ باللغة العربية:

- إبراهيم طرخان.
* مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
* النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- أحمد عبد الرزاق أحمد.
* البذل والبرطلة زمن سلاطين دولة المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- أحمد صادق سعيد.
* تاريخ مصر الاجتماعي، مطابع الغد، بيروت، د،ت.
- أشتور الياهو.
* التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م.
- أنس ترتون.
* أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ايرا لابيدوس.
* مدن إسلامية في العهد المملوكي، ترجمة علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م.
- توماس آرنولد.
* الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسن الباشا.

* الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

- حكيم أمين عبد السيد.

* قيام دولة المماليك الثانية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

- حسين مؤنس.

* أطلس العالم الإسلامي، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

* سفارة بدور ماتير انجلاريا سفير الملكين الكاثوليكي إلى السلطان الغوري، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

- حياة ناصر الحجي.

* أحوال العامة في حكم المماليك، ط١، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ١٩٨٣م.

- دروتيا كرافولسكي.

* العرب وإيران، دراسات في التاريخ والأدب من منظور أيديولوجي، دار المنتخب للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور.

* الأيوبيون والمماليك في دولة المماليك البحرية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

* المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٢م.

* نساء القاهرة في عصر سلاطين المماليك، أبحاث الندوة لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١م.

- طه طراونة.

* مملكة صفد في عهد المماليك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد العزيز الدوري.

* تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٣٤م.

عبد الرحمن زكي.

* امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مارس، إبريل، ١٩٦٩م، الجزء الثاني، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١م.

- عبد المنعم ماجد.

* نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ٢ج، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

- علي إبراهيم حسن.

* دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ط٢، مكتبة الشبكسي، القاهرة، ١٩٤٨م.

* مصر في العصور الوسطى، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩م.

- علي باشا مبارك.

* الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

- علي السيد علي.

* القدس في العصر المملوكي، ط٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.

- فالتر هنتس.

* المكاييل والأوزان الإسلامية وما يقابلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- قاسم عبده قاسم.

* أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

* دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

* النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

- كمال سليمان الصليبي.

* منطلق تاريخ لبنان (٦٣٤-١٥١٦م) منشورات كارفان، نيويورك، بيروت، ١٩٧٩م.

- محمد أحمد دهمان.

* ولاة دمشق في عهد المماليك، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٤م.

- محمد عدنان البخيت.

* مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط١، ١٩٧٦م.

- محمد قنديل البقلي.

* التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤م.

* الطرب في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

- مصطفى الحياري.

* الإمارة الطائية في بلاد الشام، ط١، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٧م.

- مصطفى السقا.

* الحياة الأدبية في القاهرة، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وليم ماير.

* تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين، القاهرة، ١٩٤٢م.

* الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

- يوسف عزت باشا.

* تاريخ القوقاز، تعريب خوستوقه عبد الحميد غالب بك، اسطنبول، ١٩٢م.

- يوسف غوانمة.

* التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي، ط٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٧٩م.

* تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة، عمان، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- المراجع الأجنبية:

- Ashtor, Elyahu, "Levanantine weights and standard parcels". In East-West trade in the Medieval Mediterranean. London. 1986.
- Ayalon, David, The system of payment in Mamluk Military Society, Journal of the Economic and Social history of the Orient. Vol. 1, Leiden. E.J. 1958.
- Bacharch, Jere Lehman, A study of the correlation between Textual Sources and Numismatic Evidence for Mamluk Egypt and Syria, Michigan, 1967.
- Breman, Ariel, Islamic coins, L.A. Mayer Memorial, Institue of Islamic Art. Exhibition winter, 1976.
- Baloq, Paul, The coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria. Numismatic studies, No., 12. The American Numismatic society, New York, 1964.
- Fischel, Wlater, J. Ascensus Barcoch, part. 1, 2, Alatin Biography of the Mamluk Sultan Barquq of Egypt (D 1399), written by B.DE Mignanelli in 1416.
  Rendered into English with an introduction and commentary.
- Gucci, Frescobaldi, and Sigoli, Visit to the Holy places of Egypt, Sinai, Palestine and Syria in 1384. Translated from the Italian by Bellorini and Hoade, Printed by Franciscan Press. Jerusalem, 1949.
- Holt. P.M., The structure of government in the Mamluk Sultanate. The Eastern Mediterranean lands in the period of Crusades.
- Mones, Hussain, Djamakiyaa, The Encyclopaedia of Islam, Leiden, London, vol. 2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- Lane- Pools. S.:

* A history of Egypt in the Middle Ages Frank Cass, London, 1968.

* Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, vol. 4, Forni Editore, Bologna, 1967.

* Muhammadan Dynasties, Paris, 1925.

- Petry, Carl, Geographic Origins of Diwan Officials in Cairo During the Fifteenth Century, vol. 21, part. 2.

- Petry, Carl and Stanly Mendenhall, Geographic Origins of the Civil Judiciary of Cairo in The Fiftheenth Century, vol. 21, part.1.

- Poliak, N., The Influence of Chigizkan's Yesa- upon the General Organization of the Mamluk State, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, vol. x, 1939-1942.

- Popper, William, Egypt and Syria under The Circassian Sultans. 1382-1468 A.D, 2 vol., University of California Press, Berkeley and Los Angeles, 1955-1957.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الرسائل الجامعية:

- حسام محمد إسماعيل الناطور.

* السلطنة ونيابة السلطنة في دولة المماليك الثاني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١م.

- حسين خصاونه.

* طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٩٢م.

- زياد مدني.

* مملكة حلب في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٣م.

- سعيد صالح.

* التجارة الداخلية لدولة المماليك الثانية، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٢م.

- سليمان خرابشة.

* مملكة طرابلس في العهد المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان.

- فريال بدوي الزربا.

* الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٠م.

- محمد عمايرة.

* الجيش في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- بحوث منشورة في:

١- دائـــرة المعـــارف:

- أدر، جراكسة، دائرة المعارف الإسلامية، ج٦.
- سوبرنهيم، برجي، دائرة المعارف الإسلامية، ج٣.
- سوبرنهيم، برقوق، دائرة المعارف الإسلامية، ج٣.

٢- الدوريـــات:

- إبراهيم بك جلال.
* الخلافة العباسية ببغداد ثم بمصر، مجلة الهلال، ج٧، السنة ٣٨، ١٩٣٠م.
- أحمد عبد الرزاق.
* عقد زواج أحد مماليك دولة بني الكنوز الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإمارات العربية، العدد الرابع، سنة ١٩٨٨م.
- حياة ناصر الحجي.
* الأوضاع السياسية والاقتصادية في حكم المؤيد شيخ في سلطنة المماليك، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، الكويت، العدد ٣٦، المجلد التاسع، سنة ١٩٨٨م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور.
* الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، إبريل، مايو، نيوليو، العدد الأول، المجلد ١١، سنة ١٩٨٠م.
- السيد الباز العريني.
* الفارس المملوكي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس، سنة ١٩٥٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد اللطيف إبراهيم.

* من وثائق دير سانت كاترين، ثلاثة وثائق فقهية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، أيار، مجلد ٢٥، الجزء الأول، سنة ١٣٩٦٣م.

- كامل العسلي.

* وثائق مقدسية تاريخية، الجزء الثاني، رقم ٦٣٦ (جمادى الأولى ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) سنة ١٩٨٥م. دراسة محمد عيسى صالحية. من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٨٥م.

- محمد مصطفى زيادة.

* بعض ملاحظات في تاريخ دولة المماليك، الجامعة المصرية، مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع، الجزء الأول، سنة ١٩٣٦م.

- نقولا زيادة.

- رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، مجلة المقتطف، بيروت، ١٩٤٣م.

- يوسف غوانمة.

* ابن خلدون وعلاقته بالأوضاع السياسية بالمشرق الإسلامي في العصر المملوكي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٤، السنة ١٦، ١٩٩١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

The State of Mamlukes in the Era of Sultan Al-Dahir Barquq

(784-801 A.H / 1382-1398 A.D)

Student: Hussam Mohammad Ismael Al-Natour

Supervisor: Dr. Mustafa Hayyari

The study topic, the state of Mamlukes in the era of Sultan Al-Dahir Barquq 784-801 A.H/ 1382-1398 A.d, represents an important aspect of the history of the Mamlukes rule in Egypt and the Levant. This significance may be traced to the fact that the state of Circassian Mamlukes was based on foundations that were different from those of the Turk Mamlukes. Sultan Barquq relied on Circassian Mamlukes in carrying out his internal policy. Moreover, the study stresses variables produced by the transition of power from Turk into Circassian Mamlukes, and affect of these variables on political, economical, social, cultural and architectural aspects.

Another element that may contribute to the significance of this study is that it addresses the external policy of Sultan Barquq, a policy that led into making the Mamluke state the leader of the Islamic world throughout the period in question. Furthermore, the study investigates changes that affected administrativce and military systems during that period which was characterized by extreme changes in more than one dimension in Egypt and the levant.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Objective of selecting this topic in particular is to explain the extent in which political life carries out its continuity. There were riots and uprisings during the rule of the first mamluke state and changes that took effect during the era of Sultan Barquq. The study attempts to illuminate Sultan Barquq's role in producing these extreme changes and transformations that affected the military institution. It also seeks to explain influence of these changes on internal and external condition and provide a comprehensive account of political, economical and social aspects of life at that time.

The study comes out in six chapters (each one with a conclusion). an analysis of reference, an appendix and a bibliography.

Chapter one addresses the following issues; the state before Sultan Barquq taking power, Sultan Barquq and the struggle for power, first term of Barquq's rule, riots and uprisings, such as Al-Tanbu'a, Al-Ashrafi's uprising, the attempt by the Caliph Al-Mutawaqel Ala Allah to take power, movement of Ahmad Ibn Al-Burhan, and Mantash and Yalbigha Al-Nasiri's uprising, deposing Sultan Barquq, Prince Haji's rule, Mantash and Al-Nasiri despute over power, Sultan Barquq back into power, internal uprising such as that of Al-Arban, external relations of the Mamluke state (in the era of Barquq) with other states such as Tunis, Morocco, Algeria, Genoa, Venice, Tabriz and others.

Chapter two tackles the development of the administrative system of the state. It points out changes and developments that affected various institutions of the state including the military one such as introducing the

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Sultan deputyship and Head of Nawba, the civil administration such the ministry, Diwan Al-Insha, Nazir Al-Khas, Nazirr Al-Jeyoush, the local administration of Sultan's deputyships in Egypt such as Welayet Al-Qahera, Welayet Al-Qarafeh and Welayet Al-Qal'a, the Sultan's deputyships such as Neyabet Al-Iskandareya, Neyabet the seaside, and Neyabet the landside, and finally the religious administration such as magistrate office, Al-Mufti office, the treasury, and Al-Hasbeh. Local administrations of the Sultan's deputyships in the Levant is also discussed. There is also some explaintion of the issue of selling positions (by bribery). The chapter concludes with a general summary that points out those developments and changes.

Chapter three is about the military institution. It discusses various issues related to this institution such as personell, sources of recruiting Mamlukes, elements of the army, divisions of the army, military ranks, system of promotion, financial and material provisions of the army and military administration. This chapter's summary presents developments and changes that took place in relation to the military institution.

Economical life is discussed in chapter four. This chapter deals with several economical facts such as agriculture, industry, trade, markets, prices and factors affecting them, taxes, money, weight and measures.

٤٩٣٩١٤

Chapter five is about social life. It discusses classes of inhabitatnts, means of entertainment, woman's position in the Mamluk state, parties of marrige, and feasts.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Finally, Chapter six is devoted for culture life. It addresses linguistic and religious disciplines such as Al-Hadith (Prophet Mohammad's sayings), reading of the Holy Quran, jurisprudence, Sufism (musticism), the judiciary. The chapter also discusses literary movement and rational sciences such as medicine, mathematics, Meqat, engineering and history. It stresses that Sultan Barquq tended to support all sciences.

The chapter classifies architectural constructions into religious ones such as schools, mosques and Khawaniq, and public ones such as bridges, channels, water basins and mail posts. Sultan Barquq's interest in these constructions is also discussed.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit